ديوان

أبي القاسم الشابي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أبو القاسم الشابي، شاعر تونس في النصف الأول من القرن العشرين، عاش في زمن، كانت فيه بلاد المغرب العربي تعاني أثقال الاحتلال الأوروبي، وتغوص في بحور الظلم والجهل والتخلف، على كل صعيد. وقف الشابي إزاء ذلك كله، موقف الرافض للاحتلال، المتمرّد على رموزه وأدواته، داعياً إلى مقاومته. وفي الوقت نفسه يتمرّد على كل شكل من أشكال الجمود، في الميادين المختلفة، سواء في المجتمع أو في الأدب والفكر، فيطرح طرائق جديدة وجريئة في التفكير والتعبير، تتناول الأساليب والموضوعات، ولم يقصد في ذلك أن يتنكر للقديم، لكنه أراد لأهل الفكر والأدب أن لا يتوقفوا عند مجموعة من القوالب والأنظمة والمعاني الموروثة، فلا يتجاوزونها. كما ودعا إلى التعمُّق في معالجة الظواهر المختلفة، لتنفذ المعالجات إلى ماوراء الماديّات والمحسوسات، وصولاً إلى المدلولات المعنوية بارتباطاتها الروحية والإنسانية والجمالية. إلّا أنّه وصل في انتقاداته إلى حد التجريح بأبناء شعبه، إذ اتهمهم بالجهل والجبن والخضوع، مع العلم أن الغاية من انتقاداته أساساً، كانت تهدف إلى تقويم المجتمع بالكشف عن عيوبه، وإثارته ضد الاحتلال، فلم يكن التجريح غاية ولا هدفاً. وقد ذهب، في بعض قصائده، أبعد من ذلك، إلى حد مخاطبة الله عز وجل بطريقة غير لائقة، فيها تهكم واستخفاف فألفت نظر القرّاء الأعزاء إلى توخي الحذر.

هذا الديوان، الذي نضعه اليوم، بين يدي القارىء الكريم، هو جماع ما جادت به قريحة أبي القاسم الشابي في سِني عمره القصير. والديوان من حيث المحتوى، يمثّل مجمل آراء الشاعر وخلاصة مذهبه في القضايا الإنسانية العامة، وهو أيضاً، نتيجة لتجربة الشاعر مع الناس والمجتمع والاحتلال، ولا ننسى تجربته مع ذاته، مع مرضه وآلامه، وما أصيب به من نكبات ليس أقلها وفاة أبيه الذي كان يجد فيه سنداً قوياً عند الشدائد.

ويدور ما قمتُ به، بأن اعتمدت ديوان الشاعر الأصلي، الذي كان سمّاه «أغاني الحياة»، فأضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي كان الشابي نفسه قد استبعدها، عندما أعدّ ديوانه للطبع قبيل وفاته، فضلاً عما كان زاده عليه محمد الأمين الشابي، عندما نشر الديوان، لأول مرة سنة ١٩٥٤ م، وقد ذكرت تلك القصائد بأسمائها في غير هذا الموضع. وقد أشرت إلى ما

أضفته، كل في موضعه. ومن الجدير بالذكر أن هذه الزيادات، بمعظمها مأخوذ من كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»، لصديق الشابي، زين العابدين السُّنوسي، وكان معجباً بشعر الشابي، وقد نشر بعض أشعاره في صحيفته «العالم الأدبي» التي انشأها سنة ١٩٢٥ م. أما الكتاب المذكور آنفاً، فقد نُشر سنة ١٩٢٧ م، وتضمن طائفة كبرى من أشعار الشابي. وعلاوة على ما ذكرت، فإن بعض الزيادات يُعزى إلى جريدة «النهضة» التونسية، عِلماً أن مجلة «أبولّو» المصرية كانت نشرت بعض قصائد للشابي في حياته.

وبعد، فإني راعيت، في إخراج هذا الديوان الترتيب الألفبائي للقصائد، باعتبار قافية البيت الأول من القصيدة، ثم فسَّرت من الكلمات ما رأيته ضرورياً من أجل تقريب المعنى، كما وضبطت ما يلزم من الحروف والكلمات، فضلاً عن ذكر البحر العروضي لكل مقطوعة، مع الفصل بين الشطرين المتداخلين حيث لزم الأمر.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وُفِّقت، في ما بذلته من جهد، لينال عملي هذا القبول والرضا. وإن كنت قصَّرْت أو أخطأت، فعذراً أيها القارىء العزيز، وأدعو الله أن يلهمني الصواب، ويوفّقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

والحمد لله وحده
أحمد حسن بَسَج
السبت ٨ صفر ١٤١٥ هجرية
الموافق ١٦ تمّوز ١٩٩٤ رومية

أبو القاسم الشابي

مولده ونشأته:

ولد أبو القاسم في ٢٤ شباط فبراير من سنة ١٩٠٩ م، في بلدة الشابّة، وهي من ضواحي توزر[١].

وكان والده الشيخ محمد بن بلْقاسم الشابي، الذي يتحدّر من أسرة الشابية، قد تخرّج في الجامع الأزهر، بعد دراسة سبع سنوات، في أوائل القرن العشرين، ثم التحق بجامع الزيتونة في تونس، ونال في نهاية المطاف ما كان يُسمّى شهادة التطويع[٢]، ويعيّن قاضياً شرعياً متنقّلاً في المناطق التونسية. في هذه الأثناء كان أبو القاسم حديث عهد في هذه الدنيا، يتنقل برفقة والديه حيث يستقر بهما المقام، فلم ينعم في قضاء سنوات طفولته في بلدته التي ولد فيها.

ومما يُذكر أنه لم يأت لزيارة هذه البلدة إلا مرتين حيث قضى نحواً من ثلاثة أشهر[٣]، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية أتى فيها بعد ذلك زائراً. ومن الجدير بالذكر أن جولة هذه الأسرة استغرقت عشرين سنة في بلاد تونسية مختلفة فمن قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان. وهذه البلاد تفصل بينها المسافات الطوال جغرافياً، كما أنها تتمايز بمناخاتها وعاداتها ولهجات أبنائها أيضاً، فزغوان مثلاً منطقة جبلية، ورأس الجبل غنية بالبساتين، وقابس ذاتُ مناخ حار، بينما تتساقط الثلوج في تالة، والناس في قابس يعتمدون على صيد الأسماك، بينما، تعتبر الزراعة والفلاحة في مجاز الباب المورد الرئيسي للسكان هناك، وتبعاً لهذا كله تختلف الطبائع والعادات...

دراسته:

تلقى أبو القاسم دروسه الأولى على يد والده بالدرجة الأولى، ثم أرسله إلى الكتّاب[٤] في بلدة قابس، وفي الثانية عشرة من عمره، قدم[٥] إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢٠ م،

---

(١) تعتبر توزر من أكبر بلاد الجريد في جنوب تونس، وتُعرف بأشجار النخيل.

(٢) هي شهادة إنهاء الدروس في جامع الزيتونة.

(٣) أغاني الحياة: ٩.

(٤) أبو القاسم الشابي. عبد المجيد الحر: ٥٥.

(٥) أغاني الحياة: ١٠.

حيث التحق بجامع الزيتونة للدراسة، حيث تهيّأت له الفرصة الحقيقية من أجل التحصيل العلمي وخصوصاً العلوم الدينية، فقضى سبع سنوات يدرس ويطالع، ويخالط المثقفين وأهل العلم، ولكنّه كان لا يخفي تبرُّمه وتضجّره من إقامته في مكان لا تلقى فيه أفكاره القبول والرضا. ومع ذلك فقد «كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية»، إلا أنه اطلع على آداب الغرب من خلال ما كانت تنشره الدور العربية من تلك الآداب والحضارات.

وفي سنة ١٩٢٧ م وفي شهر يونيو/حزيران نال الشابي شهادة التطويع حيث أنهى دروسه في جامع الزيتونة. وفي العام التالي ١٩٢٨ م انتسب إلى المدرسة التونسية للحقوق ونال إجازتها سنة ١٩٣٠ م.

نشاطه الأدبي أثناء دراسته:

ذكرنا أن الشابي جمع ثقافة واسعة عربية من جهة، وغربية عن طريقة ما قرأه من ترجمات ونقول عن الآداب الغربية، لذلك تفتحت قرائحه الشعرية في سن مبكرة في حدود الثانية عشرة من عمره ومما يروى[1] في ذلك أن قصيدة «يا حب» التي نظمها سنة ١٩٢٣ م كانت من أوائل شعره. وكتب في الصفحة الأدبية لجريدة النهضة، كل اثنين، سنة ١٩٤٢ هـ/١٩٢٦ م. وظهر شعره مطبوعاً ضمن كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»[2]، سنة ١٣٤٤ هـ/١٩٢٧ م. وفي السنة ذاتها ألقى محاضرة في نادي قدماء الصادقية عنوانها: «الخيال الشعري عند العرب»، كانت مادة الكتاب الذي حمل العنوان نفسه فيما بعد.

وكان يساهم في شعره بتلك الفترة في مساندة حركات التجديد، وبعث حركة المسلمين، وعمل على مناصرة حركة تحرير المرأة، ومما يجدر ذكره، دعوته إلى التجديد في الأدب من خلال «الخيال الشعري عند العرب»، مما جعله يتعرض إلى حملة شعواء، شنها عليه ناقدوه وخصوم التجديد، ولكن وقوف والده إلى جانبه في كثير من آرائه في التحرير والتجديد، أكسبه قوة في الاستمرار والصمود أمام معارضيه. ولكن هذا الوالد سرعان ما يقع فريسة للمرض، ويداهمه الموت سنة ١٩٢٩ م، وهو في الخمسين من عمره، وقد رافقه الشابي من زغوان إلى مسقط رأسه توزر.

رتّبت عليه هذه الفاجعة أعباء جديدة عائلية كبيرة، خصوصاً وأن نفسه العالية أبت عليه أن يقف أمام أبواب ذوي السلطة والنافذين، فرضي بالبساطة، واقتنع بالمقسوم له، هو وأسرته

---

(١) أغاني الحياة: ١٠.

(٢) أغاني الحياة: ١٠.

في توزر. ومما قيل[1] في هذا: «كنا نرى في نفسه الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه».

مرضه وزواجه:

أصيب أبو القاسم بداء تضخم القلب، في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره، وقد نهاه الأطباء عن بذل أي جهد فكري أو جسدي ومع ذلك لم يتوقف عن عمله شعراً ونثراً، مما زاد في خطورة وضعه.

أما زواجه، فإنه، وبناء على رغبة والده، وبعد استشارة الطبيب[2] أقدم على الزواج سنة ١٩٢٩ م، قبيل وفاة والده بقليل، ولكن حالته بعد الزواج لم تتحسن، بل على العكس ازدادت سوءاً خصوصاً وأنه كان يُرهق نفسه أكثر مما يطيق قلبه المتعب، فتكاثرت بعد سنة ١٩٣٠ م النوبات القلبية الحادة، ومع أنّ عدة أطباء أشرفوا على معالجته، ومنه الطبيب الفرنسي «كالو»، فلم يسفر كل ذلك عن أي فائدة تُذكر، عِلماً أنه أخذ بنصائحهم بعد ذلك في قضاء الوقت في المصايف والمنتجعات سنة ١٩٣٢ م، وكان رزق بولده البكر[3]. وفي سنة ١٩٣٣ م، اضطر بعد اشتداد المرض أن يلازم الفراش ويمتنع عن الكتابة والقراءة، ثم انتقل إلى مكان يُدعى «حامة توزر» حيث يوجد فيها عين ماء حار يستشفى بها من بعض الأمراض.

وفاته:

اشتد عليه المرض سنة ١٩٣٤ م، فتوجه إلى تونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطالي في ٢٦ أغسطس آب بقي فيها حتى توفي سحر يوم ٩ تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٣٤ م، ونقل جثمانه إلى بلده توزر حيث دفن فيها.

آثاره[4]:

تعود شهرة الشابي إلى ديوانه بالدرجة الأولى، ثم إلى كتابه الموسوم «الخيال الشعري عند العرب». ولكن بالإضافة إلى هذين الأثرين الكبيرين، فإن للشابي أعمالاً أخرى نذكر منها:

١ ـ قصة الهجرة النبوية، وقد نشرتها مجلة العالم في تونس.

---

(١) أغاني الحياة: ١١، عن مجلة العالم الأدبي شعبان ١٣٥٣ هـ/ نوفمبر ١٩٣٤ م.

(٢) هو الدكتور محمد الماطري النّطاسي.

(٣) ورزق بمولود آخر بعد ذلك. أبو القاسم الشابي: حياته وأدبه: زين العابدين السنوسي: ٢٧. وما يذكره السنوسي أن الشابي كان سعيداً في زواجه، وقد يكون ذلك من باب امتداح زوجة الشابي التي وصفها بالفاضلة، ولكن الشابي ومن خلال شعره ظل يحمل في قلبه ذكرى الفتاة الأولى التي أحبها وأخلص لها وماتت وهي صبيّة.

(٤) أبو القاسم الشابي ـ عبد المجيد الحر: ٦٥.

٢ ـ «في المقبرة» وهي رواية.
٣ ـ «السكير» وهي مسرحية.
٤ ـ مجموعة رسائل، توجّه بها إلى أصدقائه ومنهم: البشروش، والحليوي، وأبو شادي، وإبراهيم ناجي وعلي ناصر، وآخرون.
٥ ـ «مذكرات» بدأ بتدوينها سنة ١٩٣٠.
٦ ـ الأدب العربي في العصر الحاضر، وهي دراسة أدبية قصيرة قدّم بها ديوان «الينبوع» للشاعر أبي شادي.
٧ ـ «شعراء المغرب»، دراسة أعدها ليلقيها في النادي الأدبي، ولم يلقها فتركت مخطوطة.
٨ ـ «جميل بثينة» وقصص أخرى.
٩ ـ «صفحات دامية».
١٠ ـ مقالات مختلفة.

ديوانه:

جمع الشابي ديوانه في صيف ١٩٣٤ م وسماه «أغاني الحياة» وقد رتّبه بنفسه، واختار ما يريد من القصائد وأهمل البعض الآخر، وكان يعدُّه بذلك للطبع، ولكن الموت منعه من ذلك، فتولى أخوه محمد الأمين الشابي تلك المهمة فنشر الديوان بإشراف أحمد زكي أبو شادي سنة ١٩٥٤ م. وتميّزت تلك الطبعة بأنها التزمت الترتيب الذي كان ارتضاه الشاعر نفسه لقصائده، فلم يَطرأ أي تعديل على الديوان، إلا بإضافة بعض قصائد لم يثبتها الشاعر. وهي: «نظرة في الحياة»، «أنشودة الرعد»، «في الظلام»، «أيها الليل»، «شعري»، «أيها الحب»، «أغنية الأحزان»، «جدول الحب».

شعره وأغراضه:

ليست العملية الشعرية عند الشابي عملية فنية مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في إيصال مبادئه الثورية إلى مجتمعه، فهو يريد لأمته أن تهب من رقدتها، يريد أن يشهد نهاية الظلم في بلاده، فكان يتغنى بالحياة وبجمالها من أجل ترغيب الآخرين في أن يتوجهوا إلى ذواتهم أولاً فيصلحون من أنفسهم، ثم يتأملون الطبيعة التي يلفت أنظارهم إلى جمالاتها، ليدركوا أهمية الحياة وبالتالي أهمية الحرية. وبالمقدار الذي يتحرّق فيه الشاعر ويتألم من أجل الآخرين، رأينا أن الاستجابة لدعواته لم تكن بالحجم الذي أراده، من هنا كانت ردود الفعل عنده عنيفة أحياناً فينهال على الخاملين والكسالى بالتقريع، وينصرف عنهم متوجهاً إلى الطبيعة بكليته، متأثراً بالرومنطيقيين، لعله يجد راحة لنفسه المتمرِّدة، ففي الغاب الذي توجه إليه، عودة إلى الفِطرة، وعالم الغاب بالمفهوم الرومنطيقي عالم خيالي عاطفي، والحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغربة، وهو بين أهله وقومه، هذا

الإحساس، يتطور مع مرور الزمن إلى ملل ويأس واشمئزاز من الذين يتمسكون بأعراف بالية لا يُقرّها عقل ولا تتوافق مع الدين. إذاً، جعل الشابي من الشعر منطلقاً ليعبّر عن ذاته وما يعتلج فيها من هموم، سواء ما يدور منها حول هذه الذات، أو ما يتعلق بالآخرين.

أما طريقته في النظم، فإنها تقوم على أسس ومنطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما: عمق المعاني، وسهولة الألفاظ. فالمعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة، ليِّنة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتي مُشعَّة، تتداخل من خلالها المحسوسات، مما يقرِّب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبَه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم باللفظة المفردة وبالمعنى العميق، فقد جاء بأوزان شعرية رشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخّى الشاعر أن يقدم معانيه عبرها، وهي موسيقى انسيابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتطربه حيناً، وتثيره حيناً آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفلات والتحلل من كل قيد! لذلك، نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل، والمتقارب، ومجزوء الكامل، والمنسرح والخفيف، وكلها أوزان تخدم أغراض الشاعر وتتلاءم مع طبيعة شعره، في التعبير عن موضوعاته التي أشرنا إليها.

قافية الهمزة

نشيد الجبّار[1]

أو هكذا غنّى بْرُومِيثْيُوس

[من الكامل]

سَأَعيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْداءِ ... كالنَّسْرِ فوقَ القِمَّةِ الشَّمّاءِ[2]

أرنو إلى الشَّمْسِ المضيئةِ..، هازئاً ... بالسُّحْبِ، والأمطارِ، والأَنواءِ[3]

لا أرمقُ الظِّلَّ الكئيبَ..، ولا أرى ... ما في قرارِ الهُوَّةِ السَّوداءِ[4]

وأسيرُ في دُنيا المشاعرِ، حالماً، ... غرِداً - وتلكَ سعادةُ الشُّعَراءِ

أُصغي لموسيقى الحياةِ، وَوَحْيِها ... وأذيبُ رُوحَ الكونِ في إنشائي

وأُصيخُ للصَّوتِ الإلٰهيِّ، الَّذي ... يُحيي بقلبي مَيِّتَ الأَصْداءِ[5]

وأقولُ للقَدرِ الَّذي لا ينثني ... عَنْ حَرْبِ آمالي بِكُلِّ بَلاءِ:

«لا يُطْفِئُ اللَّهبَ المؤجَّجَ في دمي ... موجُ الأسى، وعواصفُ الأرزاءِ»[6]

«فاهدمْ فؤادي ما استطعتَ، فإنَّهُ ... سيكون مثلَ الصَّخْرةِ الصَّمّاءِ»

«لا يعرفُ الشَّكْوى الذليلَةَ والبكا، ... وضراعَةَ الأطفالِ والضَّعفاءِ»[7]

«ويعيشُ جبَّارا، يحدِّق دائماً ... بالفجرِ..، بالفجرِ الجميلِ، النَّائي»[8]

---

(١) نظمها في ٢٧ شعبان ١٣٥٢ هـ/ ١٥ ديسمبر/ كانون أول ١٩٣٣ م.

(٢) الداء: المرض. القمة الشمّاء: القمة العالية الشامخة.

(٣) أرنو، من الرُّنو: إدامة النظر بسكون الطَّرف. الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب.

(٤) أرمُقه: الحظه لحظاً خفيفاً. الهُوّة: ما انهبط من الأرض.

(٥) أصيخ: أستمع. الأصداء: جمع الصدى: الجسد من الآدمي بعد موته، أو الرجل اللطيف الجسد.

(٦) الأرزاء: جمع الرُّزء: المصيبة.

(٧) الضراعة: الاستكانة والخضوع.

(٨) النائي: البعيد.

«إملأْ طريقي بالمخاوفِ، والدُّجى، ... وزوابعِ الأشواكِ، والحصباء»[1]
«وانشرْ عليه الرُّعب، وانثرْ فوقه ... رُجُمَ الرَّدى، وصواعِقَ البأساءِ»[2]
«سأظلُّ أمشي رغْمَ ذلك، عازفاً ... قيثارتي، مترنِّما بغنائي»
«أمشي بروحٍ حالمٍ، متوهِّجٍ ... في ظُلمةِ الآلامِ والأدواءِ»[3]
«النُّور في قلبي وبينَ جوانحي ... فَعَلامَ أخشى السَّيرَ في الظلماءِ»![4]
«إنّي أنا النّايُ الذي لا تنتهي ... أنغامُهُ، ما دامَ في الأحياءِ»[5]
«وأنا الخِضَمُّ الرحْبُ، ليس تزيدُهُ ... إلا حياةً سَطْوةُ الأنواءِ»[6]
«أمّا إذا خمدت حياتي، وانقضى ... عُمُري، وأخرستِ المنيَّةُ نائي»[7]
«وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي ... قد عاشَ مِثْلَ الشُّعْلةِ الحمراءِ»[8]
«فأنا السَّعيد بأنّني متحوِّلٌ ... عَنْ عالمِ الآثام، والبغضاءِ»[9]
«لأذوبَ في فجرِ الجمالِ السرمديِّ ... وأرتوي من مَنْهَلِ الأضواءِ»[10]
وأقولُ للجَمْعِ الَّذينَ تجشَّموا ... هَدْمي ووَدُّوا لو يخرُّ بنائي[11]
ورأوْا على الأشواكِ ظلِّيَ هامِداً ... فتخيَّلُوا أني قضيْتُ ذَمائي[12]
وغدوْا يَشُبُّون اللَّهيبَ بكلِّ ما ... وجدوا..، ليشْوُوا فوقَه أشلائي[13]
ومضَوْا يَمُدُّونَ الخُوَانَ، ليأكلوا ... لحمي، ويرتشفوا عليه دِمَائي[14]
إنّي أقول - لَهُمْ - ووجهي مُشْرقٌ ... وعلى شفاهي بَسْمَةُ استهزاءِ
«إنَّ المعاوِلَ لا تَهُدُّ مناكبي ... والنَّارَ لا تأتي على أعضائي»

---

(١) الدُّجى: ظلمة الليل. الحصباء: الحصى، الواحدة: حَصَبَة.
(٢) الردى: الهلاك. الرُّجُم: النجوم التي يُرجم بها، ومجارة تُنصب على القبر، أو هي العلامة.
(٣) الأدواء: جمع الداء: المرض.
(٤) الجوانح: جمع الجانحة: الضلع تحت الترائب مما يلي الصدر.
(٥) الناي: من آلات الموسيقى.
(٦) الخِضَمّ: السيِّد الحمول المعطاء، والبحر. الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب.
(٧) خمدت النار: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها. خمدت حياتي: انتهت. نائي، يعني نوئي.
(٨) خبا: سكن وطفىء.
(٩) الآثام: جمع الإثم: الذَّنْب. قوله: عالم الآثام، يعني عالمه الحاضر في الدنيا.
(١٠) السرمد: الدائم. المنهل: المورد والتمشرب.
(١١) تجشَّموا: تكلّفوا.
(١٢) الذَّماء: بقية النفس.
(١٣) الأشلاء: جمع الشِّلو: العضو.
(١٤) الخوان: ما يؤكل عليه الطعام. يرتشف: يمتص.

«فارموا إلى النَّار الحشائشَ..، والعبوا ... يا مَعْشَرَ الأطفالِ تحتَ سمائي»
«وإذا تمرّدتِ العواصفُ، وانتشى ... بالهولِ قَلْبُ القبّةِ الزّرقاءِ»[1]
«ورأيتموني طائراً، مترنّماً ... فوقَ الزّوابعِ، في الفَضاءِ النّائي»[2]
«فارموا على ظلّي الحجارةَ، واختفوا ... خَوْفَ الرِّياحِ الهُوجِ والأنواءِ..»[3]
«وهناكَ، في أمنِ البيوتِ، تطارحوا ... غَثَّ الحديثِ، ومَيِّتَ الآراءِ»[4]
«وترنّموا - ما شئتمُ - بِشَتائمي ... وتجاهَرُوا - ما شئتمُ - بِعِدائي»
«أمّا أنا فأُجيبكمْ مِنْ فوقكمْ ... والشّمسُ والشّمسُ والشّفقُ الجميل إزائي:»
«مَنْ جَاشَ بالوحي المقدّسِ قلبُه ... لم يحتفل بِحِجَارةِ الفلتاءِ»[5]

أيّها الحبُّ[6]

[من الخفيف]

أيُّها الحُبُّ أنْتَ سِرُّ بَلائِي ... وَهُمُومِي، وَرَوْعَتِي، وَعَنائي[7]
وَنُحُولِي، وَأَدْمُعِي، وَعَذابي ... وَسُقَامِي، وَلَوْعَتِي، وَشَقائي

* * *

أيُّها الحُبُّ! أنْتَ سِرُّ وُجُودي ... وَحَيَاتي، وَعِزَّتي وَإبَائي
وَشُعَاعِي مَا بَيْنَ دَيْجُورِ دَهْرِي ... وَأَلِيفي، وَقُرَّتي، وَرَجَائي[8]
يَا سُلافُ الفُؤَادِ! يا سُمَّ نَفْسي ... في حَيَاتي يَا شِدَّتي! يَا رَخَائي![9]
أَلَهِيبٌ يَثُورُ في رَوْضَةِ النَّفْسِ ... فَيَطْغَى، أَمْ أَنْتَ نُورُ السَّماءِ؟

* * *

---

(١) انتشى: سَكِر. الهول: المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه. القبّة الزرقاء، يعني السماء.
(٢) الزوابع: جمع الزوبعة: الإعصار. النائي: البعيد.
(٣) هُوج: جمع هوجاء. الريح الهوجاء: الريح تقلع البيوت. الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب، ويريد بالأنواء ما يثقله.
تطارحوا الحديث: تبادلوه، غث الحديث: الفاسد منه.
يُقال: جاش الوادي: زَخَر. جاشت العين: فاضت. الفلتة: الفجأة.
(٦) نظمها في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٢ هـ/ غرة أوت - أغسطس آب ١٩٢٤ م.
(٧) العناء: المشقة.
(٨) الدجور: الظلام. أليفي: صاحبي. قُرَّة العين: جرجير الماء.
(٩) السلافة والسُّلاف: الخمرة، أو أولها والخالص منها.

أيُّهـا الحُبُّ قَـدْ جَـرَعْـتُ بِـكَ الحُـزْ ... نَ كُـؤُوسـاً، ومـا اقْتَنَصْتُ ابْتِغَـائي
فَـبِـحَـقِّ الجَـمَال، يَـا أيُّهـا الحُـ ... ـبُّ حَـنَـانَيْـكَ بي! وَهَـوِّن بَـلائي[1]
لَيْتَ شِعْـرِي! يَـا أيُّهـا الحُبُّ، قُـلْ لي: ... مِـنْ ظَـلَامٍ خُـلِقْـتَ، أمْ مِـنْ ضِيَـاءِ؟

(١) حنانيك، أي: تحنن عليَّ مرة بعد مرة وحناناً بعد حنان.

قافية الباء

يا شعر[1]

[من الكامل]

يَـا شِـعْـرُ أَنْـتَ فَـمُ الـشُّـعُـ ـورِ، وَصَـرْخَـةُ الـرُّوحِ الكَئِيبْ
يَـا شِـعْـرُ أَنْـتَ صَـدَى نَـحِـيـ ـبِ القَلْبِ، والصَّبِّ الغَـرِيبْ[2]

* * *

يَـا شِـعْـرُ أَنْـتَ مَـدَامِـعٌ عَـلِقَـتْ بِـأَهْـدَابِ الحَـيَـاةْ
يَـا شِـعـرُ أنـتَ دَمٌ، تَـفَـجَّـ ـرَ مِـنْ كُـلُومِ الـكَـائِـنـاتْ

* * *

يَـا شِـعْـرُ! قَـلْـبِـي - مِـثْـلمَا تـدري - شَـقِـيٌّ، مُـظْلَمُ
فِـيـهِ الجِـراحُ، الـنُّـجْـلُ، يَـقْـ ـطُرُ مِـن مَـغَـاوِرِهـا الـدَّمُ[3]

* * *

جَمَـدَتْ عَـلَى شَـفَـتَـيـهِ أَرْ زَاءُ الحَـيَـاةِ الـعَـابِـسَـهْ[4]
فَـهُـوَ الـتَّـعِـيسُ، يُـذِيـبُـهُ نَـوْحُ الـقُـلُوبِ الـبَـائِـسَـهْ

* * *

أَبـداً يَـنـوحُ بِـحُـرْقَـةٍ، بَـيْنَ الأَمَـانِي الهَـاوِيـهْ

---

(١) نظمها في ١٤ رجب ١٣٤٥ هـ/ ١٨ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٧ م.
(٢) الصَّدى: ما يسمعه المصوِّت في الجبل أو في غيره. الصَّب: المشتاق العاشق.
(٣) النُّجل: جمع النجلاء: الواسعة. المغاور: جمع المغارة: القعر. كُلوم: جمع كَلْم: جُرح.
(٤) الأرزاء: جمع الرُّزء: المصيبة.

كـالـبُـلْـبُـلِ الـغِـرِّيـدِ مَـا بـيـنَ الـزُّهـورِ الـذَّاوِيـهْ[1]

* * *

كـمْ قَـدْ نَـصـحْـتُ لـهُ بـأنْ يَـسْـلُو، وَكَـمْ عَـزَّيْـتُـهُ
فَـأبَى، وَمَـا أصـغَـى إلى قَـوْلِي، فَـمَا أجْـديـتُـهُ[2]

* * *

كَـمْ قُـلْـتُ: «صـبـراً يَـا فُـؤَا دُ! ألا تَـكُـفُّ عَـنِ الـنَّـحِـيـبْ؟»
«فَـإذا تَجَـلَّدَتِ الحَـيَـا ةُ تَـبَـدَّدَتْ شُـعَـلُ الـلَّهِـيـبْ»[3]

* * *

«يَـا قَـلْـبُ»! «لا تجـزعْ أمَـا مَ تَـصَـلُّبِ الـدَّهْـرِ الهَـصُـورْ»[4]
«فَـإذا صَـرَخْـتَ تـوجُّـعـاً هَـزَّأتْ بِـصَـرخَـتِـكَ الـدُّهُـورْ»

* * *

«يَـا قَـلْـبُ! لا تَـسْـخُطْ عَـلى الأ يَّـامِ، فـالـزَّهْـرُ الـبَـديـعْ»
«يُـصْـغِـي لـضَـجَّـاتِ الـعَـوَا صِـفِ قَـبْـلَ أنْـغَـامِ الـرَّبِـيـعْ»

* * *

«يَـا قَـلْـبُ! لا تَـقْـنَـعْ بِـشَـوْ كِ الـيَـأسِ مِـنْ بَـيـنِ الـزُّهُـورْ»
«فَـوَراءَ أوْجَـاعِ الحَـيَـا ةِ عُـذُوبَـةُ الأمَـلِ الجَـسُـورْ»[5]

* * *

«يَـا قَـلْـبُ! لا تَـسْـكُـبْ دُمُـو عَـكَ بـالـقَـضَـاءِ فَـتَـنْـدَمِ»
«فَـعَـلَى ابـتـسـامـاتِ الـقَـضَـا ءِ قَـسَـاوَةُ الـمُـتَـهَـكِّـمِ»

* * *

لـكِـنَّ قَـلْـبـي وَهْـوَ مُـخْـضَـ ـلُّ الجـوانـبِ بـالـدُّمُـوعْ[6]

---

(١) الزهور الذاوية: الزهور الذابلة.
(٢) أجديته: أعطيته. والجدَا: العطية.
(٣) الجَلَد: الأرض الصُّلبة. قوله: تجلّدت الحياة، يعني اشتدت وتقوّت.
(٤) الهَصُور: الذي يهصر، أي: يميل ويدفع ويكسر.
(٥) الجسور: الشجاع الضخم.
(٦) مخضلّ: مبتلّ.

جَاشَتْ بِهِ الأَحْزَانُ، إِذْ طَفَحَتْ بِهَا تِلْكَ الصُّدُوعُ[1]

* * *

يَبْكِي عَلى الحُلْمِ البَعِيـ ـدِ بِلَوْعَةٍ، لا تَنْجَلِي
غَرِداً، كَصَدّاحِ الهَوَا تِفِ في الفَلا، وَيَقُول لي:[2]

* * *

«طَهِّرْ كُلُومَكَ بالدُّمُو ع، وَخَلِّهَا، وَسَبِيلَهَا»[3]
«إِنَّ المَدَامِعَ لا تَضِيـ ـعُ حَقِيرَهَا وَجَلِيلَهَا»

* * *

«فَمِنَ المَدَامِعِ ما تَذْ ـعَ جَارِفاً حَسَكَ الحَيَاةْ»[4]
«يَرْمِي لِهَاوِيَةِ الوُجُو دِ بِكُلِّ ما يَبْنِي الطُّغَاةْ»

* * *

«وَمِنَ المَدَامِعِ مَا تَأَلّ ـقَ فِي الغَيَاهِبِ كَالنُّجُومْ»[5]
«وَمِنَ المَدَامِعَ مَا أَرا ح النَّفْسَ مِنْ عبءِ الهُمُومْ»

* * *

فَارْحَمْ تَعَاسَتَهُ، وَنُحْ مَعَهُ عَلَى أَحْلامِهِ
فَلَقَدْ قَضَى الحُلْمُ البَدِيـ ـعُ عَلى لَظَى آلامِهِ[6]

* * *

يا شِعْرُ! يا وَحْيَ الوُجو دِ الحيِّ، يا لُغَةَ المَلائِكْ[7]
غَرِّدْ، فأَيَّامِي أَنا تَبْكِي عَلى إِيقَاعِ نايكْ[8]

---

(١) جاش: غلى، جاشت العين: فاضت. الصُّدوع: جمع الصَّدع: الشق.
(٢) صَدَح الطائر: رفع صوته بغناء. الهواتف: جمع الهاتف: ما تسمع صوته. الفلا والفلاة: القفر، أو المفازة لا ماء فيها.
(٣) الكُلوم: جمع الكَلْم: الجرح.
(٤) الحَسَك: نبات له شوك، والحَسَك: العداوة والحقد. ويريد: كل مصاعب الحياة، المادية والمعنوية.
(٥) الغياهب: جمع الغَيهب: الظلمة. تألّق: التمع.
(٦) اللظى: النار، أو لهبها.
(٧) الملايك، أي: الملائكة.
(٨) الناي: من الآلات الموسيقية.

رَدِّدْ عَلَى سَمْعِ الدُّجَى أَنَّاتِ قَلْبِي الوَاهِيَهْ[1]
واسْكُبْ بِأَجْفَانِ الزُّهُو رِ دُمُوعَ قلبي الدَّامِيَهْ

* * *

فَلَعَلَّ قَلْبَ اللَّيل أَرْ حَمُ بالقُلُوبِ البَاكِيَهْ
ولَعَلَّ جَفْنَ الزَهرِ أحْ فَظُ للدُّمُوعِ الجَارِيَهْ

* * *

كَمْ حَرَّكَتْ كَفُّ الأسـ ـى أَوْتَارَ ذَيَّاكَ الحَنِينْ
فَتَهَامَلَتْ أَحْزَانُ قَلـ ـبِي فِي أَغَارِيدِ الأَنِينْ[2]

* * *

فَلَكَمْ أَرِقْتُ مَدَامِعِي، حتَّى تَقَرَّحَتِ الجُفُونْ
ثُمَّ التَفَتُّ، فَلَمْ أجِدْ قَلْباً يُقَاسِمُنِي الشُّجُونْ

* * *

فَعَسَى يَكُونُ اللَّيلُ أَرْ حَمَ، فَهُوَ مِثْلِي يَنْدُبُ
وَعَسَى يَصُونُ الزَّهْرُ دَمْـ ـعِي، فَهُوَ مِثْلِي يَسْكُبُ

* * *

قَدْ قَنَّعَتْ كَفُّ المَسا ءِ الموتَ بالصَّمْتِ الرَّهِيبْ،
فَغَدا كَأَعْمَاقِ الكُهُو فِ، بِلا ضَجِيجٍ أو وَجِيبْ[3]

* * *

يَأتِي بِأَجْنِحَةِ السُّكُو نِ، كَأَنَّهُ اللَّيلُ البَهِيمْ
لَكِنَّ طَيْفَ الموتِ قَا سٍ، والدُّجَى طَيفٌ رَحِيمْ

* * *

مَا لِلمَنِيَّةِ لا تَرِ قُّ عَلى الحَيَاةِ النَّائِحَهْ؟

---

(١) الدجى: ظلمة الليل. أنّات: جمع أنّة من الأنين. الواهية: الضعيفة.
(٢) تهاملت، وانهملت، أي: فاضت. وانهملت السماء: دام مطرها في سكون.
(٣) الوجيب: الخفقان.

سِيَّانِ أفئدةٌ، تَيَّـ ـنُ، أوِ القُلُوبُ الصَّادِحَهْ[1]

* * *

يَا شِعْرُ! هَلْ خُلِقَ المَنُو نُ بلا شعورٍ كالجَمَادْ؟
لا رَعْشَةً تَعْرُو يديْـ ـهِ إذَا تملَّقَهُ الفُؤَادْ؟[2]

* * *

أرأيتَ أزْهَارَ الرَّبيـ ـعِ، وَقَدْ ذَوَتْ أوراقُهَا[3]
فَهَرَتْ إلى صَدْرِ الثَّرا بِ، وَقَدْ قَضَتْ أشْواقُهَا؟[4]

* * *

أرأيتَ شُحْرورَ الفَلا، مُتَرَنِّمًا بَيْنَ الغُصُونْ[5]
جَمَدَ النَّشِيدُ بِصَدْرِهِ، لَمَّا رأى طَيْفَ المَنُونْ؟[6]

* * *

فَقَضَى، وَقَدْ غَاضَتْ أغَا ريدُ الحَياةِ الطَّاهِرَهْ[7]
وَهَوى مِنَ الأغْصَانِ، مَا بَيْنَ الزُّهُورِ البَاسِرهْ؟[8]

* * *

أرأيتَ أمَّ الطِّفْلِ تَبْـ ـكِي ذَلكَ الطِّفْلَ الوَحِيدْ
لَمَّا تَنَاوَلَهُ، بَعُنْفٍ، سا عِدُ المَوتِ الشَّدِيدْ؟

* * *

أسَمِعْتَ نَوْحَ العَاشِقِ الـ ولْهَانِ، مَا بينَ القُبُورْ

---

(١) سيّان: مِثلان، الصادح: الذي يرفع صوته بغناء.
(٢) تملّقه: تودد إليه. قوله: تعرو يديه، أي تغشاهما.
(٣) ذَوَت: ذبلت.
(٤) هَرَتْ: في الأصل هَرَّتْ فخففها الشاعر. هَرَّت وهَرَت، يعني: يبست وتنفشّت. وقد تكون مخففة من قولهم: هرأه البرد إذا قتله.
(٥) الشحرور: طائر. الفلا والفلاة: القفر، والمفازة لا ماء فيها.
(٦) الطَّيف: الخيال الطائف في المنام. المنون: الدهر، والموت.
(٧) قضى، أي: هلك. غاض الماء: نقص وقلّ.
(٨) هوى: سقط. الباسرة، من البَسْر: ابتداء الشيء.

يَبْكِي حَبِيبَتَهُ؟ فَيا لِمَصَارِعِ المَوتِ الجَسُورْ![1]

* * *

طَفَحَتْ بِأَعْماقِ الوُجُو دِ سَكِينَةُ الصَّبْرِ الجَلِيدْ[2]
لَمّا رَأى عَدْلَ الحَيا ةِ يَضُمُّه اللَّحدُ الكَنُودْ[3]

* * *

فَتَدَفَّقَتْ لَحْناً، يُرَدِّ دُهُ على سَمْعِ الدُّهُورْ
صَوتُ الحياةِ بِضَجَّةٍ...، تَسْعَى على شَفَةِ البُحُورْ

* * *

يا شِعْرُ! أنتَ نَشِيدُ أمْ واجِ الخِضَمِّ السّاحِرهْ[4]
النّاصِعَاتِ، البَاسِمَا تِ، الرّاقِصَاتِ، الطّاهِرهْ

* * *

السّافِراتِ، الصّادِحَا تِ مَعَ الحياةِ إلى الأبدْ؟[5]
كَعَرائسِ الأَمَلِ الضَّحُو كِ، يَمِسْنَ مَا طَالَ الأَمَدْ[6]

* * *

هَا إنَّ أَزْهَارَ الرَّبِيـ ـعِ تَبَسَّمَتْ أَكْمَامُها
تَرنُو إلى الشَّفَقِ البَعِيـ ـدِ، تَغُرُّها أَحْلامُها[7]

* * *

فِي صَدْرِهَا أَمَلٌ، يَحِدّ قُ نَحْوَ هاتِيكَ النُّجُومْ
لَكِنَّه أَمَلٌ، سَتُلْحِدُه جَبَابِرةُ الوُجُومْ[8]

---

(١) الجسور: الشجاع الضخم.
(٢) طفح: امتلأ وارتفع. الجليد، أي: الشديد.
(٣) اللحد: القبر. الكنود: الكافر بالنعمة.
(٤) الخضَمّ: البحر.
(٥) الصادحات: الرافعات الصوت بغناء. السافرات: المسافرات. أو المشرقات المضيئات. يُقال: سَفَر الصبحُ: أضاء وأشرق.
(٦) يمسن: يتمايلن، يتبخترن.
(٧) رنا، من الرُّنو وهو إدامة النظر بسكون الطّرف.
(٨) تلحده: تدفنه، تضعه في اللحد أي القبر. جبابرة: جمع جبّار. الوجوم: العبوس. والسكوت على غيظ.

فَلَسَوْفَ تُغْمِضُ جَفْنَهَا، عَنْ كُلِّ أضواءِ الحياةْ
حَيْثُ الظَّلامُ مخيِّمٌ في جوِّ ذَيَّاكَ السُّبَاتْ

* * *

هَا إنَّها هَمَسَتْ بِآ ذانِ الحَياةِ غَرِيدَهَا
فَتَلَتْ عَصَافِيرُ الصَّبَا حِ صُدَاحَهَا وَنَشِيدَهَا[1]

* * *

يا شِعْرُ! أنْتَ نَشِيدُ هَا تيكَ الزُّهُورِ البَاسِمَهْ
يَا لَيْتَني مِثْلُ الزُّهو رِ، بلا حَياةٍ وَاجِمَهْ

* * *

إنَّ الحَيَاةَ كئيبةٌ، مَغْمُورةٌ بِدُمُوعِهَا!!
والشَّمسُ أضْجَرَهَا الأسى، في صَحْوِهَا وَهُجُوعِهَا

* * *

فَتَجَرَّعَتْ كَأساً دِها قاً، مِنْ مُشْعْشَعَةِ الشَّفَقْ[2]
فَتَمَايَلَتْ، سَكْرَى إلى كَهْفِ الحَيَاةِ.. وَلَمْ تُفِقْ

* * *

يا شِعْرُ! أنتَ نَحِيبُهَا لَمَّا هَوَتْ لِسُبَاتِهَا[3]
يا شِعْرُ أنتَ صُدَاحُهَا، في مَوْتِهَا وَحَيَاتِهَا

* * *

أنْظُرْ إلى شَفَقِ السَّمَا ءِ، يَفِيضُ عَنْ تِلْكَ الجِبَالْ
بِشُعَاعِهِ الخَلَّابِ، يَغْ مُرُهَا بِبَسْمَاتِ الجَمَالْ

* * *

فَيُثِيرُ في النَّفْسِ الكَئِيـ ـبَةِ عَاصِفاً لا يَرْكُدُ

---

(١) الصُّداح: رفع الصوت بغناء.
(٢) كأس دِهاق: ممتلئة أو متتابعة.
مشعشَع: متفرّق. وقوله مشعشعة الشّفق، يعني الشمس الغاربة.
(٣) النحيب: أشد البكاء. السُّبات: النوم وخفته.

وَيُؤَجِّجُ الْقَلْبَ الْمُعَـ ـذَّبَ شُعْلَةً لا تَخْمُدُ[1]

* * *

يَا شِعْرُ! أَنْتَ جَمَالُ أَضْـ ـواءِ الْغُرُوبِ السَّاحِرَهْ
يَا هَمْسَ أَمْوَاجِ السَّمَا ءِ، الْبَاسِمَاتِ الْحَائِرَهْ

* * *

يَا نَايَ أَحْلامِي الْحَبِيبَـ ـةِ! يَا رَفِيقَ صَبَابَتِي[2]
لَوْلاكَ مُتُّ بِلَوْعَتِي، وَبِشِقْوَتِي، وَكَآبَتِي

* * *

فِيكَ أَنْطَوَتْ نَفْسِي، وَفِيـ ـكَ نَفَخْتُ كُلَّ مَشَاعِرِي
فَاصْدَحْ عَلى قِمَمِ الْحَيَا ةِ بِلَوْعَتِي، يَا طَائِرِي

نشيد الأسى[3]

[من مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لِلَيْـ ـلِ النَّفْسِ مِنْ صُبْحٍ قَرِيبْ؟
فَتَقُرَّ عَاصِفَةُ الظَّلا مِ، وَيَهْجَعَ الرَّعْدُ الْغَضُوبْ[4]
وَيُرَتِّلَ الإِنْسَانُ أغـ ـنِيَةً مع الدُّنيا، طُرُوبْ

* * *

مَا لِلرِّياحِ تَهُبُّ في الدُّ نيا، ويدركُهَا اللُّغوبْ[5]
إِلاَّ رياحي، فَهْيَ جَا ءَتْ، تَمَرُّدُهَا عَصِيبْ؟[6]
ما لي تُعَذِّبُني الحيا ةُ كَأَنَّني خَلْقٌ غَرِيبْ؟
وَتَهُدُّ مِنْ قلبي الجسـ ـمَ؟ فَهَلْ لقلبي مِنْ ذُنُوبْ؟

---

(١) الأجيج والتأجُّج: تلهُّب النار.
(٢) الناي: من الآلات الموسيقية. الصَّبابة: رِقَّة الشَّوق.
(٣) نظمها في ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ/ ٢٨ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٨ م.
(٤) تقر: تستقر. الهجوع: النوم ليلاً.
(٥) اللغوب: الحمق، والضعف.
(٦) جامحة: غالبة.

وإذا سَأَلْتُ: «لِمَ الوجو دُ، وكُلُّهُ همٌّ مُذِيبْ؟»
قالتْ: «نواميسُ السَّماءِ قَضَتْ، وَمَا لَكَ مِنْ هُرُوبْ؟»(١)
آهٍ على قلبي! وَإِنْ شَقِيَـ ـتْ كَشَقْوَتِهِ قُلُوبْ
أنقى مِنَ الموجِ الوضي ءِ، وَمِنْ نَشِيدِ العَتْدليبْ
لم تَقْتَرِفْ إِثْمَ الحيا ةِ، وكان مأواها اللُّهِيبْ

* * *

يَا مُهْجَةَ الغَابِ الجميلِ أَلَمْ يُصَدِّعْكِ النَّحيبْ؟
يَا وجْنَةَ الوَرْدِ الأنيـ ـقِ أَلَمْ تشوِّهْكِ النُّدوبْ؟(٢)
يا جَدْولَ الوادي الطَّروبَ أَلَمْ يُرَنِّقْكَ القُطُوبْ؟
يا غَيْمَةَ الأُفُقِ الخَضِيبِ أَلَمْ تُمَزِّقْكِ الخُطوبْ؟
يا كَوْكَبَ الشَّفَقِ الضَّحوكَ أَمَا أَلَمَّ بِكَ الشُّحُوبْ؟
ها أنتَ ذَا في الأفْقِ تَضْـ ـحَكُ، لا تُهَمُّ، ولا تُخِيبْ
تُلقي على قُنَنِ الجبَا لِ رِداءَ أَلْاءٍ قَشِيبْ(٣)
لِتَنامَ أورادُ الجبالِ الشُّـ ـمِّ، في مَهْدٍ عَجِيبْ(٤)
ولكي تغنِّيكَ الجَدَا وِلُ لَحْنَها العَذْبَ الحَبِيبْ
وتَرى جَمالَكَ مِنْ بنا تِ الغَابِ مِعطارٌ، لَعُوبْ
معشوقةٌ، في فَرْعِها تَاجٌ مِنَ الوَرْدِ الخَضِيبْ(٥)
تَتْلُو أناشِيدَ الرَّبيـ ـعِ، كأنَّها نَجْوَى القُلُوبْ
يا كوكبَ الشَّفَقِ الضَّحُو كِ! وأنتَ مبْتَهِلُ الكَئِيبْ
لُحْ في السماءِ! وغنِّ أبـ ـناءَ الشَّقَاوةِ والخُطوبْ(٦)
أنشودةً تَهَبُ العَزا ءَ لِكلِّ مُبتئسٍ غَرِيبْ

---

(١) النواميس: جمع الناموس، وهو صاحب السِّر، وأراد أسرار السماء.
(٢) النُّدوب: جمع النُّدبة: أثر الجرح الباقي على الجلد.
(٣) قُنن: جمع قُنة: أعلى الجبل، والجبل الصغير. قشيب: جديد، وخلق، ضد. والقشيب: الأبيض والنظيف، وهذا المعنى أراد.
(٤) أوراد: جمع وَرْد، والورد من الشجرة: نَورها. والورد من الخيل: بين الكُميت والأشقر. الشُّم: المرتفعة والواحد أشم.
(٥) الفَرْع من كل شيء: أعلاه. والفَرْع: الشعر التام. الخضيب: والملوّن المصبوغ.
(٦) قوله: لُح، يعني أظهرْ. الخطوب: جمع الخَطْب: الشأن، والأمر صغر أو عظم.

فالطير قد أغفت، وأسـ ـكتَ صوتها الليلُ الهَيوبْ[1]
وابسطْ جَناحَكَ في الوُجُو دِ، فإنهُ عَذْبٌ، خَلُوبْ
مُتَألِّقٌ بين النُّجو مِ، كأنهُ حُلْمٌ طَرُوبْ
وانْشُرْ ضِيَاءَكَ ساطعاً، لِيُنِيرَ أعماقَ القُلُوبْ
فَعَلى جَوَانِبِها مِنَ الأ حزانِ دَيْجُورٌ رَهِيبْ[2]

* * *

مَا لِلْمياهِ نقيّةٌ حوْ لِي، وَيُنْبُوعي مَشُوبْ؟[3]
مَا للصَّباحِ يَعُودُ للدُّ نيا، وصُبْحِي لا يَؤُوبْ؟[4]
مَا لي يَضِيقُ بي الوجو دُ، ولكُّ ما حَولِي رَحِيبْ؟
ما لي وَجَمْتُ وَكُلُّ ما في الغَابِ مُغْتَرِدٌ طَروب؟
ما لي شَقِيتُ، وَكُلُّ ما في الكونِ أخّاذٌ عَجِيبْ:
في الأرض أقدامُ الرَّبيـ ـع تُلامِسُ السَّهْلَ الجَديبْ[5]
فإذا به يحيا، وَيُنْـ ـبِتُ رائقَ الزَّهرِ الرَّطيبْ
وَهُناكَ أنوارُ النُّها رِ تُطِلُّ مِنْ خَلْفِ الغُروبْ
فَتُخَضِّبَ الأمواجَ، والآ فاقَ، والجَبَلَ الخَصِيبْ
إنّ الوُجودَ الرَّحْبَ، والـ ـغاباتِ، والأُفُقَ الخَضيبْ
لَمْ تَخْبُ أشواقُ الحيا ةِ بِها، فَغادَرَها القُطُوبْ[6]
أما أنا فَفَقَدْتُها، واللَّيلُ مُرْبَدٌّ، رَهِيبْ[7]
والرِّيحُ تَعْصِفُ بالورود...، فَعِشْتُ سُخْرِيَةَ الخُطوبْ..

* * *

مَهْما تَضاحَكَتِ الحيا ةُ فإنّني أبداً كَئيبْ
أُصْغِي لأوجاعِ الكَآ بةِ لا تُجيبْ

---

(١) الهيوب: ذو الهيبة.
(٢) الدَّيجور: الظلام.
(٣) مشُوب: مخلوط. يريد: مكتدر.
(٤) يؤوب: يعود.
(٥) الجديب: الماحل.
(٦) القُطوب: العبوس.
(٧) مربَد: مغبرّ.

في مَهْجَتي تَتَأوَّهُ البَلْـ ـوَى، وَيَعْتَلِجُ النَّحيبْ[1]
وَيَضُجُّ جبَّارُ الأسى، وَتَجيشُ أمواجُ الكُروبْ[2]
إنّي أنا الرُّوحُ الَّذي سيَظَلُّ في الدُّنيا غَريبْ
وَيَعِيشُ مُضْطَلِعاً بأحـ ـزانِ الشَّبِيبةِ والمَشِيبْ

في سكونِ الليلِ [3]

[الرَّمَل]

أيها الليلُ الكئيبْ أيها الليل الغريبْ
مِن وراء الهَوْل مِن خلف نِقاب الظلماتْ
في خلاياك تراءتْ لي أحزانُ الحياة
ها أنا أرنو فألفيـ ـك كجبّارٍ حطيمْ[4]
ساكناً جلّلك الحزن وأضْنَاك الوجومْ[5]
هاجِعاً طافتْ بأعشا رِكَ أحلام غِضابْ[6]
صامتاً، تصغي لأنّا تِ الأسى، والانتحابْ
رابضاً كالهَوْل في إحدى زوايا الهاويهْ
ساكباً في راحة الـ ـفجر، الدموع الداميه
ضلّ من سَمَّاك يا ليل بني الحزن، بهيمْ
إنما أنت بما تحويه من شجو، رحيمْ
ما الذي خلف الغيوم ما الذي خلفَ النجومْ
ما الذي يكتمه الدهر ويخفيه الغد
ما الذي يحجبه غيم الحياة الأرْبَدُ؟[7]
ما الذي خلفك يا ليلُ! أويلٌ أم سلامْ

---

(١) المهجة: الدم أو الروح. يعتلج: يتلاطم. النحيب: شدة البكاء.
(٢) الكروب: جمع الكرب.
(٣) ليست في أصول الديوان.
(٤) أرنو: أديم النظر بسكون طَرْف، أو أعجب. ألفى: وجد.
(٥) الوجوم: العبوس.
(٦) الأعشار: القِطع. والواحد عُشر.
(٧) الأربد: المغبّر.

ما الذي خلفك؟ يا ليلُ! أنورٌ، أم ظلامْ؟
هل سيبدو الفجرُ بسّاماً، كعذراء الخلودْ
تالياً أنشودة الـ ـحبِّ، على سمع الوجودْ؟
أم سيبدو من وراء الأفق، جبّاراً عنيدْ
ينذرُ الأيام بالشرّ وبالهولِ المَريدْ؟
هل سيبدو الفجر يا ليلُ! إذا جاء الغدُ
وجناحاه إذا رفّ اللهيبُ الأسودُ؟
أيها القلب الدهاقْ بشجون لا تُطاقْ[1]
أيها المحزون يا شاعرَ الدهر الكئيبْ
إنما أنشودة الدهر نواحٌ، ونحيب
عنّيا يا ليل لنسعى نحو هاتيك الفلاةْ
حيث تقضي بسكون زاهرات ناضراتْ
إنّ ما بين أزاهير الفلاةِ الواجمةْ
شاعراً أيأسَهُ حُزنُ الحياة الساهمةْ
وعلى التُرب الذي اخضل بأنداء الغمام
حطّ: دعني في سباتي وعلى الدنيا السلامْ

الكآبة المجهولة[2]

[من المنسرح]

أنا كَئيبْ،
أنا غَريبْ،
كآبتي خالفتْ نظائرَها غريبةٌ في عوالمِ الحزنِ
كآبتي فكرةٌ مغرّدةٌ مجهولةٌ مِنْ مَسامِعِ الزّمَنِ
لكنني قد سمعتُ رنّتَها بمُهْجَتي، في شَبابيَ الثّمِلِ[3]
سمعتُها، فانصرفتُ مُكتئِبا أشدو بِحُزني، كطائرِ الجَبَلِ

(١) الدهاق: الكثير.
(٢) نظمها في ٢٧ محرّم ١٣٤٥ هـ/ ٧ أوت ١٩٢٦ م.
(٣) ثَمِل: سكران.

سَمِعْتُهَا أَنَّةً يرجِّعُها ... صَوْتُ اللَّيالي، وَمُهْجَةُ الأزل[1]
سَمِعْتُها صَرْخَةً مُضَعْضَعَةً ... كَجَدْولٍ في مَضايِقِ السُّبُلِ[2]
سَمِعْتُها رَنَّةً، يَعانِقُها ... شوقٌ إلى عالمٍ يُضَعْضِعُها
ضَعِيفةً مثلَ أَنَّةٍ صَعَدَتْ ... مِنْ مُهْجَةٍ هدَّها تَوجُّعُها
كآبةُ النَّاسِ شُعْلةٌ، وَمَتى ... مرَّتْ ليالٍ خَبَتْ مع الأَمَدِ
أَمَّا اكتِئابي فَلَوْعَةٌ سَكَنَتْ ... رُوحي، وَتَبْقَى بِها إلى الأَبَدِ

أَنا كئيبٌ، أَنا غَرِيبُ

وَلَيْسَ في عالمِ الكآبةِ مَنْ ... يَحْمِلُ مِعْشارَ بَعْضِ ما أَجِدُ[3]
كآبتي مرَّةً، وَإِنْ صَرَخَتْ ... روحي فلا يسمعُها الجَسَدُ
كآبتي ذاتُ قَسْوَةٍ صَهَرَتْ ... مَشاعِري في جَهَنَّمَ الأَلَمِ
لَمْ يَسْمَعِ الدَّهْرُ مِثْلَ قَسْوَتِها ... في يَقْظَةٍ قَطُّ، لا، ولا حُلُمِ
كآبتي شُعْلةٌ مؤجَّجةٌ، ... تَحْتَ رَمادِ الكَوْنِ تستعرُ[4]
سَيَعْلَمُ الكَوْنُ ما حَقِيقَتُها ... وَيَطْلَعُ الفَجْرُ يومَ تَنْفَجِرُ
كآبةُ النَّاسِ شُعْلَةٌ، ومتى ... مرَّت ليالٍ خَبَتْ مِنَ الأَمَدِ
أَمَّا اكتئابي فَلَوْعَةٌ، سَكَنَتْ ... رُوحي، وَتَبْقَى بِها إلى الأَبَدِ

السَّآمة[5]

[من المتقارب]

سَئِمتُ الحَياةَ، وَما في الحَياةِ ... وَما إِنْ تَجاوزْتُ فَجْرَ الشَّبابْ
سَئِمتُ اللَّيالي، وَأَوجاعَها ... وَما شَعْشَعتْ من رحيقٍ بِصَابْ[6]
فَحَطَّمتُ كَأْسي، وَأَلقَيتُها ... بِوادي الأَسَى وَجَحِيمِ العَذَابْ

---

(١) المهجة: الدم أو الروح.
(٢) مضعضعة: خاضعة وذليلة.
(٣) معشار: يريد جزءاً من عشرة.
(٤) مؤجّجة: ملتهبة. تستعر: تشتعل.
(٥) نظمها في ١٥ رمضان ١٣٤٥ هـ/ ١٩ مارس آذار ١٩٢٧ م.
(٦) شعشع الشرابَ: مزجه. الرحيق: الخمر أو أطيبها. الصَّاب: جمع الصَّابة: ضرب من الشجر مر، والمصيبة.

فَأَنَّتْ، وَقَدْ غَمَرَتْهَا الدُّمُوعُ ... وَقَرَّتْ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا الحَبَابْ[1]
وَأَلْقَى عَلَيْهَا الأَسَى ثَوْبَهُ ... وَأَقْبَرَهَا الصَّمْتُ وَالإِكْتِئَابْ

* * *

فَأَيْنَ الأَمَانِي وَأَلْحَانُهَا؟ ... وَأَيْنَ الكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابْ
لَقَدْ سَحَقَتْهَا أَكُفُّ الظَّلَامِ ... وَقَدْ رَشَفَتْهَا شِفَاهُ السَّرَابْ[2]
فَمَا العَيْشُ فِي حَوْمَةٍ بَأْسُهَا ... شَدِيدٌ، وَصَدَّاحُهَا لَا يُجَابْ[3]
كَئِيبٌ، وَجِيدُ بِآلَامِهِ ... وَأَحْلَامِهِ، شَدْوُهُ الانْتِحَابْ[4]
ذَوَتْ فِي الرَّبِيعِ أَزَاهِيرُهَا ... فَنِمْنَ، وَقَدْ مَصَّهُنَّ التُّرَابْ[5]
لَوَيْنَ النُّحُورَ عَلَى ذِلَّةٍ ... وَمُتْنَ وَأَحْلَامُهُنَّ العِذَابْ[6]
فَحَالَ الجَمَالُ، وَغَاضَ العَبِيرُ ... وَأَذْوَى الرَّدَى سِحْرَهُنَّ العُجَابْ[7]

قبضة من ضباب[8]

[من مجزوء الكامل]

مَهْمَا تَأَمَّلْتُ الحَيَا ... ةَ، وَجُبْتُ مَجْهَلَهَا الرَّهِيبْ
وَنَظَرْتُ حَوْلِي، لَمْ أَجِدْ ... إِلا شُكُوكَ المُسْتَرِيبْ
حَتَّى دَهِشْتُ، وَمَا أَفِدْ ... تُ بِدَهْشَتِي رَأْياً مُصِيبْ
لَكِنَّنِي أَجْهَدْتُ نَفْسِي، ... وَهْيَ بَادِيَةُ اللُّغُوبْ[9]
وَدَفَعْتُهَا وَهْيَ الهَزِيـ ... ـلَةُ فِي مُغَالَبَةِ الكُرُوبْ[10]

---

(١) حباب الماء والرّمل: معظمه، أو طرائقه، قرّت: ثبتت.
(٢) رشف: امتصّ.
(٣) حومة الشيء: معظمه. الصدّاح: الذي يرفع صوته بغناء.
(٤) الانتحاب: البكاء الشّديد.
(٥) ذوت: ذبلت.
(٦) النحور: تحوّل وتغيّر إلى العوج،
(٧) وغاض العبير: نقص وقلّ. أذوى: ذبل. عُجاب: عجيب.
(٨) نظمها في ٥ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ/ ١٢٠ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٨ م.
(٩) اللغوب: الضعف والحماقة.
(١٠) الكروب: جمع الكَرْب: الحزن يأخذ بالنفس.

في مَـهْـمَـهٍ مُـتَـقَـلِّبٍ، تُحْشى غَـوَائِـلُه، جَـدِيـبْ[1]
فـإذا أَصَـابَـتْ مِـنْ مِـنـا هِـلِهِ شراباً تَـسْـتَـطِـيـبْ[2]
أروتْ جـوانِـحَـهَـا، وذ لـكَ حَسْبُـهـا كـيـما تَؤُوبْ[3]
وَمَـنِ ارتـوى في هـذه الـدُّ نـيـا تَـسَـنُّـمَـهَـا خَـطِـيـبْ؟
أَوْ لاَ فـقـد رَكِـبَـتْ مِـنَ الأَ يّـامِ مَـرْكَـبَـهـا الـعَـصِـيـبْ..
وَقَـضَـتْ كـمـا شَـاءَ الخُـلـو دُ، وفي جـوانِـحِـهَـا الـلَّـهِـيـبْ!

من حديث الشّيوخ[4]

[من الطويل]

أَلا إنَّ أَحْـلاَمَ الـشَّـبَـابِ ضَئِـيـلَةٌ تُحَـطِّمُـهَـا مِثْـلَ الـغُصُـونِ المَـصَـائِبُ
سَـأَلْتُ الـدَّيَـاجِي عَنْ أَمَـانِي شَبِيبَتِي فَقَـالَتْ: «تَـرَامَتْهَـا الـرِّيـاحُ الجَوَائِبُ»[5]
وَلَمَّـا سَـأَلْتُ الـرِّيـحَ عَنْهـا أَجَـابَـنِي: «تَلَقَّفَهَـا سَيْـلُ القَضَـا، وَالنَّوَائِبُ»[6]
«فَصَـارَتْ عَفَـاءً، واضْـمَحَـلَّتْ كَـذَرَّةٍ عَلى الشَّاطِىءِ المَحْمُومِ، وَالمَوْجُ صَاخِبُ»[7]

أيها اللَّيل[8]

[من الخفيف]

أَيُّهـا الـلـيـلُ! يـا أَبَـا الـبـؤسِ والهَـوْ لِ، يَـا هـيـكـلَ الحَيَـاةِ الـرهـيـبِ!
فِـيـكَ تَجْـثُـو عـرائسُ الأَمَـلِ الـعـذْ بِ، تُـصَـلِّي بِـصَـوْتِـه الـمـحـبـوبِ[9]

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة، والبلد المقفر. الغوائل: جمع الغائلة: الحقد الباطن والشر. جديب: مجدب ماحل.

(٢) مناهل: جمع منهل: مورد الماء مشرَب.

(٣) الجوانح: جمع الجانحة: الضلع تحت الترائب مما يلي الصدر. تؤوب: تعود.

(٤) نظمها في ١٥ محرّم ١٣٤٤ هـ/ ٥ أوت أغسطس آب ١٩٢٥ م. وهي مما نشره زين العابدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن ١٤».

(٥) دياجي الليل: حنادسه أي ظلمته وكأنه جمع ديجاة. الجوائب: أي التي تجوب البلاد.

(٦) تلقف: تناول بسرعة. النوائب: جمع النائبة: المصيبة.

(٧) عفاء: دارسة. المحموم: الذي أصابته الحمى.

(٨) نظمها في ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ/ جوان ـ حزيران ١٩٢٧ م.

(٩) تجثو: تجلس على ركبتيها.

فَيُثيرُ النَّشيدُ ذكرى حياةٍ ... حَجَبَتْهَا غُيُومُ دَهْرٍ كئيبِ
وَتَرُفُّ الشُّجونُ مِنْ حول قلبي ... بسُكُونٍ، وَهَيْبَةٍ، وقُطُوبِ[1]
أنتَ يا ليلُ! ذرَّةٌ، صَعَدَتْ لل ... كون، من مَوْطِئِ الجحيم الغَضوبِ
أيُّها الليلُ! أنت نَغْمُ شَجِيٌّ ... في شفاهِ الدُّهورِ، بين النَّحيبِ[2]
إنَّ أُنشودَةَ السُّكُونِ، التي ترتجّ ... في صَدْرِكَ الرَّكُودِ، الرَّحيبِ[3]
تُسْمِعُ النَّفْسَ، في هدوء الأماني ... رَنَّةَ الحَقِّ، والجمال الخَلُوبِ[4]
فَتَصوغُ القلوبُ، منها أغاريداً، ... تَهُزُّ الحياةَ هَزَّ الخُطُوبِ[5]
تتلوّى الحياةُ، مِنْ أَلَمِ البؤْ ... س، فتبكي، بِلَوْعَةٍ وَنَحيبِ
وَعَلى مَسْمَعيكَ، تَنْهلُّ نوحاً ... وعويلاً مُرّاً، شجونُ القُلوبِ
فترى بُرْقُعاً شفيفاً، من الأو ... جاعِ، يُلقي عليكَ شجوَ الكَئيبِ
وترى في السُّكونِ أجنحةَ الجبّ ... ار، مُخْضَلَّةً بِدَمْعٍ حَبيبِ[6]
فَلَكَ اللهُ! مِنْ فؤادٍ رَحيمٍ ... ولكَ اللهُ مِنْ فؤادٍ، كئيبِ
يَهْجَعُ الكَوْنُ، في طُمأنينةِ الْغُمْـ ... ـغُورِ، طِفْلاً بِصَدْرِكَ الغِرِّيبِ
وَبأحْضانكَ الرَّحِيمةِ يستيقظُ، في ... نضرة الضُّحُوكِ، الطَّرُوبِ
شَادياً، كالطُّيوبِ بالأملِ العَذْ ... بِ، جميلاً، كَبَهْجَةِ الشُّؤْبُوبِ[7]
يَا ظلامَ الحَيَاةِ! يا رَوْعَةَ الحُزْ ... نِ! وَيَا مِعْزَفَ التَّعيسِ الغَريبِ
وَبقيثارةِ السَّكِينةِ، في كَفْـ ... ـفَيْكَ، تَنْهلُّ رَنَّةُ المَكْرُوبِ[8]
فَيكَ تنمُو زَنَابِقُ الحُلُمِ العذْ ... بِ، وَتَذوِي لَدَى لَهيبِ الخُطُوبِ[9]
خَلْفَ أعماقكَ الكئيبةِ تَنْسا ... بُ ظِلالُ الدُّهورِ، ذاتَ قُطوبِ
وَبِفَوْديكَ، في ضَفائِرِكَ السُّودِ، تَدُبُّ الأيَّامُ أيَّ دَبيبِ[10]

* * *

(١) الشجون: جمع الشَّجَن: الحزن والهم. القطوب: أن يزوي ما بين عينيه ويكلح، أي يعبس.
(٢) النحيب: شدة البكاء.
(٣) ارتج: اهتز. الرّكود: الثابت الساكن.
(٤) الجمال الخلوب: يعني الجمال الأخّاذ. ويقال خلبه عقله، أي: سلبه عقله.
(٥) الخطوب: جمع الخطب: الشأن، والأمر صغيراً أو كبيراً.
(٦) مخضلّة: مبتلّة.
(٧) الشؤبوب: الدفعة من المطر.
(٨) القيثارة: من الآلات الموسيقية. تنهلّ: تصب بشدة. المكروب: الحزين.
(٩) زنابق: جمع زنبق: نبات، واستعملها على سبيل المجاز. تذوي: تذبل.
(١٠) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. ضفائر: جمع ضفيرة: خصلة شعر.

صَاحِ! إنَّ الحياةَ أنشودةُ الحُزْ ... نِ، فَرَتِّلْ على الحياةِ نَحِيبي
إنَّ كأسَ الحياةِ مُتْرَعَةٌ بالدَّ ... مْعِ، فاسْكُبْ على الصَّباحِ حَبيبي[1]
إنَّ وادِي الظَّلامِ يَطْفَحُ بالهَوْ ... لِ، فَما أبْعَدَ ابتسامَ القُلُوبِ!
لا يُغُرَّنَّكَ ابتسامُ بَني الأرْ ... ضِ فَخَلْفَ الشُّعاعِ لَذْعُ اللَّهِيبِ
أنْتَ تدري أنَّ الحياةَ قُطُو ... بٌ وَخُطُوبٌ، فَما حَياةُ القُطُوبِ؟
إنَّ في غيبةِ الدُّهورِ، تِباعاً ... لَخَطِيباً يَمُرُّ إثْرَ خَطِيبِ[2]
سَدَّدَتْ في سكينةِ الكونِ، لِلأعْما ... قِ، نفسي لَحْظاً بعيدَ الرُّسُوبِ
نَظْرَةً مَزَّقَتْ شِغافَ اللَّيالي ... فَرَأَتْ مُهْجَةَ الظَّلامِ الهَيُوبِ
وَرَأَتْ في صَمِيمِها، لَوْعَةَ الحُز ... نِ، وأصْغَتْ إلى صُراخِ القُلُوبِ
لا تُحاوِلْ أنْ تنكرَ الشَّجْوَ، إنِّي ... قَدْ كَرِهْتُ فيها نصيبي..
كُنْ كَما شاءتِ السَّماءُ كَئيباً ... أيُّ شيءٍ يَسُرُّ نفسَ الأريبِ؟[3]
أنفوسٌ تموتُ، شاخِصةً بالهو ... لِ، في ظُلْمةِ القُنُوطِ العَصِيبِ؟[4]
أمْ قُلُوبٌ مُحِطَّاتٌ عَلَى سَا ... حلِ لُجِّ الأسَى، بِمَوْجِ الخُطُوبِ؟
إنَّما النَّاسُ في الحياةِ طيورٌ ... قد رَماهَا القَضَا بِوادٍ رَهِيبِ
يَعْصِفُ الهولُ في جَوَانبِه السو ... دِ فَيَقْضِي على صَدَى العَنْدَلِيبِ

* * *

قَدْ سَألتُ الحياةَ عَنْ نغمةِ الفَجْ ... رِ، وَعَنْ وَجْمةِ المساءِ القَطُوبِ[5]
فَسَمِعْتُ الحياةَ، في هيكلِ الأحزا ... نِ، تشدو بِلَحْنِها المحبوبِ:
مَا سُكوتُ السَّماءِ إلا وُجُومٌ ... مَا نشيدُ الصَّباحِ غيرُ نحيبِ[6]
لَيْسَ في الدَّهْرِ طَائرٌ يتغنَّى ... في ضِفافِ الحياةِ غَيْرَ كَئيبِ
خَضَّبَ الاكتئابُ أجنحَةَ الأيّا ... مِ، بِالدَّمْعِ، والدَّمِ المَسْكُوبِ[7]
وَعجيبٌ أنْ يفرحَ النَّاسُ في كَهْـ ... ـفِ اللَّيالي، بِحُزْنِهَا المَشْبُوبِ![8]

(١) مُترعة: ممتلئة.
(٢) في الأصل «لخطيب يمر» وفي نسخة: «إثر خطوب». والأصح ما أثبتناه.
(٣) الأريب: العاقل.
(٤) القنوط: اليأس.
(٥) الوجمة: العبوس. القطوب: العابس.
(٦) الوجوم: العُبوس. النحيب: شدة البكاء.
(٧) خضّب: لوّن، والخُضاب: الحنّاء، ضرب من الصباغ للشعر وغيره، وفي نسخة: «والدم الأسكوب».
(٨) المشبوب: المشتعل.

كـنـتُ أَرْنـو إلى الحـيـاةِ بِـلَحْظٍ ... بَـاسِـمٍ، والـرَّجَـاءُ دُون لُـغُـوبِ[1]
ذَاكَ عَـهْـدٌ، كَـأَنَّـه رَنَّـةُ الأفـرا ... ح، تَـنْـسَـابُ مِـنْ فَـمِ الـعَـنْـدَلـيـبِ
خُـفِّفَتْ - رَيْـثَـمـا أَصَـحْتُ لَهَـا بـالـقَـلْـ ... ـبِ، حـيـنـاً - وَبُـدِّلَـتْ بِـنَـحِـيـبِ
إنَّ خَـمْـرَ الحـيـاةِ وَرْدِيَّـةُ الـلَّـو ... نِ، ولـكـنَّـهـا سِـمَـامُ الـقُـلُـوبِ[2]

* * *

جَـرَفَـتْ مِـنْ قَـرَارَةِ الـقَـلْـبِ أحـلا ... مِي، إلى اللَّحْـدِ، جَـائِـرَاتُ الخُـطُـوبِ[3]
فَـتَـلاشَـتْ عَـلَى تُخُـومِ الـلـيـالِي ... وَتَهَـاوَتْ إلى الجَـحِـيـمِ الـغَـضُـوبِ
وَثَـوى فِي دُجُـنَّـةِ الـنَّـفْـسِ، وَمْضٌ ... لَمْ يَـزَل بـيـن جـيْـئَـةٍ، وذُهُـوبِ[4]
ذُكْـريـاتٌ تَمِـيـسُ فِي ظُـلْـمَـةِ الـنَّـفْـ ... ـسِ، ضِـئَـالاً، كَـرَائِـعَـاتِ المَشِيبِ[5]
يَـا لِـقَـلْـبٍ تَجَـرَّعَ الـلَّـوعَـةَ المُـرَّ ... ةَ مِـنْ جـدولِ الـزَّمَـانِ الـرَّهِـيـبِ!
وَمَـضَـتْ فِي صَمِـيـمِـهِ شُـعْـلَةُ الحُـزْ ... ـنِ، فَـعَـشَّـتْـهُ مِنْ شُـعَـاعِ الـلَّهِـيـبِ..

---

(١) أرنو، مِن الرُّنُو: إدامة النظر بسكون الطَّرْف، اللُّغُوب: الخمل والضعف
(٢) السِّمام: جمع السَّم: ما يقتل ويميت من العقاقير وغيرها.
(٣) قرارة القلب: قاعة. اللحد: القبر. الخطوب: النوازل، والمصائب.
(٤) ثوى: أقام. الدُّجنة: الظلمة.
(٥) تميس: تتبختر وتتمايل.

فلسفة الثّعبان المقدّس[1]

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان. وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه، فسماه «تضحية» وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول أن تسوغ طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية فتسميها: «سياسة الإدماج» وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم، وبلوغ الكمال الإنساني المنشود، ولكن الفناء حقيقة شنيعة، مبغضة، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام.

[من الكامل]

كان الرَّبيعُ الحيُّ روحاً، حالماً ... غضَّ الشَّبابِ، مُعَطِّرَ الجلبابِ[2]
يَمْشي على الدّنيا، بفكرةِ شاعرٍ ... ويطوفُها، في موكبٍ خَلّابِ
والأفقُ يملأُهُ الحَنانُ، كأنَّهُ ... قَلْبُ الوجودِ المنتجِ الوَهّابِ
والكونُ مِنْ طُهْرِ الحياةِ كأنّما ... هوَ معبدٌ، والغابُ كالمحرابِ
والشّاعرُ الشّحرورُ يَرْقُصُ، مُنشداً ... للشّمسِ، فوقَ الوردِ والأعشابِ
شعْرَ السّعادة والسّلامِ، ونفسهُ ... سَكْرَى بسِحْرِ العالَمِ الخلّابِ
ورآه ثعبانُ الجبالِ، فغمَّه ... ما فيه من مَرَحٍ، وفيْضِ شبابِ
وانقضّ، مضْطَغِناً عليه، كأنّه ... سَوْطُ القضاءِ، ولعنةُ الأربابِ[3]
بُغِتَ الشَّقيُّ، فَصَاحَ في هول القضا ... متلفِّتاً للصَّائلِ المُنْتابِ[4]
وتَدَفَّق المسكينُ يصرخُ ثائراً: ... «ماذا جنيتُ أنا فَحُقَّ عِقابي؟»
«لا شيءَ، إلاّ أنّني متغزِّلٌ ... بالكائناتِ، مغرِّدٌ في غابي»
«ألْقَى من الدّنيا حناناً طاهراً ... وأبُثُّها نَجْوَى المحبِّ الصّابي»[5]

---

(١) نظمها في ٩ جمادى الأولى ١٣٥٣ هـ/ ٢٠ أوت ـ آب أغسطس ١٩٣٤ م.
(٢) الجلباب: القميص، وثوب واسع للمرأة دون الملحفة.
(٣) مضطغن: حاقد. السوط: المقرعة، واستعارة للقضاء.
(٤) الصائل: ذو الصولة، أي السطوة. مُنتاب: الذي يأتي مرّة بعد أخرى.
(٥) أبثّها: أنشرها. الصابي: الذي يميل إلى الصّبا والفتوّة.

«أيُعَدُّ هذا في الوجود جريمةً؟! أينَ العدالةُ يا رفاقَ شبابي؟»
«لا (أين)؟، فالشَّرْعُ المقدّسُ ههنا رأيُ القويِّ، وفكرةُ الغَلّابِ!»
«وَسَعادةُ الضّعفاءِ جُرْمٌ..، ما لَهُ عند القويِّ سوى أشدِّ عِقابِ!»
«وَلْتَشْهَدِ الدُّنيا التي غَنْيْتُهَا حُلْمَ الشَّبابِ، وَرَوعةَ الإعجابِ
«أنَّ السَّلامَ حَقِيقةٌ، مَكْذُوبةٌ والعَدْلَ فَلْسَفَةٌ اللّهيبِ الخابي»[1]
«لا عَدْلَ، إلا إنْ تَعَادَلَتِ القوَى وتَصَادَمَ الإرهابُ بالإرهابِ»
فَتَبَسَّمَ الثُّعبانُ بَسْمةَ هازىءٍ وأجابَ في سَمْتٍ، وفَرْطِ كِذَابِ: [2]
«يا أيُّها الغِرُّ المشرئِرُ، إنَّني أرثِي لثورةِ جِهْلِكَ التلّابِ»[3]
«والغرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغى جهلُ الصِّبا في قلبه الوثّابِ»
«فاكبحْ عواطفكَ الجوامحَ، إنّها شَرَدَتْ بلُبِّكَ، واستمعْ لخطابي»
«إني إلهٌ، طَالَما عَبد الورى ظلّي، وخافوا لعنَتي وعقابي»[4]
«وتقدّموا لي بالضّحايا منهُمُ فَرحينَ، شأنَ العَابدِ الأوّابِ»[5]
«وَسَعَادةُ النَّفسِ التَّقيَّة أنّها يوماً تكونُ ضحيَّةَ الأربابِ»
«فتصيرُ في رُوحِ الألوهة بضعةً، قُدُسِيَّةً، خَلُصَتْ منَ الأوشابِ»[6]
«أفَلا يَسُرُّكَ أنْ تكونَ ضحيَّتي فتحُلَّ في لحمي وفي أعصابي»
«وتكونَ عزماً في دمي، وتوهُّجاً في نَاظِرَيَّ، وحدّةً في نابي»
«وتذوبَ في رُوحِي التي لا تنتهي وتصيرَ بعضَ ألوهتي وشَبابي..؟»
«إنِّي أَرَدْتُ لكَ الخلودَ مؤلّهاً في روحيَ الباقي على الأحقابِ..»
«فكُرْ، لِتُدْرِكَ ما أريدُ، وإنّه أسمى من العيش القَصيرِ النَّابي»[7]
«فأجابه الشُّحرورُ، في غُصَصِ الرَّدَى والموتُ يخنقه: «إليكَ جوابي»: [8]
«لا رأيَ للحقِّ الضَّعيفِ، ولا صدىً والرَّأيُ، رأيُ القاهرِ الغلّابِ»
«فافعلْ مشيئتَكَ التي قد شئتَها وارحمْ جلالكَ من سماعِ خطابي»

---

(١) الخابي: الساكن، الهادىء.
(٢) السَّمت: الطريق، وهيئة أهل الخير.
(٣) الغِر: الشاب لا تجربة له. التّلاب: من التّلب: الخساء، والتلّاب: الخاسر.
(٤) الورى: الخَلْق.
(٥) الأواب: الراجع، ويريد التائب.
(٦) الأوشاب: جمع الوِشْب: الخليط.
(٧) النابي: الذي قبحت صورته فلا تقبلها العين، ويقال: نبا منزله به، إذا لم يوافقه.
(٨) الغصص: جمع الغُصّة: الشجا، وما اعترض في الحلق فأشرق.

وكذاك تُتَّخَذُ المَظَالِمُ منطقاً عذباً لتخفِي سَوْءَةَ الآرابِ [1]

الدّنيا الميتة [2]

[من الكامل]

إني أرى... فأرى جموعاً جَمَّةً لكنّها تحيا بِلاَ ألْبابِ [3]
يَدْوِي حوالَيْها الزّمانُ، كأنّما يدوي حوالَي جندلٍ وترابِ [4]
وإذا استَجَابُوا للزّمانِ تَنَاكروا وَتَراشَقُوا بالشّوكِ والأحْصَابِ [5]
وقضوا على رُوحِ الأُخُوّةِ بينهمْ جَهْلاً وعاشوا عِيشَةَ الأغرابِ
فرِحتْ بهم غولُ التّعاسة والفَنَا وَمَطَامِعُ السّلاّبِ والغَلاّبِ
لُعَبٌ، تُحرِّكُها المَطامعُ، واللّهى وَصَغَائرُ الأحقادِ والآرابِ [6]
وأرى نفوساً، مِنْ دُخانٍ، جامدٍ مَيْتٍ، كأشباحٍ، وراءَ ضَبَابِ
مَوْتَى، نَسُوا شَوْقَ الحياةِ وعزمها وتحرّكُوا كَتَحَرُّكِ الأنْصابِ [7]
وخبَا بهمْ لَهَبُ الوجودِ، فما بقُوا إلاّ كمحترقٍ منَ الأخْشَابِ
لا قلبَ يقتحمُ الحياةَ، ولا حِجَىً يَسْمُو سُمُوَّ الطّائرِ الجوّابِ
بل في التّرابِ المَيِّتِ، في حَزْنِ الثّرى تنمو مَشَاعِرُهُمْ مع الأعشابِ [8]
وتموت خَامِلَةً، كزهرٍ بائسٍ ينمو ويذبُل في ظَلامِ الغَابِ
أبداً تُحدِّقُ في التّرابِ..، ولا تَرَى نورَ السماءِ..، فروحُها كتُرابِ..!
الشّاعرُ الموهوبُ يَهْرِق فنّه هدراً على الأقْدامِ والأعْتابِ
ويعيشُ في كونٍ، عقيمٍ، ميِّتٍ قَدْ شيَّدتْهُ غباوةُ الأحقَابِ [9]

---

(١) الآراب: جمع الأرب: الحاجة.
(٢) نظمها في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ١٠ أوت ـ آب أغسطس ١٩٣٤ م.
(٣) الألباب: جمع اللب: العقل والقلب.
(٤) الجندل: ما يقلّه الرجل من الحجارة.
(٥) الأحصاب: جمع الحصب، وواحدة الحصب: الحَصَبَة: الحجارة.
(٦) اللهى: جمع اللّهية: العطيّة، والحفنة من المال.
(٧) الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيسهل عليها، ويذبح لغير الله تعالى، والواحد: نُصب.
(٨) الحزن: ما غلظ من الأرض. الثري: الندى، والتراب الندي.
عقيم، ورجل عقيم: أي الذي لا يولد له. وحرب عقيم يعني شديدة.
(٩) الأحقاب: جمع الحقبة وهي من الدهر المدة لا وقت لها، والسّنة.

والعالِمُ النِّحريرُ يُنْفِقُ عُمْرَه ... في فَهْمِ ألفاظٍ، وَدوسِ كِتابِ[1]
يحيا على رِمَمِ القَديمِ المجتَوَى ... كالدُّود في جِمَمِ الرِّمادِ الخابي[2]
والشَّعبُ بينهما قطيعٌ، ضائعٌ ... دنياهُ دنيا مأكلٍ وَشَرابِ
أَلويلُ للحسّاس في دنياهُمُ ... ماذا يلاقي مِنْ أسىً وَعَذابِ!

صوتٌ من السَّماء[3]

[من الكامل]

في اللّيلِ نَادَيتُ الكَوَاكِبَ ساخطاً ... متأجِّجَ الآلامِ والأرابِ:
«الحقلُ يَمْلِكُهُ جَبَابِرةُ الدُّجى ... والرَّوضُ يسكُنُهُ بنو الأربابِ»
«والنَّهرُ، للغُول المقدّسة التي ... لا ترتوي، والغابُ للحَطّابِ»[4]
«وعرائسُ الغابِ الجميلِ، هزيلةٌ ... ظمأى لِكُلِّ جَنىً، وَكُلِّ شَرابِ»
«ما هذه الدُّنيا الكريهةُ؟ ويلَهَا! ... حَقّتْ عليها لَعْنَةُ الأحْقابِ»!
«الكونُ مُصْغٍ، يَا كواكبُ، خاشعُ ... طال انتظاري، فانطِقي بِجَوابِ!»

* * *

فسمعتُ صوتاً ساحراً، متموِّجاً ... فوق المروجِ الفِيحِ، والأعشابِ[5]
وَحَفيفَ أجنحةٍ ترفرف في الفضا ... وصدىً يَرِنُّ على سُكون الغابِ:
الفجرُ يُولَدُ باسماً، متهلِّلا ... في الكونِ، بينَ دُجُنَّةٍ وضبابِ»[6]

---

(١) العالِم النِّحرير: الماهر الحاذق.
(٢) الرِّمم: جمع الرمة: البقية. المجتوى: المكروه. الخابي: الخامد، الساكن.
(٣) نظمها في ١١ ذي القعدة ١٣٥١ هـ/ ٨ مارس - آذار ١٩٣٣ م.
(٤) الغول: الهلكة والداهية والسِّعلاة، والحية، أو دابة رأتها العرب وعرفتها وقتلها تأبط شراً، وشيطان يأكل الناس.
(٥) الفِيح: جمع الفيحاء: الواسعة من الدور وغيرها.
(٦) الدُّجنة: الظلمة، والغيم المطبق.

للتّاريخ[1]

[من الكامل]

«البؤسُ لابنِ الشَّعْبِ يأكلُ قلبَه ... والمجدُ والإثراءُ للأغرابِ»
«الشَّعْب مَعْصُوبُ الجفونِ، مُقَسَّمٌ ... كالشَّاة، بين الذِّئب والقَصَّابِ»[2]
«والحقُّ مَقْطُوعُ اللِّسَانِ مُكَبَّلٌ ... والظُّلْمُ يمرَح مُذْهَبَ الجلبابِ»[3]
«هذَا قليلٌ مِنْ حَياةٍ مُرَّة ... في دولةِ الأنْصَابِ والأَلْقَابِ»[4]

وعود الغواني[5]

[الرمل]

علّلتني بارتشاف الضّرب ... مِن جَنى ثغرٍ جميل أشْنبِ[6]
قد تحلّى طَلعُه مِن ظَلَمٍ ... يخلبُ اللُّبَّ بنظمِ الحَبَبِ[7]
فإذا القولُ سرابٌ لامع ... وإذا الوعدُ كبرقٍ خُلَّبِ
وإذا المربع قاعٌ صَفصَف ... مقفرٌ، إلا بِرثِّ الطُّنَبِ[8]

ليلة عند الحبيب[9]

[الرمل]

أنا مأسورٌ لذات الحُجُبِ ... بنبالٍ صُوّبتْ عن كثبِ

---

(١) نظمها في ٢٠ شوّال ١٣٥١ هـ/ ١٦ فيفري - شباط ١٩٣٣م.
(٢) قوله: معصوب، من العِصابة وهي العِمامة، وما عُصب به أي: شُدّ. ويريد أن الشعب لا يرى. القصّاب، يعني: الجزّار.
(٣) الجلباب: القميص، والثوب الواسع تلبسه المرأة.
(٤) الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصَب فيهل عليها، ويذبح لغير الله تعالى.
(٥) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».
(٦) الارتشاف: الامتصاص. أشْنب: عذب.
(٧) الحَبَب: تنضد الأسنان، وما جرى عليها من الماء.
(٨) القاع: ما اطمأن من الأرض. الصفصف: المستوي من الأرض.
(٩) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.

كاعبٌ، هيفاءُ، بضٌّ، طفلةٌ ... دُميةٌ منها جميع العجب
خطرَتْ تمشي بروض زاهر ... مِشية الخيل بِوحْل السَّبسبِ[1]
ورنَت نحوي بطرفٍ فاترٍ ... ينفث السِّحر بجفن أهدب[2]
ونبالٍ صوّبَتها، جمّةٍ ... نحو قلبي الهائم المضطرب
تُرسل الليل بفرع فاحم ... ضاع من جنحيه نثر الزونبِ
لستُ أنسى ليلةً حالكةً ... سُرْبِلَتْ زرقاؤها بالسحب
لبسَتْ ثوب ظلامٍ دامس ... وسكونٍ هائلٍ ذي رَهَب
ليلةً قد خُفتها، منفرداً ... في دياجي جوف ذاك الغيهب[3]
سار بي مُهري فيها عَنَقا ... وزمانا سيره ذو خَبَب[4]
عاديا بي، مُتهماً، أو مُنجداً ... حاذفاً نحر الفضا بالحَصَب[5]
فعشوتُ النار في صدر الحمى ... وحدها تخفق بين الحُجُب
فدخَلتُ الحيَّ، والسِّتر الدجى ... وولجتُ الجِذر، والليل صَبي
ورفعتُ السِّتر، فافتر الدُّجى ... عن جمالٍ ساحرٍ مُحتجبِ
فقضينا ليلة، جادت بها ... راحةُ الدهْر، الضنين القلبِ
تحت ظل الحب، والليل الذي ... ضمّنا في كنفه، يسخر بي
هكذا... إذا روَّعنا ... ذَنَبُ الصبح، كذنبِ العقرب
قبّلتني، ولهيبُ الألم المر ... في مدمعها المنسكبِ
مثل طلٍّ، فوق ورد ويلتي ... مِن جَرَى طلعةِ ذاك الذَّنَبَ[6]
ثم قالت: يا حبيبي! سر على ... كلاءِ الرحمان، في المنقلَب
فتودّعْنا، وكلّ قلبُه ... في جحيم مؤلم، ملتهبِ

---

(١) السَّبسَب: المفازة.
(٢) رنَت: نظرت بسكون طَرْف.
(٣) الغيهب: الظلام.
(٤) العَنق، والخَبَب: ضربان من السير.
(٥) مُنجد: قاصد نجداً. ومتهم: قاصد تِهامة.
(٦) الطل: الندى.

قافية التّاء

إلى قلبي التّائه[1]

[مجزوء الرّمل]

مَـا لأفـاقِـكَ يـا قـلـ ـبـي سُـوداً، حـالـكـاتْ؟
ولأَوْرادِكَ بـيـنَ الـ ـشَـوْكِ صُفـراً، ذَاويـاتْ؟[2]
ولأطْـيَـارِكَ لا تـلـ ـغُـو؟ فـأيـنَ النَّغَمَـاتْ؟[3]
مـا لِـزُمَّـارِكَ لا يـشـ ـدو بـغـيـر الـشَّـهَـقَـاتْ؟
ولأوتـارِكَ لا تَخْـ ـفُـقُ إلَا شَـاكِـيَـاتْ
ولأنـغـامِـكَ لا تَـنْـ ـطُقُ إلا بَـاكِـيـاتْ
ولـقـد كـانـتْ صَـبَـا حَ الأمْس بـين الـنَّـسَـمَـاتْ
كـعـذارى الـغـابِ، لا تـعـرِفُ غـيرَ الـبَـسَـمـاتْ؟
هـوذا يـا قـلـبـيَ الـبَـحْـ ـرُ، وأمـواجُ الحـيـاةْ!
هـوذا الـقـارِبُ مـشـدوداً إلى تـلك الـصَّـفَـاةْ[4]
هـوذا الـشـاطـىءُ! لـكـنْ أيـنَ رُبَّـانُـكَ؟ مَـاتْ!
أيـن أحـلامُـك يـا قـلـ ـبـي؟ لقـد فـاتَ الـفَـوَاتْ!
تـلكَ أطـيـارٌ، أنـيـقـا تٌ، طِـرابٌ، فـرِحَـات
غـرّدتْ، ثـم تَـوَارتْ في غـيـابَـاتِ الحَـيـاةْ

* * *

أنـتَ يـا قـلـبـيَ قـلـبٌ، أنـضـجَـتْـهُ الـزَّفَـرَاتْ

---

(١) نظمها في ١٠ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ/ ٢٠ أفريل - نيسان ١٩٢٩ م.
(٢) الأوراد، يعني الورود. ذاويات: ذابلات.
(٣) الصَّفاة: الحجر الصّلد.

أنتَ يا قلبيَ عُشٌّ، نَفَرَتْ عنهُ القَطَاةْ[1]
فأطارَتْهُ إلى النَّهْـ ـرِ الرِّياحُ العَاتِياتْ
فَهُوَ في التِّيَّار أورا قٌ، وأعوادٌ عُراةْ
أنتَ حَقْلٌ، مُجدِبٌ، قد هَزَأَتْ منه الرُّعَاةْ
أنتَ ليلٌ، مُعْتِمٌ، تَنْـ ـدُبُ فيه البَاكِياتْ
أنتَ كهفٌ، مظلِمٌ، تأ وي إليه البَائِسَاتْ
أنت صَرْحٌ، شادَهُ الحُبْـ ـبُ على نهرِ الحَيَاةْ
لِبَنَاتِ الشِّعْرِ..، لكنْ قوَّضَتْهُ الحَادِثاتْ
أنتَ قبرٌ، فيه من أيـ ـامِيَ الأولى رُفَاتْ

* * *

أنتَ عودٌ، مزَّقتْ أو تارَه كفُّ الحياةْ
فهْو في وحشته الخَر ساءِ، بينَ الكَائِنَاتْ
صامتٌ كالقبرِ، إلاّ مِنْ أنينِ الذِّكرَيَاتْ
أنت لحنٌ سَاحرٌ، يَخْـ ـبُطُ في التِّيهِ المَوَاتْ[2]
أنتَ أنشودةُ فَجْرٍ..، رتَّلتها الظُّلُمَاتْ
أيها السَّاري، مع الظُّلْـ ـمةِ، في غير أَنَاةْ[3]
مُطرِقاً، يَخْبُطُ في الصحـ ـراءِ، مَكْبُوحَ الشَّكَاةْ[4]
تُهْتَ في الدّنيا، وَمَا أُبْتَ بغير الحَسَرَاتْ
صلِّ يا قلبي إلى اللّـ ـه، فإنَّ الموتَ آتْ
صَلِّ فالنّازعُ لا تبقَى له غيرُ الصَّلاةْ

---

(١) القطاة: طائر.
(٢) التِّيه: المفازة، والمضلّة: يخبط: يسير على غير هدى.
(٣) الساري: الذي يسير في الليل. أناة: صبر.
(٤) الشكاة: المرض.

الطّفولة [1]

[من مجزوء الكامل]

لِلّهِ ما أحْلى الطفو لَةَ! إنها حلمُ الحياةْ
عهدٌ كَمَعْسُولِ الرُّؤَى ما بين أجنحةِ السُّبَاتْ... [2]
ترنو إلى الدُّنيا، وَمَا فيها بعينٍ باسِمَةْ
وَتَسِير في عَدَوَاتِ وَا دِيها بِنَفْسٍ حَالِمَةْ [3]

* * *

إن الطّفولةَ تَهْتَزْ زُ في قَلْبِ الرَّبِيعْ [4]
ريَّانةٌ مِنْ رَيِّقِ الأَ نْداءِ في الفَجْرِ الوَدِيعْ [5]
غنَّت لها الدنيا أغا ني حبِّها وَحُبُورِهَا [6]
فتأوَّدَتْ نَشوى بأحـ ـلامِ الحَياةِ وَنُورِهَا [7]

* * *

إنّ الطُّفولةَ حِقْبَةٌ شعريَّةٌ بِشُعُورِها [8]
وَدُمُوعِها، وَسُرُورِهَا، وَطُمُوحِها، وَغُرُورِها
لم تمشِ في دنيا الكآ بةِ، والتَّعَاسَةِ، والعَذابْ
فترى على أضوائِها ما في الحَقيقةِ مِنْ كِذَابْ

---

(١) نظمها في ١٢ رجب ١٣٤٦ هـ/ ٥ جانفي ـ كانون الثاني يناير ١٩٢٨ م.
(٢) الرؤى: جمع الرؤية: السُّبات: النوم.
(٣) ترنو: تديم النظر بسكون الطّرْف. عَدوات: جمع عدوة: مكان متباعد.
(٤) الوزن غير صحيح.
(٥) ريّانة: ممتلئة. أنداء: جمع ندى.
(٦) الحبور: السرور.
(٧) نشوى: سكرى. تأوّد: انعطف.
(٨) الحِقبة، من الدهر: المدّة.

الفتنة الساحرة[1]

[من الكامل]

قلبي تردى من علا صَهَوا ... تِ خيلِ الهوى فغدا أسيرَ فتاةِ
معطار، فاسقة الفروع عليلة ... الأجفان ساحرة بعين مهاة[2]
ترنو، فتغزو كل قلب ثابت ... بشفارِ أشفارٍ وحدٍّ قناة[3]
ماءُ الحياة بخدِّها متموِّج ... كتموُّجِ الأنوارِ بالمشكاةِ
مِسكيَّةُ الأنفاس وهناً بضَّةُ ... الأطرافِ، آنسة بقلبِ صفاة
تعنو لها أُسْدُ العرين ذليلةً ... وتخرُّ، خشيةَ طعنة اللحظاتِ[4]

الرّواية الغريبة[5]

[من الطويل]

ضحِكْنا على الماضي البعيدِ، وفي غدٍ ... ستجعَلُنا الأيّامُ أُضْحُوكةَ الآتي
وتلكَ هِيَ الدُّنيا، رِوَايةُ ساحرٍ ... عَظيم، غَريبِ الفنِّ، مُبْدِعِ آياتِ
يمثِّلها الأحياءُ في مَسْرحِ الأسى ... ووسْط ضَبَابِ الهمِّ، تَمْثِيلَ أمواتِ
ليشهدَ مَنْ خَلْفَ الضَّبابِ فصولَها ... وَيَضْحَكَ منها مَنْ يمثِّل ما ياتي
وكلٌّ يؤدِّي دَوْرَهُ. . ، وهو ضاحكٌ ... على الغير، مُضْحُوكٌ على دوره العاتي[6]

---

(١) القصيدة ليست في أصول الديوان، وقد نشرها الأستاذ زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».

(٢) المهاة: البقرة الوحشية.

(٣) ترنو: تنظر وتديم النظر بسكون طرْف.

(٤) العناة: الصخرة الصلدة، تعنو: تتودّد.

(٥) نظمها في ٢٠ ذى القعدة ١٣٥١ هـ/ ١٧ مارس ـ آذار ١٩٣٣٠ م.

(٦) العاتي: المستكبر.

دموع الألم[1]

[الخفيف]

حسرات تُهيجها الذكرياتُ ... ودموع تفيضها الشُّهَقاتُ
وشجون تثير في القلب آلا ... مأ تغنّي بصوتها الأنّاتُ
مَن لقلبٍ إذا تنهّد حُزنا ... صدَّ عنه الشجونُ والغصّاتُ؟
مَنْ لنفسٍ إذا استَمرّ أساها ... جمدت في عيونها العبراتُ؟
كلما مَضَّها الزمان برزءٍ ... عذّبتْها بصوتها الذكرياتُ
ما أمضّ الحياة إن ساورتها ... بين هُوّاتِ يأسها الحسراتُ
أمل ضائع وقلب عنيد ... مزّقته الخطوبُ والصعقاتُ[2]
ما ندبتُ الحياة إلا وسمعي ... مِلؤه من نشيجها شهَقاتُ[3]
كلّما طافت الحياة حوالي ... هوَتْ من جفونها العبَراتُ
ما كرهت الحياة إلّا لأن ... الناس في راحة الردى حصواتُ
وهي جبّارة تدوس بَنيها ... وتُغنّي وهم لديها رُفاتُ[4]
غير أني رأيتها وهي تبكي ... فأفاقت بمُهجتي الزفراتُ
آلمتني شجونها فتعذّبتُ ... وطارت بغبطتي الهَفَواتُ
وشجتني دموعها فتألمت ... وغاضت بمهجتي البسماتُ[5]
عشت في حومة الدهور بآرا ... ئي وما تسرُّ الحياةُ
وغداً، إن قضيتُ، غارتْ شجوني ... وطواني لدى القبور السُّباتُ
فنسيتُ الشقاء والدمع والياـ ... ـس ونامت بمهجتي الحركاتُ
وقضى في سكينتي طائرُ الحزن ... وأغفت بصدره النُّدُباتُ
هكذا يُلجمُ المنونُ فؤادي ... وتهُبُّ الحقائقُ الخالداتُ[6]

---

(١) القصيدة ليست في أصول الديوان، إنما نُشرت في جريدة النهضة بتاريخ ٢٥ جانفي /كانون الثاني سنة ١٩٢٨.

(٢) الخطوب: المصائب.

(٣) النشيج: يُقال: نَشَج الباكي، أي: غَصّ بالبكاء.

(٤) رُفات: حطام.

(٥) المُهجة: الروح، والدم، ودم القلب. غاض: نقص. الشجو: الحزن

(٦) المَنون: الموت.

قافية الثّاء

سِرْ مع الدّهر[1]

[من الخفيف]

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، لا تَصُدَّنَّكَ الـ ... أهوالُ، أو تُفْزِعَنَّكَ الأحداثُ
سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، كيفما شاءَتِ الـ ... دُنيا، ولا يخدعنَّكَ النَّفَّاثُ[2]
فالذي يُرْهِبُ الحياةَ شقيٌّ، ... سَخِرَتْ من مصيره الأجْدَاثُ[3]

---

(١) نظمها في ١٠ ربيع الأول ١٣٤٦ هـ/٧ سبتمبر ـ أيلول ١٩٢٧ م.
(٢) النَّفْث: النَّفخ. والنَّفاث: الساحر.
(٣) الأجداث: جمع الجدَث: القبر.

قافية الحاء

أغنية الأحزان[1]

[من مجزوء الرّمل]

غَنِّنِي أُنْشُودَةَ الفَجْرِ الضَّحُوكْ
أَيُّها الصَّدَّاح![2]
فَـلَقَـدْ جَـرَّعَـنِي صَـوْتُ الـظَّلامْ[3]
أَلَـماً عَـلَّمَـنِي كُـرْهَ الحَـيَـاةْ
إِنَّ قَـلْبِـي مَـلُّ أَصْـدَاءَ الـنُّـوَاحْ[4]

* * *

غَنِّنِي يَا صَاحْ!
حَطَّمَتْ كَفُّ الأَسَى قِيثَارَتِي
فِي يَدِ الأَحْلَامْ[5]
فَـقَضَـتْ صَـمْـتـاً، أُنَـاشِـيـدُ الـغَـرَامْ
بَـيْنَ أَزْهَـارِ الخَـرِيـفِ الـذَّاوِيَـهْ[6]
وَتَـلَاشَـتْ فِي سُـكُـونِ الإِكْـتِـئَـابْ
كَصَدَى الغِرِّيدْ

* * *

(١) نظمها في ٢٢شوال ١٣٤٥ هـ/٢٦ أفريل - نيسان ١٩٢٧ م.
(٢) الصدّاح: الذي يرفع صوته بغناء
(٣) جرّعني، أي سقاني.
(٤) الأصداء: جمع الصّدى: ما يسمعه المصوِّت في واد أو في غيره، من ترجيع صوته.
(٥) القيثارة: من الآلات الموسيقية، وذكر تحطمها للدلالة على ذهاب فرحه.
(٦) الذاوية: الذابلة.

كُفَّ عَنْ تِلكَ الأَغَانِي البَاسِمَهْ
أَيُّها العُصْفُورْ!
فَحَيَاتِي أَلِفَتْ لَحْنَ الأَسَى
مِنْ زَمَانٍ قَدْ تَقَضَّى، وَعَسَى
أَنْ يُثِيرَ الشَّدْوُ، فِي صَمْتِ الفُؤَادْ
أَنَّةَ الأَوْتَارْ...!

* * *

لا تُغَنِّي أَغَارِيدَ الصَّبَاحْ
بُلْبُلَ الأَفْرَاحْ!
فَفُؤَادِي وَهُوَ مَغْمُورُ الجِرَاحْ
بِتَبَارِيحِ الحَيَاةِ البَاكِيَةْ[1]
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ السُّرُورْ
وأَغَانِي النُّورْ
إِنَّ مَنْ أَصْغَى إِلى صَوْتِ المَنُونْ
وَصَدَى الأَجْدَاثْ[2]
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورْ
بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ السَّاحِرَهْ
وابْتِسَامَاتِ الحَيَاةِ، السَّافِرَهْ[3]
عَنْ جَلَالِ اللَّهْ!

* * *

غَنِّنِي يَا صَاحِ، أَنَّاتِ الجَحِيمْ
وَاسْقِنِي الآلامْ
أَتْرِعِ الكَأْسَ بِأَوْجَاعِ الهُمُومْ[4]
واسْقِنِي، إِنِّي كَرِهْتُ الابْتِسَامْ

---

(١) التباريح، من البَرْح: الشدة. وتباريح الشوق: توهُّجه.
(٢) المنون: الموت. الأجداث: جمع الجدث: القبر.
(٣) السافرة: الكاشفة عن وجهها.
(٤) أترع الكأس: أملأه.

غَنِّنِي نَدْبَ الأَمَانِي الخَائِبَهْ
واللَّيالِي السُّودْ

* * *

غَنِّنِي صَوْتَ الظَّلامِ المُكْتَئِبْ
إنَّني أَهْوَاهْ
هَاكَ كَأْسَ القَلْبِ فَامْلأْهَا نُوَاحْ
وَاسْكُبِ الحُزنَ بِهَا حَتَّى الصَّبَاحْ!
إنَّهَا مِنْ طِينَةِ الحُزْنِ المَرِيرْ
صَاغَهَا الخَلَّاقْ

* * *

بِنْتَ الأَفْرَاحُ، أَفْرَاحُ الحَيَاهْ
إنَّها أَحْلَامْ
تَخْلُبُ اللُّبَّ بِأَلْحَانٍ عِذَابْ[1]
وَأَغَارِيدَ، كَأَمْلَاكِ السَّمَا
ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَذْوِي كَمَا[2]
تَذْبُلُ الأَزْهَارْ

* * *

خبِّريني، ما الذي خَلْفَ الغُيُومْ...؟
رَبَّةَ الأَحْلَامْ
أَفَتَى الهَولِ، وَجَبَّارُ الهُمُومْ؟
أَمْ عَرُوسُ الأَمَلِ العَذْبِ الشَّرُودْ
تَتَهَادَى بَيْنَ لَألاءِ الصَّبَاحْ؟[3]
كَمَلَاكِ النُّورْ

* * *

(١) اللب: العقل، والقلب. وتخلب: تسحر.
(٢) تذوي: تذبل.
(٣) تتهادى: تتمايل. لألاء الصباح: نور الصباح.

أَنَا فِي دَرْبِ الحَيَاةِ الغَامِضَه
تَائِهٌ، حَيْرَانْ
بَيْنَمَا أُبْصِرُ فِي وَجْهِ الحَيَاةْ
ظُلْمَةَ الأَحْزَانِ فِي ظِلِّ الأَلَمْ
إِذْ أَرَى فِي جَفْنِهَا نُوراً، بَدِيعْ
بَاسِماً، فَتَّانْ

* * *

هَا أَنَا أَسْمَعُ فِي قَلْبِ الحَيَاةْ
صَيْحَةَ الآلامْ
مُرَّةً تَنْسَابُ، مِنْ قَلْبٍ حَطِيمْ[1]
مَلأَ الحُزنُ أَقَاصِيهِ دُمُوعْ
هَا أَنَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ السُّرُورْ
كَضَّتِ الأَيَّامْ[2]

جمال الحياة[3]

[من مجزوء الرّمل]

سِرْتُ فِي الرَّوْضِ، وَقَدْ لاَحَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ
وَجَنَاحُ الفَجْرِ يُومِي نَحْوَ رَبَّاتِ الجَنَاحْ
والدُّجَى يَسْعَى رُوَيْدا سَعْيَ غَيْدَاءَ، رَدَاحِ[4]
وَنَسِيمُ الصُّبْحِ يَسْرِي سَجْسَجاً، فَوْقَ البِطَاحِ[5]
وَخَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرَا نٌ، وَزَهْرُ الرَّوْضِ صَاحِ
فَرَنَتْ نَحْوَ جَلاَلِ الكَوْ نِ، جَوْنَاءُ اللِّيَاحِ[6]

(١) القلب الحطيم، أي: المحطّم.
(٢) كذا في الأصل «كضّت الأيام» ولا معنى له.
(٣) نظمها في ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٣هـ/١٩ جويليه ـ تموز ١٩٢٥ م.
(٤) الدجى: الظلام. الغيداء: المتثنية ليناً. الرداح من النساء: الثقيلة الأوراك.
(٥) يوم سجسج: لا حر ولا قر.
(٦) رنت، من الرنو: إدامة النظر بطرف ساكن. الجوناء: الشمس. اللياح: الصبح.

ثُمَّ بَانَتْ فِي سُفُورٍ فَاضِحٍ أيَّ افْتِضَاحِ
فَاحْتَسَتْ خَمْرَ نَدَى الدَّا مِسِ، مِنْ كَأْسِ الأَقَاحِ
وَاعْتَلَتْ بَلْقِيسُ عَرْشَ اللَّيْلِ، فِي تِلْكَ النَّوَاحي[1]
ثُمَّ مَالَتْ لِغُرُوبٍ بَعْدَ إضْرَامِ الكِفَاحِ
واستوى اللَّيْلُ بِرَغْمِ الشَّمْـ ـسِ فِي العَرْشِ الفُسَاحِ

* * *

هَكَذَا الدَّهْرُ بِأزيَاءٍ غُدُوٍّ، وَرُوَاحِ[2]
وَضِيَاءٍ، وَظَلامٍ وَسُكُونٍ، وَصِيَاحِ
وَنَشِيدٍ، وَفَوَاحٍ وانقِبَاضٍ، وانْشِرَاحِ
إنَّمَا الدَّهْرُ وَبَيْنَا قُ اللَّيَالِي كَشُجَاحِ[3]

---

(١) بلقيس: ملكة اليمن أيام النبي سليمان عليه السلام.
(٢) الغدوة: البكرة. الرَّواح: العشي. ويشير إلى تقلبات الدهر.
(٣) لعلّه أراد الشُّحّاج أي صوت البغل فقلب ساخراً من الدهر.

قافية الدّال

حديث المقبرة[1]

«وهو حوارٌ فلسفيّ، مدارُه الحياة» «والموت، والخلود والكمال».

في ليلة مظلمة، من ليالي الصيف، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل، والظلام المزكوم، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور.

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر بأقدام متعبة، ونفس ثائرة، وأجفان قد أذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة، وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة، ما نام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير، وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر، وعجت في صدره، عجيج الأمواج الثائرة، فألقاها إلى الليل في النشيد التالي:

[من المتقارب]

أتفنى ابتِسَاماتُ تلكَ الجفونِ؟ ... ويخبو توهُّجُ تلكَ الخدودْ؟
وتذوي وُرَيْداتُ تلك الشِّفاهِ؟ ... وتهوِي إلى التُّرْبِ تلكَ النُّهودْ؟[2]
وينهدُّ ذاك القوامُ الرَّشيقُ ... وينحلُّ صَدْرٌ، بديعٌ، وَجِيدْ
وتربَدُّ تلكَ الوُجوهُ الصِّباحُ ... وفتنةُ ذاكَ الجمالِ الفَريدْ[3]
ويغبرُّ فرعٌ كجنْحِ الظَّلامِ ... أنيقُ الغدائرِ، جَعْدٌ، مَديدْ
ويُصبحُ في ظُلُماتِ القبورِ ... هباءً، حقيراً، وتُرْباً، زهيدْ

(١) نظمها في ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٠هـ/ ٣ أفريل ـ نيسان ١٩٣٢ م.
(٢) تذوي: تذبل. وريدات: تصغير وجمع لوردة. التُّرب، أي: التراب.
(٣) تربدُّ: تتغير.

ويـنـجـابُ سِـحْـرُ الـغَـرامِ الـقـويِّ وسُكـرُ الشَّـبـابِ، الغـريـرِ، السَّعيـدْ

* * *

أتُـطوَى سَـمـواتُ هـذا الـوجـود؟ ويـذهـبُ هـذا الـفَـضـاءُ الـبـعـيـدْ؟
وَتهـلِكُ تلكَ الـنُّجـومُ الـقُـدامى؟ ويهـرَمُ هـذا الـزَّمـانُ الـعَهِـيـدْ؟(١)
ويـقضي صَـبـاحُ الحـيـاةِ الـبـديـعُ؟ وليـلُ الـوجـودِ، الـرهيبُ، العتيـدْ؟
وشـمسُ تـوشي رداءَ الـغـمـامِ؟ وَبـدرٌ يُضيءُ، وَغـيـمٌ يجـودْ؟
وضـوءٌ، يُـرَصِّـع مـوجَ الـغـديـرِ؟ وسِـحْـرٌ، يـطرِّزُ تـلكَ الـبُرودْ؟(٢)
وبـحـرٌ فـسـيـحٌ، بـعـيـدُ الـقَـرارِ، يَـضُـجُّ، وَيَـدْوي دويَّ الـولـيـدْ؟
وريـحٌ، تمـرُّ مُـرورَ الـمـلاكِ، وتخـطو إلى الـغـابِ خَـطْوَ الـرُّعـودْ؟
وعـاصـفـةٌ من بـنـاتِ الجحِـيـم، كـأنّ صَـدَاهـا زَئـيرُ الأسـودْ
تَـعـجُّ، فَـتَـدْوِي حـنـايـا الجـبـال وتمشي، فـتهـوي صُـخـورُ الـنُّجـودْ(٣)
وطـيرٌ، تـغـنّي خِـلالَ الـغُـصـونِ، وَتَهْـتِـفُ لـلـفـجـرِ بـين الـورودْ؟
وزهـرٌ، يـنـمُّـقُ تـلكَ الـتِّـلالَ وَيَـنْـهَـلُ مـن كـلِّ ضَـوءٍ جَـدِيـدْ؟
ويـعـبَـقُ مـنـه أريـجُ الـغَـرامِ ونَـفْـحُ الشَّـبـابِ، الحَيِيِّ، السَّعيـدْ؟
أيـسـطُو عـلى الكُـلِّ لـيـلُ الـفـنـاءِ ليلهُـو بـهـا المـوتُ خَلْفَ الـوجـودْ..
وَيَـنْـثُـرَهَـا في الـفـراغِ الْمُخِـيـفِ كـما تـنـثُرُ الـوردَ رِيـحٌ شَرود
فـيـنـضُـبُ يـمُّ الحـيـاةِ، الخـضـمُّ ويخـمـدُ روحُ الـرَّبـيـعِ، الـوَلـودْ(٤)
فـلا يـلـثـمُ الـنُّـورُ سِـحْـرَ الخُـدودِ ولا تُـنْـبِـتُ الأرضُ غَضَّ الـورودْ؟

* * *

كـبـيرٌ عـلى الـنَّـفسِ هـذا الـعَـفَـاءُ! وَصَعْبٌ عـلى الـقلبِ هـذا الهـمـودْ!(٥)
ومـاذا عـلى الـقَـدَرِ الـمـسـتَـمـرِّ لـو اسْـتـمـرَّا الـنَّـاس طعـمَ الخلودْ
ولم يُخْـفِـروا بـالخـرابِ الـحـيط ولم يُـفْـجَـعـوا في الحـبـيـب الـودودْ
ولم يَـسـلكـوا لـلخُـلود المـرجَّـى سـبـيـلَ الـرّدى، وظَـلامَ الـلّحـودْ

---

(١) العهيد: يعني قديم العهد.
(٢) البُرود: جمع البُرد: ثوب مخطط.
(٣) النجود: جمع النّجد: ما أشرف من الأرض.
(٤) اليَمُّ: البحر. الخِضَمّ: البحر، ومن الرجال: السيد الخمول المعطاء.
(٥) العفاء: الدروس وزوال الأثر. الهود: السكون.

فَـدَامَ الشَّـبـابُ، وَسِـحْـرُ الـغـرامِ، وفـنُّ الـرَّبـيـعِ، وَلُـطْفُ الـورودْ
وعـاش الـورى في سَـلامٍ، أمـينٍ وعـيشٍ، غـضـيرٍ، رخـيٍّ، رغـيـدْ؟(١)
ولـكـنْ هـو الـقَـدَرُ المـسـتـبـدُّ يَـلـذُّ لـه نـوْحُـنـا، كـالـنَّـشـيـدْ!

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامئة، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد اليقين فخاطبته بهات الأبيات:

تَـبَـرَّمْـتَ بـالـعـيشِ خـوفَ الـفـنـاءِ ولـو دُمْـتَ حـيًّـا سَـئِـمـتَ الـخـلـودْ(٢)
وَعِـشْـتَ عـلى الأرضِ مـثـلَ الجـبـال جـلـيـلاً، رهـيـبـاً، غـريـبـاً، وَحـيـدْ
فَـلَـمْ تَـرتـشـفْ مـن رُضـابِ الـحـيـاة ولم تـصـطَـبِـحْ من رَحـيـق الـوجـودْ(٣)
ومـا نـشـوةُ الـحـبِّ عـنـدَ المـحـبِّ ومـا سِـحْـرُ ذاك الـرَّبـيـعِ الـولـيـدْ
ولم تـدرِ مـا فـتـنـةُ الـكـائـنـاتِ ومـا صرخـةُ الـقـلـبِ عـنـدَ الـصَّـدودْ
ولم تـفـتـكـر بـالـغَـدِ المـسـتـرابِ ولم تحـتـفـل بـالمـرامِ الـبـعـيـدْ(٤)
ومـاذا يُـرجِّـي ربـيـبُ الخـلـودِ من الكـونِ ـ وهُـو المقيمُ العهيـدْ؟(٥)
ومـاذا يـودُّ ومـاذا يخـافُ من الكـون ـ وهـو المقيم الأبيـدْ ـ؟(٦)
تـأمَّـلْ..، فـإنَّ نِـظَـامَ الحـيـاةِ نِـظَـامٌ، دقـيـقٌ، بـديـعٌ، فـريـدْ
فـما حـبَّـبَ الـعـيشَ إلاَّ الـفـنـاءُ ولا زانَـه غـيرُ خـوف الـلُّـحـودْ
ولـولا شـقـاءُ الحـيـاةِ الأليـمِ لـمـا أدركَ الـنَّـاسُ مـعـنى الـسُّـعـودْ
ومـن لم يـرُعْـهُ قـطـوبُ الـدَّيـاجـيرِ لَمْ يـغـتـبـطْ بـالـصَّـبـاحِ الجـديـدْ(٧)

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فقال يحاورها:

إذا لم يـكـن مـن لـقـاءِ المـنـايـا مَـنـاصٌ لِمَـنْ حـلَّ هـذا الـوجـودْ(٨)

---

(١) الورى: الخَلْق. الغضير: الخضير، الناعم من كل شيء.
(٢) تبرّمت بالعيش: مللته.
(٣) ترتشف: تمتص. الرُّضاب: الرِّيق المرشوف، وكنى بالرُّضاب عن ملذات الحياة.
(٤) المُسْتَراب: ما يُريب، وهو من الرِّيبة أي: الشك. الحرام: الغرض.
(٥) الربيب: المربوب، والمعاهد، العهيد، أي: قديم العهد.
(٦) المقيم الأبيد، أي المقيم أبد الدهر.
(٧) القُطوب: العبوس. الدياجير: جمع الدَّيجور: الظلام.
(٨) المناص: الملجأ.

فأي غِنَاءٍ لهذي الحياةِ ... وهذا الصّراعِ، العنيفِ، الشّديدْ
وذاك الجمالِ الذي لا يُملُّ ... وتلك الأغاني، وذاك النّشيدْ؟
وهذا الظّلامِ، وذاك الضّياءِ ... وتلك النُّجومِ، وهذا الصّعيدْ[1]
لماذا نمرُّ بوادي الزّمانِ ... سِراعاً، ولكِنّنا لا نَعودْ
فَنَشْرَبَ مِنْ كلِّ نبعٍ شراباً ... ومنه الرّفيعُ، ومنه الزّهيدْ
وَمِنْهُ اللّذيذُ، وَمِنْهُ الكَريهُ، ... وَمِنْهُ المشِيدُ، وَمِنْهُ المبيدْ
وَنَحْمِلُ عبْئاً من الذّكرياتِ ... وتلكَ العهودِ الّتي لا تعودْ
ونشهدُ أشكالَ هذي الوجوهِ ... وفيها الشّقيُّ، وفيها السّعيدْ
وفيها البَديعُ، وفيها الشنيعُ، ... وفيها الوديعُ، وفيها العنيدْ
فيُصبح منها الوليُّ، الحميمُ، ... ويصبحُ منها العدوُّ، الحقودْ
وكلٌّ - إذا ما سألنا الحياةَ - ... غريبٌ لَعَمْري بهذا الوجودْ
أتيناه من عالمٍ، لا نراه ... فُرادى، فما شأنُ هذي الحقودْ؟
وما شأنُ هذا العَداءِ العنيفِ؟ ... وما شأنُ هذا الإخاءِ الوَدودْ؟

روح الفيلسوف

خُلِقنا لنبلُغَ شأوَ الكمالِ ... وَنُصبحَ أهلاً لمجدِ الخُلُودْ[2]
وَتَطْهرَ أرواحُنا في الحياة ... بنارِ الأسى.... [3]
وَنَكْسَبَ من عَثَراتِ الطّريقِ ... قُوىً، لا تُهدُّ بدأبِ الصُّعودْ[4]
ومجداً، يكون لنا في الخلود ... أكاليلَ من رائعاتِ الوُرودْ

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح، في طريقها إلى العالم المجهول، فطارت معها روح الفيلسوف وخلفت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين. وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه:

«خلقنا لنبلُغَ شأوَ الكمالِ ... ونُصبحَ أهلاً لمجدِ الخلودْ»

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجي روح الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه:

---

(١) الصعيد: التراب.
(٢) الشأو: السَّبْق، البُعد.
(٣) كذا فراغ بالأصل.
(٤) الدُّأب: ههنا الجد والتعب.

ولكنْ إذا ما لبسنا الخلودَ ... ونِلنا كمالَ النُّفوسِ البعيدْ
فهلْ لا نَمَلُّ دَوَامَ البقاءِ؟ ... وَهَلْ لا نَوَدُّ كمالاً جديدْ
وكيف يكونَنَّ هذا «الكمالُ»: ... وماذا تُرَاه؟ وكيفَ الخُلودْ؟
وإنّ جمالَ «الكمالِ» «الطُّموحُ» ... وما دامَ «فكراً» يُرَى من بعيدْ
فما سِحْرُهُ إنْ غدا «واقعاً» ... يُحَسُّ، وأصبحَ شيئاً شهيدْ؟
وهل ينطفي في النُّفوسِ الحنينُ ... وتصبحُ أشواقُنا في خُمودْ[1]
فلا تطمحُ النَّفْسُ فوقَ الكمالِ ... وفوق الخُلودِ لبعضِ المزيدْ؟
إذا لم يَزُل شوْقها في الخلودِ ... فذاك لَعَمْري شقاءُ الجُدودْ[2]
وحربٌ، ضروسٌ، كما قد عهدتُ ... وَنَصْرٌ، وكسرٌ وهمٌّ مديدْ[3]
وإنْ زال عنها فذاكَ الفناءُ ... وإنْ كان في عَرَصَات الخُلودْ[4]

* * *

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف، ولكنها كانت إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه، وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا يجيب.

الى الموت[5]

[من المتقارب]

صَبِيَّ الحياةِ، الشَّقِيَّ العنيدْ ... أَلَا قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلالَ البعيدْ!
أتُنشدُ صوتَ الحياةِ الرخيمَ، ... وَأَنْتَ سَجِينٌ بهذا الوجودْ؟!
وَتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَاحِ المخـ ... ـضَّبَ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ، جديبٍ، حَصِيدْ؟![6]
إلى الموتِ! إن شِئْتَ هَوْنَ الحيا ... ةِ، فَخَلْفَ ظلامِ الرَّدى مَا تُرِيدْ...

* * *

---

(١) خُمود النار: انطفاؤها.
(٢) الجُدود: جمع الجد: الحظ.
(٣) الحرب الضروس، أي الحرب الطاحنة.
(٤) العَرصات: جمع العَرْصَة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.
(٥) نظمها في ٢٤ صفر ١٣٤٧ هـ/ ١٢ أوت ـ آب ١٩٢٨ م وتتجلى فيها نظرته المتشائمة بدعوته إلى الموت.
(٦) المخضَّب: الملوّن، المصبوغ. الحصيد، أي: المحصود. والجديب، أي: المجدب.

إلى الموت! يا ابنَ الحياةِ التعيسَ، ... فَفِي الموتِ صَوْتُ الحياةِ الرخيمْ[1]
إلى الموتِ؟ إن عذّبتكَ الدُّهورُ، ... فَفِي الموتِ قَلْبُ الدُّهورِ الرَّحيمْ
إلى الموت! فالموتُ رُوحٌ جميلٌ، ... يُرَفْرِفُ من فوقِ تَلْكَ الغُيومْ
فَرُوحاً بِفَجْرِ الخُلُودِ البهيجِ، ... وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بَنَاتِ النُّجومْ...

* * *

إلى الموت! فالموتُ جامٌ رَوِيٌّ ... لِمَنْ أظمَأَتْهُ سُمُومُ الفَلاةْ[2]
وَلَسْتَ براوٍ - إذا ما ظَمِئْتَ - من ... المنبعِ العذْبِ قَبْلَ المَمَاتْ
فما الدَّمْعُ إلا شرابُ الدُّهورِ، ... وما الحزنُ إلاَّ غِذَاءُ الحَياةْ
إلى الموتِ! فالموتُ مهدٌ وَثيرٌ، ... تَنَامُ بأحضانه الكَائِنَاتْ[3]

* * *

إلى الموت! إن حَاصَرَتْكَ الخُطوبُ، ... وَسَدَّتْ عليكَ سَبِيلَ السَّلامْ
ففي عالمِ الموتِ تَنْضو الحياةُ ... رِدَاءَ الأسى، وَقِنَاعَ الظَّلامْ[4]
وتبدو، كما خُلِقَتْ غَصَّةً ... يَفِيضُ عَلى وَجْهِهَا الإبْتِسَامْ
تُعِيدُ عليها ظِلالَ الخلودِ، ... وتهفو عليها قُلُوبُ الأنَامْ[5]

* * *

إلى الموتِ! لا تَخْشَ أعماقه ... ففيها ضياءُ السَّماءِ الوَدِيعْ
وفيها تَمِيسُ عذارى السَّماءِ، ... عواريَ، يُنْشِدْنَ لَحْناً بَديعْ...[6]
وفي رَاحِهِنَّ غُصُونُ النَّخيلِ ... يُحَرِّكْنَهَا في فَضَاءٍ يَضُوعْ...[7]
تضيءُ بهِ بَسَمَاتُ القُلوبِ، ... وتخبو به حَسَرَاتُ الدُّمُوعْ[8]

* * *

(١) الصوت الرخيم: اللين السَّهل.
(٢) الجام: إناء من فضّة. سموم الفلاة: رياح القفر الحارة.
(٣) المَهْد: السرير للصبي، والأرض. الوثير: الثوب الذي تُجلّل به الثياب فيعلوها. والجمع مباشر وهي مراكب تتخذ من الحرير والديباج.
(٤) تنضو الحياة رداء الأسى، يعني تفارق هيئة الحزن واليأس. ونضا الثوب: خلعه.
(٥) هفا يهفو: أسرع يُسرع، الفؤاد يهفو: يذهب في أثر الشيء.
الأنام: الخَلْق.
(٦) تميس: تتبختر.
(٧) الرِّاح، يعني الأكف. يضوع: يتحرّك فتنتشر رائحته.
(٨) النار تخبو: تنطفىء.

هـو المـوتُ طـيـفُ الخـلـودِ الجـمـيـ ـلُ، وَنِـصْفُ الحـيـاةِ الـذي لا يَـنُـوحْ
هنـالـك... خلفَ الفَضَـاءِ البعيـدِ، يَـعِـيشُ المنـونُ الـقَـوِيُّ الـصَّبُـوحْ[1]
يَـضُـمُّ الـقُـلوبَ إلى صَـدْرِه، لـيـاسـوَ مَـا مَـضَّـهـا مِـنْ جُـروحْ[2]
ويـبـعـثُ فِـيـهـا رَبِـيـعَ الحـيـاةِ، وَيُـبْـهِـجَـهَـا بـالـصَّـبَـاحِ الـفَـرُوحْ[3]

قلب الشّاعر[4]

[من الرّمل]

كـلَّ مـا هـبَّ، ومـا دبَّ، ومـا نـامَ، أو حـامَ عـلى هـذا الـوجـودْ
مِـنْ طـيـورٍ، وَزُهـورٍ، وشـذىً وينـابـيـعَ، وأغـصـانٍ تميـلْ[5]
وبـحـارٍ، وكـهـوفٍ، وذُرىً وبـراكـيـنَ، ووديـانٍ، وبـيـدْ[6]
وضـيـاءٍ، وظـلالٍ، ودجـىً، وفـصـولٍ، وغـيـولٍ، ورعـودْ[7]
وثـلـوجٍ، وضَـبـابٍ عَـابـرٍ، وأعَـاصـيـرَ، وأمـطـارٍ تجـودْ
وتـعـالـيـمَ، وَدِيـنٍ، ورؤى وأحـاسـيسَ، وَصَـمْـتٍ، ونـشـيـدْ
كـلُّـهـا تحـيـا بـقـلـبـي، حـرَّةً غَضَّـةَ السِّـحْـرِ، كـأطـفـالِ الخُـلودْ[8]

* * *

هُـهُـنـا، في قـلـبيَ الـرحْـبِ، الـعـمـيـقْ يـرقُـصُ المـوتُ وأطـيـافُ الـوجـودْ[9]
هُـهُـنـا، تَـعْـصِـفُ أهـوالُ الـدُّجى هـهـنـا، تخـفُـقُ أحـلامُ الـورودْ
هُـهـنـا، تهـتُـفُ أصـداءُ الـفَـنـا هـهـنـا، تُـعـزَفُ ألحـانُ الخـلـودْ
هُـهـنـا، تَمْشي الأمـاني، والهـوى، والأسى، في مَـوْكـبٍ فـخْـمِ الـنَّـشـيـدْ

---

(١) المنون: الدهر، والموت.
(٢) يأسو: يداوي. مضّها: أحزن وآلم.
(٣) يبهجها: يسرها. فروح: فرح.
(٤) نظمها في ٢٩ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ/ ١٦ مارس - آذار ١٩٣٤ م.
(٥) الشذى: العطر. تميد: تتحرك وتضطرب.
(٦) ذرى: جمع ذروة: قِمّة. بيد: جمع بيداء: فلاة.
(٧) الدجى: الظلام. غيول: جمع غِيل: أجمة، وكل واد فيه ماء.
(٨) غضّة: طرية، ناعمة.
(٩) الأطياف: جمع الطيف: الخيال الطائف بالمنام.

هٰهنا الفجْرُ الذي لا ينتهي ... هٰهنا اللّيلُ الذي ليسَ يَبِيدْ[1]
هٰهنا، ألفُ خِضَمٍّ، ثائرٍ ... خالدِ الثّورةِ، مجهولِ الخُدودْ[2]
هٰهنا، في كلِّ آنٍ تَمّحي ... صُوَرُ الدُّنيا، وتبدو من جَديدْ

رثاءُ فجري[3]

[من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الغابُ، المُنَمْـ ... ـمَقُ بالأشعّةِ والوردْ!
يا أيُّها النّورُ النّقِيُّ! ... وأيُّها الفجرُ البعيدْ!
أينَ اختفيتَ؟ وما الّذي ... أقصاكَ عن هذا الوجودْ
آهٍ! لقدْ كانتْ حَياتي ... فيكَ حالمةً، تَميدْ[4]
بين الخمائلِ، والجدا ... ولِ، والتّرنّمِ، والنّشيدْ
تُصغي لنجواكَ الجميـ ... ـلةِ، وهي أغنيةُ الخلودْ
وتعيشُ في كونٍ من الـ ... غَفَلات، فتّانٍ، سَعيدْ
آه! لقد غنّى الصّباحُ، ... فَدَمْدَمَ اللّيلُ العَتِيدْ[5]
وتألّق النّجْمُ الوضيءُ، ... فَأَغْتَمَ الغيمُ الرُّكُودْ
ومضى الرّدى بِسَعَادتي، ... وقضى على الحُبِّ الوَليدْ[6]

صيحة الحب[7]

[الرّمل]

نَسْمةٌ هبّت على ضوء القمر ... نَفَخَت في ناي أحزان الخَلَدْ[8]
ضاق صدري، جرّاها، واستعرَ ... وأراق الوجْدَ آساد الجلَدْ

---

(١) يبيد: يذهب وينقطع.
(٢) الخِضَم: البحر. والسيِّد الحمول المعطاء.
(٣) نظمها في ١ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ١٤ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣١ م.
(٤) تميد: تتحرك وتضطرب.
(٥) دمدَم: تكلّم بغضب. العتيد: الحاضر المهيّأ.
(٦) الرّدى: الهلاك.
(٧) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.
(٨) الخَلَد: البال، والقلْب.

كيف لي بالصبر، والصبرُ اندثر ... تحت أقدام الجوى، لمّا اتّقدْ
كيف لي...؟ والحبُّ لا يبقي على ... جَلَدِ القلب، بأشواق الهيامْ
كيف لي ..؟ والحبُّ قد زاد إلى ... صعقات الحزن أنّات السّقامْ[1]
آهِ! كم تُلحِدُ أوهامُ الصِّبا ... في قبورِ الحبِّ، من قلبٍ بَشيرْ
آهِ! كم تُبكي أفانينُ الرُّبى ... كلَّ صبٍّ بابتسامات الزَّهَرْ
آه! كم تخدع ألحاظ الظِّبا ... كلَّ صبٍّ، بسوادٍ وحَوَرْ[2]
آهِ! آوَاهُ! وهل تنفعني ... إنّما «آه» كرنّاتِ الصَّدى
يا فتاتي! هل تُلبّي دَعْوةً ... صعدتْ من غَورِ أعماق الفؤادْ؟
رفرفَتْ والحبُّ، ليلاً، وهْناً، خِلسة ... من عيون الدهرِ، في ليل الحِدادْ
سكبتها الروح، ليلاً، نغمةً ... في جَلال الكون، في صمتِ العبادْ
بحياةِ الحبِّ، لبي دعوتي ... وابعثي روحك للروح الحزينْ
لا تخافي، فالدُّجى يرجو التي ... جرَّعتْه الحب في كأس السكونْ[3]
يا عروس الحب، هيّا واخلعي ... من جفوني الداميات الأرقا
واذكري أصوات قلبي، واسمعي ... مهجتي الظمياء أنغامَ اللقا
أوْ دعيني في عذابي، وأسرعي ... واحذري أن تسمعي صوت الشّقا
يا فتاتي ذكّري الليل بما ... نَغَّتْه الروح في صدر الظلامْ
واسألي أملاك حبّي في السما ... عن خشوعي، وابتسامي للسَّقامْ
كم سمعتُ الليل يمشي هامساً ... في خشوع الكون أنّاتِ الشُّعُورْ
وهدوء الليل يسعى حارساً ... لملاكِ الحبِّ، في صدر الأثيرْ
وفؤادي إذ تولّاه الأسى ... يقتفي الآثار في ظل الصدورْ
كم سمعتُ الليلَ، والليل اختفى ... في ضباب الفجر، كالطير الأصمْ
يسكب الحب بألحانِ الوفا ... باكياً بالدمع، من جَفن الألمْ

---

(١) السَّقام: المرض.
(٢) الظباء: الغزلان. الحَوَر: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها
(٣) الدجى: الظلام.

الأديب[1]

[الكامل]

إنّ الأديب كزهرة نفّاحه ... تعنو إليها الصادحات وتسجدُ[2]
بل بلبل ما بين أنسام المنى ... تلقاه صدّاح الصدى يتغرّدُ
تُشجيه ذكرى مجد شعب باذخ ... ملأ الفضاء تلهُّباً لا يخمدُ
فينوح مُلتهباً على ما لم يعد ... إلا ادّكاراً مؤلماً يتجددُ
ويقوده الوهم الجميل للجة ... الأحلام منها ينتقي وينضّدُ
فيصوغ من درر الخيال قلائداً ... منها السعادة في الورى تتخلّدُ[3]
وإلى ملذّات الغرام ووهمه ... تصبو أمانيه فلا يتردّدُ
فيبثُّ للطير المغرّد سرّه ... ولذلك النهر الذي لا يهجدُ
إنْ هزَّ بالكفِّ اليراعةَ أسلبتْ ... دمعاً هو السحرُ الحلالُ الأيّدُ
أوجاسَ أطرافَ النجوم بلمحة ... رجعت وفيها خاطر يتوقّدُ
ويطوفُ ما بين الزهور كأنّه ... ملكٌ حواليه الكواعبُ تحشدُ[4]
وبمرشفِ الأزهار يسقي الراح من ... أيدي النسيم فينتشي ويعربدُ
إن رام تقبيل الثغور بدا له ... ثغر الأقاح مبلبلاً يتوددُ
أو رام نجوى فالبلابل حجّة ... بينَ الرياض مدى الزمان تغرّد
أو شاقه سحرُ العيون فإنّ في ... تلك السهولِ جآذراً لا تُكمد[5]

المجد[6]

[من الطويل]

يَوَدُّ الفتى لَو خَاضَ غَاصِفَةَ الرَّدَى ... وَصَدّ الخميسَ المَجْرَ والأسَدَ الوَرْدا[7]

---

(١) ليست في أصول ديوانه، ولكن نسبها إليه نور الدين صمود. مجلة الفكر العدد ١٠/٦٦. وكانت القصيدة نُشرت في جريدة النهضة باريخ ١٦ فيفري فبراير شباط سنة ١٩٢٨ باسم محمود خروف.

(٢) الصادحات: المغنّيات.

(٣) القلائد: العقود. الورى: الخَلْق.

(٤) الكواعب: جمع الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها.

(٥) جآذر: جمع جؤذر: بقرة وحشية.

(٦) نظمها في ٢ صفر ١٣٤٦ هـ /غُرّة أوت ـ آب ١٩٢٧ م.

(٧) الخميس: الجيش لأنه خمس فرق. والخميس المجر، أي الجيش العظيم.
الورد: الأسد، والشجاع.

لِيُدْرِكَ أمجادَ الحُروبِ، وَلَوْ دَرى ... حَقِيقَتَهَا مَا رام مِنْ بينها مَجْدا
فَما المجدُ في أن تُسْكِرَ الأرضَ بالدِّما ... وَتَرْكَبَ في هَيْجَائها فَرساً نهْدا[1]
ولكنَّه في أنْ تَصُدَّ بهِمَّةٍ ... عَنِ العالمِ المَرْزُوءِ، فَيْضَ الأسى صَدّا[2]

صلوات في هيكل الحبّ[3]

[من الخفيف]

عذْبَةٌ أنتِ كالطُّفولةِ، كالأحلام ... كاللَّحنِ، كالصَّباحِ الجديدِ
كالسَّماء الضَّحُوكِ كالليلةِ القمراءِ ... كالوردِ، كابتسامِ الوليدِ
يا لها من وَداعةٍ وجمالٍ ... وَشَبابٍ منعَّمٍ أمْلُودِ![4]
يا لها من طهارةٍ، تبعثُ التقديـ ... ـسَ في مهجةِ الشَّقيِّ العنيدِ!..
يا لها رقَّةً تَكادُ يَرِفُّ الوَرْ ... دُ منها في الصَّخْرةِ الجُلْمُودِ![5]
أيُّ شيءٍ تُراكِ؟ هل أنتِ «فينيسُ» ... تَهادتْ بين الورى مِنْ جديدِ[6]
لتُعيدَ الشَّبابَ والفرحَ المعسـ ... ـرَ للعالمِ التَّعِيسِ العميدِ![7]
أم ملاكُ الفردوس جاءَ إلى الأر ... ضِ ليُحيي روحَ السَّلامِ العهيدِ![8]
أنتِ..، ما أنتِ؟ أنتِ رسمٌ جميلٌ ... عبقريٌّ مِنْ فنِّ هذا الوجودِ
فيكِ ما فيه من غموضٍ وعُمْقٍ ... وَجَمالٍ مقدَّسٍ معبودِ
أنتِ.. ما أنتِ؟ أنتِ فَجْرٌ من السِّحرِ ... تجلّى لقلبيَ المعمودِ[9]
فأراه الحياةَ في مُونِقِ الحُسْـ ... ـنِ وجلّى له خفايا الخلودِ[10]

---

(١) الهيجاء: الحرب.
الغَرس النَّهد: الحسن الجميل الجسيم اللحيم المشرف.
(٢) المرزوء: المُصاب. والمعنى: أن المجد في دفع الظلم وليس في سفك الدماء.
(٣) نظمها في ٣٠ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ١٣ أكتوبر - تشرين أول ١٩٣١ م.
(٤) الأملود: اللين الناعم.
(٥) الصخرة الجلمود، أي الصَلدة.
(٦) فينيس: اسم لما زعمها اليونان القدماء إلهة الجمال. تهادى: تمايل.
الورى: الخَلْق.
(٧) العميد: الذي هدَّه العِشق.
(٨) العهيد: يعني القديم العهد.
(٩) المعمود: الذي هدَّه العِشق.
(١٠) مونق: معجب مُبهِج.

أنتِ روحُ الرَّبيعِ، تختالُ في الدّنيا فتهتزُّ رائعاتُ الورودِ
وتهبُّ الحياة سكرَى من العِطْر، ويذوي الوجودُ بالتَّغْريدِ
كلما أبْصَرَتْكِ عيناىَ تمشين بخطوٍ موقَّعٍ كالنَّشيدِ
خَفَقَ القلبُ للحياة، ورفَّ الزهرُ في حِقل عمريَ المجرودِ[1]
وانتشتْ روحيَ الكئيبةُ بالحبِّ وَغَنَّتْ كالبلبلِ الغرِّيدِ
أنتِ تُحيينَ في فؤادِيَ ما قدْ ماتَ في أمسيَ السَّعيدِ الفقيدِ
وَتُشيدينَ في خرائبِ روحي ما تلاشى في عهديَ المجدودِ[2]
من طموحٍ إلى الجمال إلى الفَنِّ، إلى ذلك الفضاءِ البعيدِ
وتَبُثّينَ رقَّةَ الشَّوقِ، والأحلامِ والشَّدوِ، والهوى، في نشيدي
بعد أن عانقتْ كآبةُ أيّامي فؤادِي، وألجمتْ تغريدي
أنتِ أنشودةُ الأناشيدِ غنّاكِ إلهُ الغناءِ، ربُّ القصيدِ
فيكِ شبَّ الشَّبابُ، وشَّحهُ السِّحْرُ وشدوُ الهوى، وَعِطْرُ الورودِ
وتراءى الجمالُ، يَرْقُصَ رقصاً قُدُسيّاً، على أغاني الوجودِ
وتهادتْ في أفقِ روحِكِ أوْزانُ الأغاني، وَرِقّةُ التَّغريدِ[3]
فَتَمايلتِ في الوجود، كلحنٍ عبقريٍّ الخيالِ حلوِ النَّشيدِ:
خطواتٌ، سكرانةٌ بالأناشيد، وصوتٌ، كَرَجْعِ نايٍ بعيدِ[4]
وَقوامٌ، يَكادُ يَنْطقُ بالألحان في كلِّ وقفةٍ وقعودِ
كلُّ شيءٍ موقَّعٌ فيكِ، حتّى لَفْحَةُ الجيدِ، واهتزازُ النَّهودِ[5]
أنتِ.. أنتِ الحياةُ في قدْسها السّامي، وفي سِحْرها الشَّجيِّ الفريدِ[6]
أنتِ.. أنتِ الحياةُ، في رِقّةِ الفجر في رونقِ الرَّبيعِ الوليد
أنت.. أنتِ الحياةُ، كلُّ أوانٍ في رُواءٍ من الشَّبابِ، جديدِ[7]
أنتِ.. أنتِ الحياةُ فيكِ وفي عيْنَيْكِ آياتُ سحرها الممدُودِ
أنتِ دنيا من الأناشيدِ والأحْلامِ والسِّحْرِ والخيالِ المديدِ

---

(١) المجرود: العاري.
(٢) المجدود: المحظوظ.
(٣) تهادَت: تمايلت.
(٤) الناي: من الآلات الموسيقية. رجْع الناي: يعني: صوته.
(٥) الجيْد: العنق.
(٦) الشجي: من الشجا، ويُقال: شجاه، أي أحزنه وطرّبه، وتعني هنا التطريب.
(٧) الرواء: حسن المنظر.

أنتِ فـوقَ الخيـالِ، والشِّعـرِ، والفنِّ ... وفـوْقَ الـنُّهَـى وفـوقَ الحُـدودِ
أنتِ قُـدْسي، ومعبـدي، وصبـاحي، ... وربيـعـي، وَنَـشْـوَتِي، وَخُـلودي

* * *

يـا ابنـةَ النُّـور، إنَّـني أنـا وحْـدي ... مـن رأى فـيـكِ رَوْعَـةَ المَـعْـبُـودِ
فـدعـيـني أعـيشُ في ظِـلِّك الـعـذْبِ ... وفي قُـرْبِ حُـسْـنِـكِ المَـشْـهـودِ
عـيـشـةً لـلجـمال والـفـنِّ والإلهـام ... والـطُّهْـر، والـسَّـنى، والـسُّـجـودِ
عيشـةَ النَّاسِـكِ البَتُـولِ يُنَـاجي الـرّ ... بَّ في نَـشْـوَةِ الـذُّهـول الشَّـديـدِ[1]
وامنـحـيـني الـسـلامَ والـفـرحَ الـرُّو ... حـيَّ يـا ضَـوْءَ فـجْـريَ المـنـشـودِ
وارحـمـيـني، فـقـد تهـدّمـتُ في كـو ... نٍ مـن الـيـأسِ والـظَّلامِ مَـشـيـدِ
أنـقـذيـني مـن الأسى، فَـلَقَـدْ أَمْـسَـيـ ... ـتُ لا أسـتـطـيـعُ حـمـلَ وجـودي
في شِـعَـابِ الـزَّمـان والمـوت أمشي ... تحت عـبءِ الحـيـاة جَـمَّ الـقـيـود[2]
وأمـاشي الـورَى ونـفسي كـالـقـبرِ، ... وقـلـبـي كـالـعـالم المـهـدُودِ:
ظُـلْـمَـةٌ، مـا لهـا خـتـامٌ، وهـولٌ ... شـائـعٌ في سـكـونها المـمـدودِ
وإذا مـا اسْـتـخـفّني عَـبَـثُ الـنَّـاس ... تـبـسَّـمـتُ في أسًى وجُـمُـودِ
بَـسْـمَـةً مـرَّةً، كـأنِّيَ أسـتـلُّ ... مـن الـشَّـوكِ ذابـلاتِ الـورودِ[3]
وانْفخي في مَشَـاعِـري مَـرَحَ الـدُّنـيـا ... وشُـدِّي مِـنْ عـزمـيَ المـجـهـودِ
وابـعـثـي في دمـي الحَـرَارةَ، عَـلِّي ... أتـغـنَّى مـع المـنى مِـنْ جَـديـدِ
وأبـثُّ الـوُجـودَ أنـغـامَ قـلـبٍ ... بُـلْـبُـلِيٍّ، مُـكَـبَّـلٍ بـالـحـديـدِ
فـالصَّـبـاحُ الجـمـيـلُ يُـنعِشُ بـالـدِّفْءِ ... حـيـاةَ المـحـطَّمِ المـكـدودِ[4]
أنـقـذيـني، فـقـد سئمـتُ ظـلامي! ... أنـقـذيـني، فَـقَـدْ مَـلِلتُ ركـودي![5]

* * *

آه يـا زهـرتي الجـمـيـلةَ لـو تـدريـنَ ... مـا جـدَّ في فـؤادي الـوحـيـدِ
في فـؤادي الـغـريـبِ تُخْـلَقُ أكـوانٌ ... مـن الـسِّـحـر ذاتُ حُـسْـنٍ فـريـدِ
وشـمـوسٌ وضَّـاءةٌ ونُـجُـومٌ ... تَـنْـثُرُ الـنُّـورَ في فَـضَـاءٍ مـديـدِ

---

(١) البتول: المنقطع عن الدنيا، للعبادة، والمنقطع عن النساء، والمنقطعة عن الرجال.
(٢) جم: كثير
(٣) أستلُّ: أنتزع الشيء برفق.
(٤) المكدود: يعني المطرود طرداً شديداً، والمتعب.
(٥) الركود: الجمود.

وربيعٌ كأنّه حُلُمُ الشّاعرِ ... في سَكرة الشّباب السّعيدِ
ورياضٌ لا تعرف الحَلَك الدّاجي ... ولا ثورةَ الخَريفِ العتيدِ[1]
وَطُيورٌ سِحْريّةٌ تتناغَى ... بأناشيدَ حلوةِ التّغريدِ[2]
وقصورٌ كأنّها الشّفَقُ المخضُوبُ ... أو طلعةُ الصّباحِ الوَليدِ[3]
وغيومٌ رَقيقةٌ تتهادى ... كأباديدَ من نُثَارِ الورودِ[4]
وحياةٌ شعريّةٌ هي عندي ... صُورةٌ مِنْ حَياةِ أَهْل الخلودِ
كلُّ هذا يَشِيدُهُ سِحْرُ عينيكِ ... وإلهامُ حُسْنِكِ المعبودِ
وحرامٌ عليكِ أنْ تهدمي ما ... شَادهُ الحُسْنُ في الفؤاد العميدِ[5]
وحرامٌ عليكِ أنْ تسْحَقي آمـ ... ـالَ نفسٍ تصبو لِعَيشٍ رغيدِ[6]
منكِ ترجو سَعَادةً لم تجدْهَا ... في حياةِ الوَرى وَسِحْرِ الوجودِ[7]
فالإلهُ العظيمُ لا يَرْجُمُ العَبْدَ ... إذا كان في جَلال السُّجودِ

قلت للشِّعر[8]

[من الخفيف]

أنتَ يَا شِعْرُ، فلذةٌ مِنْ فؤادي ... تَتَغنّى، وَقِطْعةٌ مِنْ وُجُودي[9]
فيكَ مَا في جوانحي مِنْ حَنينٍ ... أبديٍّ إلى صَميمِ الوُجودِ[10]
فيكَ مَا في خواطري من بكاءٍ ... فيك ما في عواطفي مِنْ نَشيدِ
فيكَ ما في مَشَاعري مِنْ وُجومٍ ... لا يُغَنّي، وَمِنْ سُرورٍ عَهِيدِ[11]

---

(١) الداجي: المظلم. العتيد: الحاضر المهيّأ.
(٢) تتناغى: تتداعى، وتتبارى. ونغى: تكلّم بكلام يُفهم.
(٣) المخضوب: الملوّن، المصبوغ.
(٤) تتهادى: تتمايل. أباديد: أي متفرقة. نُثار الورود: الورد المنثور المتمزق.
(٥) الفؤاد العميد: القلب الذي هدّه الشوق.
(٦) تصبو: تحن.
(٧) الورى: الخلْق.
(٨) نظمها في ١٣ جمادي الأولى ١٣٤٧ هـ/ ٢٨ أكتوبر - تشرين أول ١٩٢٨ م.
(٩) الفلذة من الفؤاد: القطعة منه.
(١٠) الجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة: جانحة.
(١١) الوجوم: العُبوس. عهيد: قديم عتيق.

فيكَ ما في عَوَالمي مِنْ ظلامٍ ... سَرْمديٍّ، وَمِنْ صَباحٍ وَليدِ [1]
فيكَ ما في عَوَالمي من نجومٍ ... ضَاحكاتٍ خَلْفَ الغَمامِ الشَّرُودِ
فيكَ ما في عَوَالمي من ضَبَابٍ ... وَسَرابٍ، وبقظةٍ، وَهُجُودِ
فيكَ ما في طفولتي مِنْ سلامٍ، ... وابتسامٍ، وغبطةٍ، وَسُعودِ
فيكَ ما في شبيتي من حنينٍ، ... وشجونٍ، وَبَهْجةٍ، وَجُمودِ
فيكَ - إن عانق الرَّبيعُ فؤادي - ... تتثنَّى سَنَابلي وَوُرُودي
ويغنِّي الصَّباحُ أنشودةَ الحبِّ، ... على مَسْمَعِ الشَّبابِ السَّعيدِ
ثُمَّ أجْني في صَيْفِ أحلامي ... السَّاجِرِ ما لَذَّ من ثمارِ الخُلودِ
فيك يبدو خريفُ نَفْسي مَلُولاً، ... شَاحِبَ اللَّونِ، عَارِيَ الأَمْلُودِ [2]
حَلَّلته الحَياةُ بالحَزَنِ الدَّا ... مي وَغَشَّتْهُ بالغيومِ السُّودِ
فيكَ يمشي شِتَاءُ أيَّامي البا ... كي، وتُرغي صَوَاعقي وَرُعُودي
وَتَجِفُّ الزُّهورُ في قلبي الدَّا ... جي، وَتَهْوِي إلى قرارٍ بعيدِ.. [3]
أنتَ يا شِعْرُ قصةٌ عَنْ حياتي ... أنتَ يا شعرُ صورةٌ مِنْ وُجودي
أنت يا شِعْرُ قصةٌ عَنْ حياتي ... أنتَ يا شعرُ صورةٌ مِنْ وُجودي
أنت يا شعرُ - إنْ فَرِحْتُ - أغاريدي ... - وإنْ غنَّتِ الكآبةُ - عُودي
أنت يا شعرُ كأسُ خمرٍ عجيبٍ ... أتلهَّى به خِلال اللُّحودِ..! [4]
أتحسَّاهُ في الصَّباحِ، لأنسى ... ما تقضَّى في أمسيَ المَفْقُودِ [5]
وأناجيه في المساءِ، لِيُلْهِيَني ... مَرآهُ عَنْ الصَّباحِ السَّعيدِ
أنت مَا نِلْتُ من كهوفِ اللَّيالي ... وتصفَّحتُ مِنْ كتابِ الخُلودِ
فيك ما في الوجودِ مِنْ حَلَكٍ، دا ... جٍ، وما فيه من ضياءٍ، بَعيدِ
فيك ما في الوجودِ من نَغَمٍ، ... حُلْوٍ، وما فيه مِن ضَجيجٍ، شَديدِ
فيك ما في الوجودِ مِنْ جَبَلٍ، وَعْـ ... ـرٍ، وما فيه من حَضِيضٍ، وَهِيدِ [6]
فيك ما في الوجود من حَسَكٍ، يُدْ ... مِي، وما فيه مِن غَضِيضِ الوُرودِ [7]

---

(١) السرمدي: الدائم.
(٢) الأملود: الناعم اللينّ.
(٣) الداجي: المظلم.
(٤) اللحود: جمع اللحد: القبر.
(٥) أتحسّاه: أشربه شيئاً بعد شيء.
(٦) الحضيض: القرار في الأرض. وهيد: من الوهدة: الأرض المنخفضة.
(٧) الحَسَك: الحقد والعداوة، وهو أيضاً نبات له شوك، الغضيض: الطري، والطَّلع الناعم.

فيك ما في الوجود. . ، حَبَّ بنو الأر ... ض قصيدي، أَمْ لَمْ يُحبُّوا قَصيدي
فسواءٌ على الطُّيورِ - إذا غَـ ... ـنَتْ - هُتافُ السُّوُوم والمُسْتَعيدِ
وسواءٌ على النّجومِ - إذا لاحتْ ... - سكونُ الدُّجى وَقَصْفُ الرُّعودِ
وسواءٌ على النّسيمِ أفي القف ... ـرِ تُغَنّي، أَمْ بين غضِّ الوُرودِ
وسواءٌ على الورودِ، أفي الغيرا ... نِ فَاحَتْ، أم بين نَهْدٍ وَجِيدِ.[1]

طريق الهاوية[2]

[من الخفيف]

يا عَذَارى الجمالِ، والحُبِّ، والأحلامِ، ... بَلْ يا بَهَاءَ هذا الوجودِ!
خُلِقَ البُلبلُ الجَميلُ ليشدو ... وَخُلِقْتُنَّ للغرامِ السَّعيدِ
والوُجودُ الرحيبُ كالقَبْرِ، لولا ... ما تُجَلِّينَ مِنْ قُطوبِ الوُجودِ[3]
والحياةُ التي تخرُّ لها الأَحْلامُ ... موتٌ مُثَقَّلٌ بالقُيودِ. . .
والشَّبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسعى ... إلى الموت في طريقٍ كَؤُودِ.[4]
والرَّبيعُ الجميلُ في هاته الدُّنيا ... خريفٌ يُذْوِي رفيفَ الوُرودِ[5]
والوُرودُ العِذَابُ في ضفّة الجَدول ... شَوْكٌ، مَصَفَّحٌ بالحديدِ. . .
والطُّيورُ التي تُغنّي، وتقضي ... عيْشَها في ترنُّمٍ وَغَريدِ؟
إنّها في الوجودِ تشكو إلى الأيّام ... عِبءَ الحَياةِ بالتّغريدِ. .
والأَناشِيدُ؟ إنّها شَهَقاتٌ ... تَتَشَظّى مِنْ كُلّ قَلْبٍ عَميدِ.[6]
صُورَةٌ للوجودِ شوهاءُ، لولا ... شفقُ الحُسْنِ فوقَ تلكَ الخُدودِ

* * *

يا زهورَ الحياةِ، للحبِّ أنتنَّ ... ولكنَّهُ مخيفُ الورودِ
فَسَبيلُ الغرامِ جَمُّ المهاوي ... وَافرُ الهولِ، مُسْتَرابُ الصَّعيدِ[7]

---

(١) الغيران: جمع الغار: المطمئن من الأرض، أو كالبيت في الجبل. الجيد: العُنق.
(٢) نظمها في ٢٢ صفر ١٣٤٩ هـ / ١٩ جويلية - تموز ١٩٣٠ م.
(٣) الرحيب: الواسع. القُطوب: العبوس.
(٤) كؤود: شاق.
(٥) يذوي: يذبل. الرفيف: المتندي من الشجر وغيرها.
(٦) تتشظّى: تتفرق. العميد: الذي هدّه العِشق.
(٧) مستراب: مُريب. الصعيد: التراب.

رُغمَ ما فيه من جمالٍ، وفنٍّ عبقريٍّ، ما إنْ لَهُ مَزيدِ
وَأناشيدَ، تُسْكِرُ الملأ الأعلى، وتُشْجِي جَوانحَ الجلمُودِ[1]
وأريجٍ، يَكادُ يَذْهَبُ بالألباب ما بين غامضٍ وَشَديدِ[2]
وَسَبيلُ الحياةِ رِحْبٌ، وأنتنّ اللواتي تَفْرُشْنَهُ بالوُرودِ
إن أردتُنَّ أن يكونَ بهيجاً رَائعَ السِّحْر، ذَا جمالٍ فريدِ
أو بشوكٍ، يُدمِي الفَضيلةَ والحُبَّ ويقضي على بهاءِ الوُجودِ
إنْ أردتُنّ أنْ يكونَ شنيعاً، مُظْلِمَ الأفْقِ ميِّتَ التَّغريدِ

الجمال المنشود[3]

[من الخفيف]

يا عَذارى الجمال، والحُبِّ، والأحلامِ، بَلْ يَا بَهَاءَ هذا الوُجُودِ
قد رأَيْنا الشُّعُورَ مُنْسَدِلاتٍ كلَّلَتْ حُسْنَها صباحُ الورودِ
وَرَأينا الجفونَ تَبْسِمُ . . ، أو تَحْلُمُ بالنُّورِ، بالهوى، بالنَّشيدِ
وَرَأينا الخُدودَ، ضرَّجَها السِّحْرُ، فآهاً مِنْ سِحْرِ تلكَ الخُدود
ورأينا الشِّفاهَ تَبْسِمُ عَنْ دنْيَا من الوَردِ، غَضَّةٍ، أُمْلُودِ[4]
ورأينا النُّهودَ تَهْتَزُّ، كالأزهارِ في نَشْوَةِ الشَّبابِ السَّعيدِ
فتنةٌ، تُوقِظُ الغَرَامَ وَتُذْكيهِ، وَلكنْ مَاذا وراءَ النُّهُودِ
ما الذي خَلْفَ سِحْرِها الحالمِ، السَّكرانِ، في ذلك القرار البعيدِ..
أنفُوسٌ جميلةٌ، كطيورِ الغابِ تَشْدو بِسَاحِرِ التَّغْرِيدِ
طاهراتٌ، كأنَّها أَرَجُ الأزهارِ في مَوْلِدِ الرَّبيعِ الجَديد؟
وقلوبٌ مضيئةٌ، كنُجومِ اللَّيلِ ضَوّاعَةٌ، كَغَضِّ الوُرودِ[5]
أم ظَلامٌ، كأنَّهُ قِطَعُ اللَّيلِ وَهَوْلٌ يُشِيبُ قلبَ الوليدِ
وخِضَمٌّ، يَموج بالإثْمِ والنُّكْرِ، والشَّرِّ، والظَّلالِ المَديدِ؟[6]

---

(١) تشجي: تحزن. جوانح: جوانب. الجلمود: الصخر.
(٢) الأريج: توهُّج ريح الطيب. الألباب: العقول، والقلوب، الواحد لُب.
(٣) نظمها في ٢٢ صفر ١٣٤٩ هـ /١٩ جويلية ـ تموز ١٩٣٠ م.
(٤) غضّة: طرية. أملود: ناعمة لينة.
(٥) ضوّاعة: فوّاحة بالعطر.
(٦) الخضم: البحر. الإثم: الذّنب.

لستُ أدري، فربَّ زهرٍ شذيٍّ ... قاتلٌ رُغْمَ حُسْنِهِ المَشْهُودِ
صانَكُنَّ الإلهُ مِنْ ظُلْمةِ الرُّوحِ ... وَمِنْ ضَلّةِ الضَميرِ المُريدِ
إنَّ لَيلَ النُّفوسِ ليلٌ مريعٌ ... سَرْمَديُّ الأسى، شنيعُ الخُلُودِ[1]
يرزَحُ القَلْبُ فيه بالألَمِ المرِّ، ... ويَشقى بعيشِهِ المَنْكُودِ[2]
وَربيعُ الشَّبابِ يُذبِلُهُ الدَّهْرُ، ... ويمضي بِحُسْنِهِ المَعْبُودِ
غيرُ باقٍ في الكونِ إلّا جمالُ ... الرُّوح غضّاً على الزَّمانِ الأبيدِ[3]

أحلام شاعر[4]

[من الخفيف]

ليتَ لي أنْ أعيشَ في هذه الدّنيا ... سَعيداً بِوَحْدتي وانفرادي
أصرِفُ العُمْرَ في الجبالِ، وفي الغاباتِ ... بينَ الصَّنوبرِ الميّادِ[5]
ليسَ لي من شواغلِ العيشِ ما يصرف ... نَفْسي عَنِ استماعِ فؤادي
أرْقُبُ الموتَ، والحياةَ، وأصغي ... لحديثِ الآزالِ والآباد[6]
وأغنّي مع البلابلِ في الغاب، ... وَأُصْغِي إلى خريرِ الوادي
وَأناجي النّجومَ والفجرَ، والأطيارَ ... والنّهرَ، والضّياءَ الهادي
عِيشةً للجمالِ، والفنِّ، أبغيها ... بعيداً عَنْ أمّتي وبلادي
لا أُعَنّي نفسي بأحْزانِ شعبي ... فَهُوَ حيٌّ، يعيش عيشَ الجمادِ![7]
وبحسبي مِنَ الأسى ما بنفسي ... مِنْ طَريفٍ مُسْتَحْدَثٍ، وتَلادِ[8]
وبعيداً عن المدينةِ، والنّاسِ، ... بعيداً عن لَغْوِ تلك النّوادي[9]
فَهُوَ من مَعْدَنِ السُّخافةِ والإفْكِ ... ومن ذلك المُراء العادي[10]

---

(١) مريع: مخيف. سرمدي: دائم.
(٢) يرزح: يسقط إعياءً. المنكود: الشديد، العسير.
(٣) الزمان الأبيد، أي الزمان الدائم.
(٤) نظمها في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٩ هـ/ ٤ أفريل - نيسان ١٩٣١ م.
(٥) الميّاد: الذي يميد، أي يتمايل، ويتبختر، ويتحرك.
(٦) الآزال: جمع الأزل أي القديم. والآباد: جمع الأبد: الدائم.
(٧) أعنّي: أتعب.
(٨) المال الطريف والطارف: الجديد المستحدث. والتلاد والتليد، أي: القديم الموروث.
(٩) اللغو من الكلام: ما لا يُلتفت إليه.
(١٠) الإفك: الكذب. المُراء: الكلام الفاسد، كثير الخنا والخطأ.

أينَ هوْ مِنْ خريرِ ساقيةِ الوادي ... وخفْقِ الصَّدَى، وشدوِ الشَّادي
وَحَفيفِ الغصونِ، نمَّقها الطَّلُّ ... وَهَمْسِ النَّسيمِ للأوْراد؟(١)
هذهِ عِيشةٌ نقدِّسها نفسي ... وأدعُو لمجدِها وأنادي

أيّتها الحالمة بين العواصف(٢)

[من الخفيف]

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ في الغابِ ... ولكنْ مَا بينَ شوكٍ، ودودِ
والرياحينُ تَحْسَبُ الحسَكَ الشرِّيرَ ... والدُّودَ من صُنوفِ الورودِ(٣)
فَافْهمي النَّاسَ..، إنَّما النَّاسُ خَلْقٌ ... مُفْسِدٌ في الوجودِ، غيرُ رشيدِ
وَدَعِيهِمْ يَحْيَوْنَ في ظُلْمةِ الإثْمِ ... وَعِيشي في طُهْرِكِ المحمودِ
كالملاكِ البريءِ، كالوردةِ البيضاءِ، ... كالموجِ، في الخِضَمِّ البَعيدِ(٤)
كأغاني الطُّيور، كالشَّفَقِ السَّاجِرِ ... كالكوكبِ البعيدِ السَّعيدِ
كثُلوجِ الجبالِ، يغمرُهَا النُّورُ ... وَتسمو على غُبارِ الصَّعيدِ(٥)
أنتِ تحتَ السَّماءِ روحٌ جميلٌ ... صَاغَهُ اللهُ من عَبيرِ الوُرودِ
وبنو الأرضِ كالقُرودِ، وما أضْـ ... ـيَعَ عِنطرَ الورودِ بينَ القرودِ!
أنتِ من ريشةِ الإلهِ، فلا تُلْـ ... ـقِي بفنِّ السَّما لِجَهْلِ العبيدِ
أنتِ لم تُخْلَقي ليقْرُبَكِ النَّاسُ ... ولكنْ لتُعْبَدي مِنْ بعيدِ...

قال قلبي للاله(٦)

[من الخفيف]

في جبالِ الهمومِ، أنْبتُّ أغصاني ... فَرَفَتْ بينَ الصُّخُورِ بِجُهْدِ
وَتَغَشَّانيَ الضَّبَابُ..، فأورقتُ ... وأزْهَرتُ للعَواصفِ، وَحْدِي

---

(١) الطل: الندى.
(٢) نظمها في ١٥ شوّال ١٣٥١ هـ/ ١١ فيفري ـ شباط ١٩٣٣ م.
(٣) الحَسَك: الحقد والعداوة، ونبات له شوك.
(٤) الخِضم: البحر.
(٥) الصعيد: التراب.
(٦) غير مؤرّخة.

وتمـايـلتُ في الـظِّلامِ، وَعَـطّرتُ فَـضَـاءَ الأسى بـأنـفـاسِ وَردِي
وبمـجـدِ الحيـاةِ، والـشـوقِ غنّيْتُ..، فـلم تـفـهـمِ الأعَـاصـيرُ قَـصْـدِي
ورَمَـتْ لـلوهـادِ أفـنـانيَ الخضرَ، وظـلّتْ في الـثّـلْجِ تحـفـر لَحْـدِي [1]
ومَضتْ بـالـشّـذى فَـقُـلْتُ: «ستبـقي في مـروجِ الـسّـماءِ بـالـعِـطْرِ مَجْـدي»
«وتَـغـزّلْتُ بـالـربـيـعِ، وبـالـفجـرِ فَـماذا سـتـفـعـلُ الـرّيـحُ بـعـدي»

---

(١) الوهاد: الحُفر، والواحدة وهدة. الأفنان: الأغصان. قوله: رمت.. يعني أنّ المصائب حطمته. اللحد: القبر.

قافية الرّاء

إرادة الحياة[1]

[من المتقارب]

إذا الشَّعْبُ يوماً أرادَ الحياةَ ... فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القدرْ[2]
ولا بُدَّ لليْلِ أنْ ينجلي ... ولا بُدَّ للقيدِ أن يَنْكَسِرْ
وَمَنْ لم يعانقْهُ شَوْقُ الحياةِ ... تَبَخَّرَ في جَوِّها، واندَثَرْ[3]
فويلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْهُ الحياةُ ... من صَفْعَةِ العَدَمِ المنتصرْ[4]
كذلك قالتْ ليَ الكائناتُ ... وحدَّثَني رُوحُها المُستَتِرْ

* * *

وَدَمْدَمَتِ الرِّيحُ بين الفِجاجِ ... وفوقَ الجبالِ وَتَحْتَ الشَّجرْ:[5]
«إذا ما طَمَحْتُ إلى غايةٍ ... رَكِبتُ المنى، وَنَسِيتُ الحَذرْ»
«ولم أتجنَّبْ وُعُورَ الشِّعابِ ... ولا كُبَّةَ اللَّهَبِ المُستَعِرْ»[6]
«وَمَنْ لا يحبُّ صُعُودَ الجبالِ ... يَعِشْ أبَدَ الدَّهْرِ بينَ الحُفَرْ»[7]
فَعَجَّتْ بقلبي دماءُ الشَّبابِ ... وضجَّت بصدري رياحٌ أُخَرْ...[8]

---

(١) نظمها في ٢٦ جمادي الأولى ١٣٥٢ هـ/ ١٦ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣٣ م.
(٢) لا يفعل الشعب شيئاً إلّا بقضاء الله وقدره، فالحذر!.
(٣) اندثر: زال من الوجود.
(٤) صفعة: ضرب قفاه بجمع كفّه لا شديداً. ولكن الشاعر أطلق معناها.
(٥) الدَّمدَمة: الغضب، دمدم عليه: كلمة مُغضَباً. الفِجاج: جمع الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.
(٦) الشِّعاب: جمع الشعبة: ما عظُم من سواقي الأودية، وصُدع في الجبل يأوي إليه المطر.
الكُبّة: الدفعة في القتال والجري.
(٧) أبد الدهر، أي: على الدوام.
(٨) عجّ: صاح وارتفع صوته. عجّت الريح اشتدت فأثارت الغبار. ويريد بأن دماءه تحركت.

وأطرقتُ، أُصغي لقصفِ الرُّعودِ وعزفِ الرِّياحِ، وَوَقْعِ المَطَرْ[1]

* * *

وَقالتْ ليَ الأرضُ - لما سألتُ: أيا أمُّ هل تكرهينَ البَشَرْ؟»:
«أباركُ في النّاسِ أهلَ الطُّموحِ ومَنْ يَسْتَلِذُّ ركوبَ الخطرْ»
«وألْعنُ مَنْ لا يعاشي الزَّمانَ، ويقنعُ بالعيْشِ عيشِ الحجرْ»
«هو الكونُ حيٌّ، يحبُّ الحياةَ ويحتقرُ الميْتَ، مَهْمَا كَبُرْ»
«فلا الأفقُ يحضُنُ ميْتَ الطُّيورِ، ولا النَّحْلُ يلثِم ميْتَ الزَّهَرْ»
«ولولا أمُومةُ قلبي الرَّؤومُ لَمَا ضمَّتِ الميْتَ تلكَ الحُفَرْ»[2]
«فويلٌ لِمَنْ لم تَشُقْهُ الحَياةُ، مِنْ لعنةِ العَدَمِ المنتصرْ!»

* * *

وفي ليلةٍ من ليالي الخريفِ مثقَّلةٍ بالاسى والضَّجَرْ
سَكِرْتُ بها من ضياءِ النُّجومِ وغنَّيْتُ للحُزْن حتَّى سَكِرْ
سألْت الدُّجى: هل تُعيدُ الحياةُ لما أذبلته ربيعَ العُمُرْ؟
فلم تَتَكَلَّم شِفَاهُ الظَّلامِ ولم تترنَّمْ عَذَارى السَّحَرْ
وقال ليَ الغابُ في رقَّةٍ محبَّبَةٍ مِثْلَ خفْقِ الوترْ:
«يجيءُ الشِّتاءُ، شتاءُ الضَّبابِ، شتاءُ الثَّلوجِ، شتاءُ المطرْ»
«فينطفىء السِّحْرُ، سِحْرُ الغُصونِ، وسحرُ الزُّهورِ، وسحرُ الثَّمَرْ»
«وسِحْرُ السَّماءِ الشَّجيُّ الوديعُ، وسِحْرُ المروجِ، الشهيُّ العَطِرْ»
«وتَهْوِي الغُصونُ، وأوراقُهَا، وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نَضِرْ»[3]
«وتلهو بها الرِّيح في كُلِّ وادٍ، ويدفنها السَّيلُ، أنَّى عَبَرْ»
«ويفنى الجميعُ كحلْمٍ بديعٍ، تألَّقَ في مُهجةٍ واندَثَرْ»[4]
«وتبقَى البُذورُ، التي حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ، غَبَرْ»
«وذكرى فصولٍ، ورؤيا حَياةٍ، وأشباحَ دنيا، تلاشتْ زُمَرْ»

---

(١) أطرقتُ: سكتت ولم أتكلم، وأرخيت عيني انظر إلى الأرض.
(٢) الرؤوم: العطوف.
(٣) النَّضِر: الحسن، والناعم.
(٤) المهجة: الدم، أو الروح. اندثر: زال وامّحى.

«مِعانِقَةً - وَهْي تحت الضَّباب، وتحتَ الثُّلوجِ، وتحتَ المَدَرْ»[1]
«لِطَيْفِ الحياة الذي لا يَمِلُّ، وقلبِ الرَّبيعِ الشذيِّ الخضِرْ»[2]
«وَحالِمَةً بأغاني الطُّيورِ، وعِطْرِ الزُّهور، وَطَعْمِ الثَّمَرْ»

* * *

«ويمشي الزَّمانُ، فتنمو صروفٌ، وتذوي صروفٌ، وتحيا أُخَرْ»[3]
«وتُصبِحُ أحلامُهَا يقْظةً، مُوَشَّحةً بغموضِ السَّحَرْ»
«تُسَائِل: أينَ ضَبابُ الصَّباحِ؟ وسِحْرُ المَساءِ؟ وضوءُ القَمَرْ؟»
«وأسرابُ ذاكَ الفَراشِ الأنيقِ؟ وَنَحْلٌ يغنِّي، وغيمٌ يَمُرْ؟»
«وأينَ الأشعَّةُ والكائناتُ؟ وأينَ الحياةُ التي أَنْتَظِرْ؟»
«ظمئتُ إلى النُّور، فوق الغصونِ! ظمِئتُ إلى الظِّلِّ تحت الشَّجَرْ!»
«ظمِئتُ إلى النَّبْعِ، بين المروج، يغنِّي، ويرقصُ فوقَ الزَّهَرْ!»
ظمئتُ إلى نَغَماتِ الطُّيورِ، وهَمْسِ النَّسيمِ، ولحنِ المَطَرْ،»
«ظمئتُ إلى الكونِ! أين الوجودُ وأنِّي أرى العالَمَ المنتظَرْ؟
«هو الكونُ، خلف سُبَاتِ الجُمودِ، وفي أُفقِ اليَقظاتِ الكُبَرْ»[4]
«وما هو إلاّ كَخَفْقِ الجناحِ حتّى نما شوقُها وانتصَرْ»
«فصدَّعتِ الأرضُ من فوقها وأبْصرتِ الكَوْنَ عذبَ الصُّوَرْ»
«وجاء الرَّبيعُ، بأنغامِهِ، وأحلامِهِ، وصِباهُ العَطِرْ»
«وقبَّلها قُبَلاً في الشِّفاه، تُعيدُ الشَّبَابَ الذي قد غَبَرْ»[5]
«وقال لها: قد مُنِحْتِ الحياةَ، وخُلِّدْتِ في نَسْلِكِ المدَّخَرْ»
«وباركَكِ النُّورُ، فاستقبلي شَبَابَ الحياةِ وخصْبَ العُمُرْ»
«ومن تَعْبُدُ النُّورَ أحلامُه، يُبَارِكُهُ النُّورُ أنَّى ظَهَرْ»
«إليكِ الفَضَاءَ، إليكِ الضياءَ، إليكِ الثَّرى، الحالمَ، المزدهِرْ!»[6]
«إليكِ الجمالَ الذي لا يَبيدُ! إليكِ الوجودَ، الرَّحيبَ، النَّضِرْ!»[7]

---

(١) المدر: قطع الطيف اليابس.
(٢) الطَّيف: الخيال الطائف في المنام.
(٣) الصروف من الدهر: حِدثانه، ونوائبه.
(٤) السبات: النوم، والراحة.
(٥) غبر: ذهب، وغبر أيضاً مكث، ضد.
(٦) الثرى: الندى، والتراب الندي.
(٧) يبيد: يذهب وينقطع. الرحيب: الواسع.

«فميدي - كما شئتِ - فوق الحقولِ، بِحُلْوِ الثِّمارِ وغضِّ الزَّهَرْ[1]
«وناجي النَّسيمَ، وناجي الغيومَ، وناجي النجومَ، وناجي القمَرْ»
«وناجي الحياةَ وأشواقَها، وفتنةَ هذا الوجودِ الأغَرْ»[2]

* * *

«وشفَّ الدُّجى عن جمالٍ عميقٍ، يُشِبُّ الخيالَ، ويُذكي الفِكَرْ»[3]
«ومُدَّ على الكونِ سِحْرٌ غريبٌ، يصرِّفُهُ ساحرٌ مقتدِرْ»[4]
«وضاءَتْ شموعُ النُّجومِ الوِضَاءِ، وضَاعَ البَخُورُ، بَخُورُ الزَّهَرْ»
«وَرَفْرَفَ روحٌ، غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياءِ القَمَرْ»
«وَرَنَّ نشيدُ الحياةِ المقدَّسُ في هيكلٍ، حالِمٍ، قَدْ سُحِرْ»
«وأُعْلِنَ في الكونِ: أنْ الطموحَ لهيبُ الحياةِ، ورُوحُ الظَّفَرْ»
«إذا طَمَحَتْ للحياةِ النُّفوسُ فلا بُدَّ أنْ يستجيبَ القَدَرْ!»

إيّاك[5]

[مجزوء الكامل]

إيّاكَ والتحديقَ مِنْ خِلَلِ البراقعِ للحَوَرْ[6]
وتطاول الأعناقَ نحو جمالِ رَبَّاتِ الخفَرْ[7]
فالحبُّ في طغيانه كالسَّيْلِ إمَّا ينهمرْ
فلقد حَسَوْتُ زُعافَه وخَبَرْتُ منه المستترْ[8]

---

(١) الغض: الطري. ماد يميد: تحرّك، واضطرب.
(٢) الأغر: الأبيض.
(٣) الدجى: الظلام. شفّ: كشف. يذكي: يشعل. يُشب: إذا شبّ ولده.
(٤) يصرّفه: يتصرف به، يقلّبه، يحوله من وجه إلى وجه.
(٥) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».
(٦) البراقع: جمع البُرقع: غطاء للوجه. الحَوَر: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها.
(٧) ربّات الخفر: كناية عن النساء.
(٨) الزّعاف: السم.

الجنّة الضّائعة[1]

[مجزوء الكامل]

كَمْ من عُهودٍ عذبةٍ ... في عَدْوَةِ الوَادي النَّضيرْ[2]
فِضِّيَّةِ الأسْحَارِ مُذْ ... هَبَّةِ الأصَائل والبُكُورْ[3]
كانت أرقَّ من الزُّهو ... رِ، وَمِنْ أغاريدِ الطُّيورْ
والذُّ من سِحْرِ الصِّبا ... في بَسْمة الطِّفلِ الغَريرْ[4]
قَضَّيْتُهَا ومعي الحبيبةُ لا ... رقيبَ ولا نَذيرْ
إلّا الطُّفولةَ حولنا ... تلهو مَعَ الحُبِّ الصَّغيرْ
أيَّامَ كانتْ للحَيا ... ةِ حَلاوةُ الرَّوضِ المَطيرْ
وَطَهَارةُ الموجِ الجَميـ ... ـلِ، وسِحْرُ شَاطئهِ المُنيرْ
وَوَداعةُ العُصفورِ، بيـ ... ـن جداولِ الماءِ النَّميرْ[5]
أيَّامَ لم نَعْرِفْ منَ الدُّ ... نيا سوى مَرَحِ السُّرورْ
وتَتَبُّعِ النَّحْلِ الأنيـ ... ـقِ وقَطْفِ تِيجانِ الزُّهورْ
وَتَسَلُّقِ الجبلِ المُكَلَّـ ... ـلِ بالصَّنَوْبَرِ والصُّخورْ
وبناءِ أكواخِ الطُّفو ... لةِ تَحْتَ أعشاشِ الطُّيورْ
مسقوفةً بالوَرد، والـ ... أعْشَابِ، والوَرَقِ النَّضِيرْ
نبني، فتهدمُها الرِّيا ... حُ، فلا نضجُّ ولا نَثُورْ
ونعودُ نَضْحَكُ للمرو ... جِ، وللزّنابقِ، والغَديرْ
ونخاطبُ الأصداءَ، وهْـ ... ـي ترفُّ في الوادي المُنيرْ[6]
ونعيد أغنيةَ السَّواقي، ... وهْي تَلْغو بالخَريرْ[7]
ونَظَلُّ نَرْكُضُ خَلْفَ أسـ ... ـرابِ الفَراشِ المُسْتَطيرْ
ونمرُّ ما بين المرو ... جِ الخُضْرِ، في سكر الشُّعورْ

---

(١) نظمها في ١٢ رمضان ١٣٥١ هـ/ ٩ جانفي ـ كانون الثاني ١٩٣٣ م.
(٢) عدوة الوادي: شاطئه.
(٣) الأصائل: جمع الأصيل وهو وقت ما قبل الغروب.
(٤) الغرير: الصغير لا تجربة له.
(٥) الماء النّمير: الزاكي، والناجع عذباً كان أو غير عذب.
(٦) الأصداء: جمع الصّدى: طائر الليل يقفز قفزاناً.
(٧) تلغو: تتكلم، وتتكلم بما لا يُعتد به.

نشدو، ونرقصُ - كالبلا - بل - للحياةِ، وللحُبورْ[1]
ونَظَلُّ ننثُرُ للفضا - ءِ الرَّحْبِ، والنَّهرِ الكَبيرْ
ما في فؤادَيْنا مِنَ الأ - حْلامِ، أو حُلْوِ الغرورْ
ونَشِيدُ في الأُفُقِ المخَـ - ـضَّبِ مِنْ أمانينا قُصورْ[2]
أزهى من الشَّفَقِ الجميـ - ـل، ورونقِ المَرْجِ الخَضيرْ
وأجلُّ من هذا الوجو - دِ، وكلِّ أمجادِ الدُّهورْ
أبداً، تُذلِّلُها الحيا - ةُ بكلِّ أنواعِ السُّرورْ
وَتَبُثُّ فينا من مرا - حِ الكَون ما يُغوي الوَقُورْ[3]
فنسيرُ، نَنْشُدُ لهوَنا - المعبودَ - في كلِّ الأمورْ
ونَظَلُّ نعبثُ بالجلي - لِ منَ الوُجودِ، وبالحقيرْ:
- بالسَّائل الأعمى وبال - سمعتوهِ، والشَّيخِ الكَبيرْ
بالقطَّةِ البيضاءِ، بالشَّـ - ـاةِ الوديعةِ، بالحميرْ
بالعُشبِ، بالفَنَنِ المنوَّ - رِ، بالسَّنابلِ، بالسَّفيرْ[4]
بالرَّمْلِ، بالصَّخْرِ المحطَّـ - ـمِ، بالجداولِ، بالغديرْ
واللَّهوُ، والعَبَثُ البري - ءُ، الحلوُ، مطمحُنا الأخيرْ
ونَظَلُّ نقفزُ، أو نُثَرْ - ثِرُ، أو نغنِّي، أو نَدُور
لا نَسْأَمُ اللَّهْوَ الجميـ - ـلَ، وليس يُدْرِكُنا الفُتُورْ
فكأنَّنا نحيا بأعـ - ـصابٍ من المَرَحِ المُثيرْ
وكأنَّنا نمشي بأقـ - ـدامٍ مجنَّحةٍ، تَطيرْ
أيام كنا لبّ هـ - ـذا الكون والباقي قشور[5]
أيّام تفرشُ سُبْلَنا الدُّ - نيا بأوراقِ الزُّهورْ
وتمرُّ أيّامُ الحيا - ةِ بنا، كأسْرابِ الطُّيورْ
بيضاءَ لاعبةً، مُغرْ - ردةً مجنَّحةً بنُورْ
وتُرَفْرِفُ الأفراحُ فو - ق رؤوسنا أنّى نَسِيرْ

---

(١) الحبور: السرور.
(٢) المخضّب: المصطبغ، الملوّن.
(٣) تبث: تبعث. المراح: النشاط والبطر والتبختر. يغوي: يضل.
(٤) الفنن: الغصن. المنوّر: المزهر.
(٥) اللب: القلب، والعقل.

آهٍ، تـوارى فَـجْـرِيَ الـ ـقُـدُسيُّ في لـيـلِ الـدُّهـورْ[1]
وَفَـنَى، كـما يـفـنَى الـنَّـشِـيـ ـدُ الحـلْوُ في صَـمْـتِ الأثـيرْ[2]
أوّاهُ، قـدْ ضـاعـتْ عـليَّ سَـعَـادةُ الـقَـلبِ الـغَـريـرْ
وبـقـيـتُ في وادي الـزَّمـا نِ الجـهْـمِ أدأَبُ في المـسـيرْ[3]
وأدوسُ أشـواكَ الحـيـاةِ بـقـلبـيَ الـدّامـي الـكَـسـيرْ
وأرى الأبَـاطـيـلَ الـكـثـيـ ـرةَ، والمـآثـمَ، والشُّرورْ[4]
وَتَـصَـادُمَ الأهـواءِ بـالـ أهـواءِ في كـلّ الأمـورْ
ومـذلّـةَ الحـقِّ الـضَّـعـيـ ـفِ، وَعِـزَّةَ الـظُّلْمِ الـقَـديـرْ!
وأرى ابـنَ آدَمَ سـائـراً في رحْـلَةِ الـعُـمُـرِ الـقَـصِـيرْ
مـا بـيـنَ أهـوالِ الـوجـو دِ، وتَحْـتَ أعـبـاءِ الـضَّـمـيرْ
مُـتَـسَـلِّقـاً جَـبَـلَ الحـيـاةِ الـوعْـرِ، كـالـشَّـيْـخِ الضَّريـرْ
دامـي الأكُـفِّ، مُـمَـزَّقَ الأ قْـدَامِ، مُـغْـبَرَّ الـشُّـعـورْ
مـتـرنِّـحَ الخـطواتِ مـا بـين المَـزالـقِ والـصُّـخـورْ
هـالـتْـهُ أشْـبَـاحُ الـظَّلا مِ، وَرَاعَـهُ صـوتُ الـقُـبـورْ[5]
ودويُّ إعْـصَـارِ الأسى، والمـوتُ، في تـلك الـوُعـورْ

* * *

مـاذا جـنـيـتُ من الحـيـاة ومـن تجـاريـبِ الـدُّهـورْ
غَـيرَ الـنـدامـةِ والأسى والـيـأسِ والـدَّمـعِ الـغـزيـرْ؟
هـذا حَـصـادي مـن حـقـو لِ الـعـالَمِ الـرحـبِ الخـطير
هَـذا حَـصـادي كـلُّهُ، في يـقـظةِ الـعَـهْـدِ الأخـيرْ

* * *

قـد كـنـتُ في زمـنِ الـطُّفـو لـةِ، والـسُّـذَاجـةِ، والـطُّهـورْ
أحْـيـا كـما تحـيـا الـبَـلا بـلُ، والجـداولُ، والـزُّهـورْ

---

(١) توارى: احتجب. ونسبة الفجر إلى نفسه يرمز بها إلى أيام الفرح.
(٢) الأثير: الفضاء الواسع.
(٣) أدأبُ: أجهد. الجهم: العابس.
(٤) المآثم: الذنوب. يصور الشابي مأساته مع آفات عصره، الظلم. وتحكم القوي بالضعيف، والباطل وصراعه مع الحق ويلفت إلى انتشار الشرور.
(٥) هالته: أفزعته.

لا تَحْفَلُ، الدنيا تدو ر بأهلها، أو لا تَدُورْ[1]
والـيـومَ أحـيـا مُـرْهَـقَ الـ أعصابِ، مَشْبُوبَ الشُّعورْ[2]
متأجِّجَ الإحْسَاسِ، أحـ ـفلُ بالعَظيمِ، وبالحقيرْ
تمشي على قلبي الحياةُ، ويزحَفُ الكونُ الكبيرْ
هذا مصيري، يا بني أمّي، فما أشقى المصيرْ![3]

مأتم الحبّ[4]

[من مجزوء الرّمل]

لَيْتَ شِعْري!
أيُّ طَيرْ
يَسْمَعُ الأحْزَانَ تَبْكِي بَيْنَ أعْمَاقِ القُلُوبْ
ثُمَّ لا يَهْتِفُ في الفَجْرِ، بِرَنَّاتِ النَّحِيبْ[5]
بِخُشُوعٍ، واكتِئَابْ؟

* * *

لستُ أدري
أيُّ أمرْ
أخْرَسَ العُصْفُورَ عنِّي، أتُرى مَاتَ الشُّعُورْ
في جَمِيعِ الكَوْنِ، حَتَّى في حُشَاشَاتِ الطُّيُورْ؟[6]
أمْ بكَى خَلْفَ السَّحَابْ؟

* * *

في الدَّيَاجي
كَمْ أُنَاجِي

---

(١) لا نحفل: لا نبالي.
(٢) مشبوب: مُوقد.
(٣) قوله: يا بني أمي، يعني يا أبناء الأرض، أي البشر.
(٤) نظمها في ٢٣ محرم ١٣٤٥ هـ/ ٣ أوت ـ آب ١٩٢٧ م.
(٥) النحيب: البكاء الشديد.
(٦) حشاشات: جمع حُشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

مَسْمَعَ القَبْرِ، بِغَصَّـ ـاتِ نَحِيبي، وَشُجُوني[1]
ثُمَّ أَصْغِي، عَلَّنِي أَسْمَعُ تَرديدَ أَنِيني
فَأَرى صَوْتي فَرِيدْ!

* * *

فَأُنادي:
«يَا فُؤادي»
«مَاتَ مَنْ تَهْوَى! وَهَذا اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الحَبِيبْ»[2]
«فَابْكِ يَا قَلْبُ بِمَا فِيكَ مِنَ الحُزْنِ المُذِيبْ»
«إِبكِ يَا قَلْبُ، وَحِيدْ!»

* * *

ذُلَّ قَلْبِي،
مَاتَ حُبِّي!
فَاذْرُفِي يَا مُقْلَةَ اللَّيْلِ، الدَّرَارِي عَبَرَاتْ[3]
حَوْلَ حِبِّي، فَهْوَ قَدْ وَدَّعَ آفَاقَ الحَيَاةْ
بَعْدَ أَنْ ذَاقَ اللَّهِيبْ

* * *

وَانْدُبِيهُ،
وَاغْسِلِيهْ،
بِدُمُوعِ الفَجْرِ، مِنْ أَكْوابِ زَهْرِ الزَّنْبَقِ
وَادْفِنِيهِ بِجَلالٍ، فِي ضِفَافِ الشَّفَقِ
لِيَرى رُوحَ الحَبِيبْ

* * *

---

(١) الدياجي: الحنادس، وكأنه جمع دَيْجاة: ظُلمة. الشجون: الأحزان.
(٢) اللحد: القبر.
(٣) مقلة الليل، يعني عينه الساهرة. الدراري: جمع الدُّرّة: اللؤلؤة العظيمة ويعني بالدراري الدموع تشبيهاً.

النَّجوى[1]

[من مجزوء الرّمل]

قَفْ قَلِيلاً، أَيُّهَا السَّارِي القَمَرْ! ... واصْطَبِرْ[2]
يَا سَمِيرِي! فِي أُوَيْقَاتِ الكَدَرْ ... والضَّجَرْ[3]
واسقِنِي مِنْ جَذْوَلِ النُّورِ البَدِيعْ ... قَدَحَا
عَلَّنِي أَفْهَمَ هَيْنُومَ الرَّبِيعْ ... إِنْ صَحَا[4]
كَمْ فُؤَادٍ إِذْ تَوَلَّتْهُ الشُّجُونْ ... والهمومْ
بُثَّ أَسْلاَكَكَ، وَالدَّمْعُ هَتُونْ ... ما يرومْ[5]
إِنْ تَكُنْ تَضْحَكُ سُخْراً بِالبَشَرْ ... يَا قَمَرْ!
فَلَكَمْ أَحْزَنَكَ الدَّهْرُ الخَطِرْ ... بالنُّكُرْ[6]
أَيُّهَا القَامُوسُ يَا صَوْتَ الحياةْ! ... وَصَدَاهَا[7]
وَأَغَانِيهَا العِذَابَ الشَّادِيَاتْ ... وَنَدَاهَا
مَا لِأَمْوَاجِكَ يُطْغِيهَا الغُرُورْ ... فَتَثُورْ
ثُمَّ تَأْوِي نَحْوَ هَاتِيكَ الصُّخُورْ ... كَالكَسِيرْ؟[8]
أَتَرَاهَا تَذْكُرُ الأَمْسَ الجَمِيلْ ... وَسَلاَمَهْ
فَتُحَيِّي ذَلِكَ المَجْدَ النَّبِيلْ ... بِابْتِسَامَهْ
وَتُغَنِّي، ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ ... تَحْتَوِيهَا
لَوْعَةُ اليَوْمِ، فَتَبْكِي وَتَئِنْ ... لِشَقَاهَا[9]

---

(١) نظمها في ٨ رمضان ١٣٤٣ هـ/ ٢ أفريل ـ نيسان ١٩٢٥ م.
(٢) الساري: الذي يسير ليلاً، وأراد القمر.
(٣) السمير: الذي يسمر أي يسهر الليل ولا ينام. الكَدَر: نقيض الصفاء.
(٤) الهينوم: الكلام الذي لا يُفهم.
(٥) بُثّ: نشر. هتون، أي ينصب.
(٦) النُّكر: المنكر، والأمر الشديد.
(٧) القاموس: البحر. الصَّدى: ما يسمعه المصوِّت في الوادي أو غيره.
(٨) الكسير، أي المكسور.
(٩) فتبكي وتئن، يعني الأمواج، مجازاً.

الصَّيْحَة [1]

[من المنسرح]

يَـا قَـوْمُ! عَـيْـنِيَ شَـامَـتْ ... لِـلْجَـهْـلِ فِي الجَـوِّ نَـارا [2]
تَـتْـلُو سَـحَـاباً رُكَـاماً ... يَـتْـلُو قَـتَـاماً مُـثَـارا [3]
يُـثِـيرُ فِي الأَرْضِ رِيحاً ... يُـهِـيجُ فِـيـهَـا غُـبَـارَا
تُـلْـفِـي الـشَّـدِيـدَ صَرِيـعـاً! ... تُـبْـقِـي الأَدِيـبَ حِـمَـارا [4]
مِـنْـهَـا الـفَـضَـاءُ ظَـلَامٌ! ... وَالـنَّـاسُ مِـنْـهَـا سُـكَـارى
قَـدْ أَوْرَثَـتْـهُـمْ دُوَاراً ... وَأَعْـقَـبَـتْـهُـمْ خُـمَـارا [5]
لَا يَـعْـرِفُ الـمَـرْءُ مِـنْـهَـا ... لَـيْـلًا رَأَى أَمْ نَـهَـارا
يَخَـالُ كُـلَّ خَـيَـالٍ ... سَرَى، تَـسَـرْبَـلَ فَـارا [6]

* * *

يَـا قَـوْمُ سِـرْتُـمْ حَـثِـيـثـاً ... خُـطَـىً وَرَاءَ، كِـبَـارا [7]
نَـبَـذْتُـمُ الْـعِـلْـمَ نَـبْـذَ الـ ... ـنَّـوَى قِـلًى، وَصَـغَـارا [8]
لَـبِـسْـتُـمُ الجَـهْـلَ ثَـوْبـاً ... اتَّـخَـذْتُـمُـوهُ شِـعَـارا
يَـا قَـوْمُ مَـا لِي أَرَاكُـمْ ... قَـطَـنْـتُـمُ الجَـهْـلَ دَارا؟
أَضَـعْـتُـمُ مَجْـدَ قَـوْمٍ ... شَـادُوا الحَـيَـاةَ فَـخَـارا
أَبْـقَـوا سَـمَاءَ الـمَـعَـالِي ... بِـمَـا أَضَـاءُوا مَـنَـارا
حَـاكُـوا لَـكُـمْ ثَـوْبَ عِـزٍّ ... خَـلَـعْـتُـمُـوهُ احـتِـقَـارا
ثُـم ارتَـدَيـتُـمْ .... لَـبُـوسَ خِـزيٍ، وَعَـارا [9]

* * *

---

(١) نظمها في ٢١ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ/ ١٣ جوان - حزيران ١٩٢٥ م.
(٢) شامت: نظرت.
(٣) السحاب الركام: المتراكم من السحاب. القتام: الغبار.
(٤) تلفي: تجد.
(٥) الخُمار: الخمرة، أو ما خالط من سكرها.
(٦) يخال: يحسب، يظن. سرى: سار ليلًا. تسربل: لبس.
(٧) قوله: خطىً وراء يعني التراجع بنبذهم للعلم. حثيث: سريع.
(٨) القِلى: البغض. الصغار: الاحتقار. النوى: البُعد.
(٩) لبوس خِزي: لباس العار.

يَـا لَـيْـتَ قَـوْمِـي أَصَـاخـوا لِمَـا أَقُـولُ جِـهَـارا
يَـا شِـعْـرُ! اسْـمَـعْـتَ لـكِـنْ قَـوْمِـي أَرَاهُـمْ سُـكَـارى
فَـلا تُـبَـالِ إِذَا مَـا أَعْـطَوا نِـدَاكَ ازْوِرَارا[1]
واصـبِرْ عَـلَى مَـا تُـلاقـي وَاصْـدَعْ، وُقِـيتَ الـعِـثَـارا[2]

شكوى ضائعة[3]

[من البسيط]

يـا ليلُ! مـا تصنعُ النَّفسُ التي سَكَنتْ هـذا الـوجـودَ، ومِنْ أعـدائهـا القَـدَرُ؟
تـرضى وَتَسْكُتُ؟ هـذا غـيرُ محتَـمَـلٍ! إذاً، فهـل تـرفُضُ الـدُّنيـا، وتنتحـرُ؟
وَذَا جـنـونٌ، لَـعَـمْـرِي، كُـلُّهُ جَـزَعٌ بـاكٍ، ورأيٌ مـريضٌ، كُـلُّه خَـوَرُ![4]
فـإنّمـا المـوت ضَـرْبٌ مـن حبـائِـلِهِ لا يُفلتُ الخلقُ ما عاشوا، فما النَّظرُ؟[5]
هـذا هـو الـلغْـزُ، عَـمَّـاهُ وعَـقَّـدَهُ على الخليقةِ، وَحْشٌ، فـاتـكٌ حَـذِرُ[6]
قـد كَبَّـلَ القَـدَرُ الضَّـاري فـرائِسَـهُ فـما استطاعـوا لـه دفعـاً، ولا حـزَروا
وخـاطَ أعـيـنَهـم، كـي لا تُـشَـاهِـدَهُ عـينٌ، فـتـعـلَمَ مـا يـأتي ومـا يَـذَرُ
وَحَـاطَـهُـمْ بـفـنـونٍ مـن حَـبَـائِـلِهِ فـما لَهُـمْ أبـداً مِـنْ بـطشِـه وَزَرُ[7]
لا المـوت يُنقِـذُهُمْ من هـولِ صـولَتِـهِ ولا الحيـاةُ. تَسَاوَى النَّـاسُ والحَجَرُ![8]
حـارَ المساكينُ، وارتـاعـوا، وأعْجَـزَهم أن يحـذَرُوه، وَهَـلْ يُجـديهِمُ الحَـذَرُ[9]
وَهُـمْ يعـيـشـونَ في دنـيـا مـشـيَّـدةٍ مـنَ الخـطوب، وكـونٍ كـلُّه خَـطرُ؟[10]

---

(١) الازورار: الانحراف.
(٢) صَدَع: أظهر، وجهر.
(٣) نظمها في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٥ أوت ـ آب ١٩٣٤ م. وفيها اتّهام للقدر بالظلم، والقدر ليس بظالم، فالحذر.
(٤) الجَزَع: الخوف. الخَوَر: الضعف.
(٥) حبائل الموت: أسبابه.
(٦) عمّاه: أخفاه.
(٧) الحبائل: الأسباب. الوَزَر: الملجأ والمعتَصَم.
(٨) الصَّولة: السَّطوة والاستطالة.
(٩) يجدي: ينفع.
(١٠) الخطوب: جمع الخَطْب: الشأن والأمر.

وكيف يحذرُ أعمَى، مُدْلِجٌ، تَعِبٌ، هولَ الظَّلامِ، ولا عَزمٌ ولا بَصَرُ؟[1]
قد أيقنوا أنَّهُ لا شيءَ يُنقِذُهُمْ فاستسلموا لِسُكُونِ الرُّعْبِ، وانتظروا
ولو رأوه لَسَارتْ كي تحارِبَه مِنَ الورى زُمَرٌ، في إثرِهَا زُمَرُ[2]
وَثَارتِ الجنّ، والأملاك ناقمة والبحرُ، والبَرُّ، والأفلاكُ، والعُصرُ[3]
لكنَّهُ قوّةٌ تُملِي إرادَتَها سِرّاً، فَنَعْنُو لها قهراً، ونأتمرُ[4]
حقيقةٌ، مرّةٌ، يا ليلُ، مُبْغَضَةٌ كالموتِ، لكنْ إليها الوِرْدُ والصَّدَرْ[5]

* * *

تَنَهَّدَ اللَّيْلُ، حتَّى قلتُ: «قد نُثِرَتْ تِلْكَ النُّجومُ، وَمَاتَ الجنُّ والبَشَرُ»
وَعَادَ للصّمتِ. . ، يُصغي في كآبته ـ كالفيلسوف ـ إلى الدنيا، ويفتكرُ. .
وَقَهْقَهَ القَدَرُ الجبَّارُ، سُخْرِيةً بالكائناتِ. تَضَاحَكْ أيُّها القَدَرُ!
تمشي إلى العَدَمِ المحتومِ، باكيةً طوائفُ الخَلْقِ، والأشكالُ والصُّوَرُ
وأنتَ فوقَ الأسى والموت، مبتسمٌ ترنو الى الكون، يُبْنَى، ثمّ يندَثِرُ[6]

أنسيمٌ يهب؟[7]

[من الخفيف]

الحمد لله وحده

أنسيمٌ يهبُّ في الأسحارِ بين تغريد بلبلٍ وهزارِ
أمْ أناشيد مَعبدٍ رتَّلتها كالنسيمات غانياتُ الجواري[8]

---

(١) المدلج: الذي يسير في أول الليل.
(٢) الزُّمر: الجماعات.
(٣) العُصُر: جمع العَصْر.
(٤) نعنو: نخضع.
(٥) الصَّدَر: الرجوع. الوِرد: الإشراف على الماء.
(٦) ترنو، من الرُّنُو: إدامة النظر بسكون الطَّرْف.
(٧) نظمها سنة ١٩٣١ م، رداً على الشيخ عامر بن محمد الصالح الشابي وكان قد هنّأه بمناسبة زواجه. وقد احتفظ بالقصيدة محمد الصالح بن عامر بالقصيدة، فلم تنشر في الديوان الذي أشرف على طبعه الأستاذ أبو شادي.
(٨) غانيات: جمع غانية: حسناء استغنت بجمالها.

أم أريج الزهور أم نغمة ... الأطيار أم غُنَّة النهرِ الجاري
أم تهانيك صاغها فكرك السا ... مي فكانت فريدةَ الأشعار[1]
يا سليلَ العلا، وتِرْبَ المعالي ... وسميرَ العلوم، رب الفخارِ[2]
أنتَ من تسجدُ البلاغة والمجد ... على بابه بلا استكبار
تريه العلوم أوجهها الغر ... وتجنيه ما بها من ثمار
إنْ يكن أسبغَ الزَّمانُ على ... خَودَيْكَ من شيبه جلالَ الوَقارِ
فبجنبيك لا تزال من الهمة ... والمجد جذوة من نار
بسط الله في الحياة إليكم ... عمراً طيباً بغير تبار
وأراك الله! ما شئتَ في ... أنجالك الغرِّ من عُلا وفَخار
فهم صحبتي وإخوانُ نفسي ... في ظلامي وفي بياض نهاري
هاته بنتُ وقتها فتقبّلْها ... فما في قبولها من عار
ولتعشْ في الحياةِ مغتبطَ ... النفسِ قوي النُّهى يدَ الأدهارِ[3]

والسلام عليك من ابن أخيك
بلْقاسم بن محمد بن بلْقاسم الشابي

مناجاة عصفور[4]

[من الكامل]

يَا أيُّها الشَّادي المغرِّدُ هُهُنا ... ثَمِلاً بِغِبْطةِ قَلْبِهِ المَسْرُورِ[5]
مُتَنقِّلاً بينَ الخَمائلِ، تَالِياً ... وَحْيَ الرَّبيعِ السَّاحرِ المَسْحُورِ[6]
غَرِّدْ، ففي تِلْكَ السُّهولِ زَنَابِقٌ ... تَرْنُو إليكَ بِنَاظرٍ مَنْظُورِ
غَرِّدْ، فَفِي قَلْبي إليكَ مَوَدَّةٌ ... لَكِنْ مَوَدَّةُ طائرٍ مَأْسُورِ

---

(١) الخريدة: الجارية البكر.
(٢) التِّرْب: المِثل.
(٣) النُّهى: العقل. وقوله: يد الأدهار يعني أبد الدهور.
(٤) نظمها في ٢٧ محرّم ١٣٤٧ هـ /١٦ جويليه - تموز ١٩٢٨ م.
(٥) ثمِل: سكران.
(٦) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف.

هَجَرَتْهُ أَسْرابُ الحمائمِ، وانْبَرَتْ ... لِعَذَابِهِ جِنِّيةُ الدَّيْجُورِ.....(١)
غَرِّدْ، ولا تُرْهِبْ يميني، إنَّني ... مِثْلُ الطُّيورِ بمُهْجَتي وضَميري(٢)
لَكنْ لَقَدْ هَاضَ التُّرابُ مَدامعي ... فَلَبِثْتُ مِثْلَ البُلبلِ المَكْسُورِ(٣)
أشدُو برَنَّاتِ النِّياحَةِ والأسى ... مشبوبةً بعواطفي وَشُعُوري(٤)
غَرِّدْ، ولا تَحْفل بقلبي، إنَّهُ ... كالمِعْزَفِ، المُتَحَطِّمِ المَهْجُورِ

* * *

رتِّل عَلى سَمْعِ الرَّبيعِ نشيدَهُ ... وأضْدَحُ بفَيْضِ فوادِكَ المَسْجُورِ(٥)
وأنْشِدْ أناشيدَ الجَمالِ، فإنَّها ... رُوحُ الوُجودِ، وَسَلْوَةُ المَقْهُورِ
أنا طائرٌ، مُتَغرِّدٌ، مُتَرنِّمٌ ... لكِنْ بصوتِ كآبتي وَزَفيري
يَهْتَاجُني صوتُ الطُّيورِ، لأنَّه ... مُتدفِّقٌ بحَرارةٍ وَطَهُورِ
ما في وجودِ النَّاسِ مِنْ شيءٍ به ... يَرضَى فؤادِي أو يُسَرُّ ضميري
فإذا استَمَعْتُ حديثهم ألْفَيْتُهُ ... غَثّاً، يَفِيضُ بِرِكَّةٍ وَفُتُورِ(٦)
وإذا حَضَرْتُ جُموعَهُمْ ألْفَيتَني ... ما بينهمْ كالبُلبلِ المأسورِ(٧)
متوحِّداً بعَواطفي، وَمَشَاعِري، ... وَخَوَاطِري، وَكَآبتي، وَسُروري
يَنتَابُني حَرَجُ الحياةِ كأنَّني ... مِنهمْ بِوَهْدَةِ جَنْدلٍ وَصُخورِ(٨)
فإذا سَكَتُّ تضجَّروا، وإذا نَطَقْتُ ... تذمَّروا مِنْ فكْرَتي وَشُعوري
آهٍ مِنَ النَّاسِ الذينَ بَلَوْتُهُمْ ... فَقَلَوْتُهُمْ في وحشتي وَحُبُوري(٩)
ما منهُمُ إلاَّ خَبيثٌ غَادِرٌ ... متربِّصٌ بالنَّاسِ شرَّ مَصيرِ(١٠)
وَيَودُّ لو مَلَكَ الوُجودَ بأسره ... ورمى الورى في جَاحِمٍ مَسْجُورِ(١١)

---

(١) الدَّيجور: الظلام.
(٢) المهجة: الدم، أو دم القلب، والروح.
(٣) هاض: كسر بعد انجبار. الملامع: جمع الملمع.
(٤) مشبوبة: متوقدة.
(٥) المسجور: الموقد، والساكن أيضاً.
(٦) الحديث الغَث: الذي لا خير فيه.
(٧) الفيتني: وجدتني.
(٨) ينتابني: يأتيني مرّة بعد مرة. الوهدة: الأرض المنخفضة. الجندل: ما يُقله الرجل من الحجارة.
(٩) قلوت: أبغضت. الحبور: السرور.
(١٠) متربّص: منتظر ماذا يحل به.
(١١) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. وشدة القتل في المعركة. الورى: الخلْق.

لِـيَـبُـلَّ غُـلَّـتَـهُ الـتي لا تـرتـوي ... وَيَـكُـفَّ تُـهْـمَـةَ قـلـبِـهِ الـمَـغْـفُـورِ
وإذا دخـلـتَ إلى الـبـلاد فـإنَّ أفـ ... ـكـاري تُـرَفْـرِفُ في سُـفـوحِ الـطُّورِ[1]
حَـيْـثُ الـطَّـبِـيـعَـةُ حُـلْوةٌ فـتَّـانَـةٌ ... تختـتـال بـيـن تَـبَـرُّجٍ وَسُـفُـورِ[2]
مـاذا أودُّ مـنَ الـمـديـنـةِ، وَهْـيَ غـا ... رقـةٌ بـمـوّارِ الـدَّمِ الـمَـهـدُورِ؟[3]
مـاذا أَوَدُّ مِـنَ الـمـدنـيـةِ، وَهْـيَ لا ... تـرثي لصـوتِ تَـفجُّـعِ الـمَـوْتُـورِ؟[4]
مَـاذا أودُّ مـنَ الـمـديـنـةِ، وَهْـيَ لا ... تَـعْـنـو لِـغَـيـرِ الـظَّالِمِ الشِّرِّيـرِ؟[5]
مـاذا أودُّ مـن الـمـديـنـةِ، وَهْـيَ مُـر ... تـادٌ لِـكُـلِّ دَعَـارَةٍ وَفُـجُـورِ؟
يـا أيُّـهـا الـشَّـادي الـمـغـرِّدُ هـهـنـا ... ثَـمِـلاً بـغـبـطة قَـلْـبِـهِ المسرورِ!
قَـبِّـل أزاهـيـرَ الـرُّبـيـعِ ، وغـنِّـهـا ... رَنَمَ الصَّبـاحِ الضَّـاحِـكِ الـمحبـورِ[6]
واشـربْ مِنَ النَّبعِ، الجميـلِ، الملتوي ... مـا بـيـن دَوْحِ صَـنَـوبَـرٍ وَغَـدِيـرِ[7]
وأتْـرُكْ دمـوعَ الـفَـجْـرِ في أوراقِـهـا ... حـتَّى تُـرشِّـفَـهَـا عَـرُوسُ الـنُّـورِ[8]
فَـلَرُبَّـمـا كـانـتْ أنـيـنـاً صـاعـداً ... في الـلَّـيـلِ مِـنْ متـوجِّـعٍ ، مَـقْـهُـورِ
ذَرَفَـتْـهُ أجفـانُ الـصَّـبَـاحِ مـدامـعـاً ... أَلَّاقَـةً، في دَوْحـةٍ وَزُهـورِ...

يا موت[9]

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد، رحمه الله.

[مجزوء الكامل]

يـا مَـوْتُ! قَـدْ مـزّقتَ صَـدْرِي ... وَقَـصَـمْـتَ بـالأرزاءِ ظَـهْـرِي[10]

---

(١) الطُّور: الجبل، وفناء الدار.
(٢) السُّفور: الكشف والظهور.
(٣) الحوّار: الذي يتحرّك ويموج.
(٤) الموتور: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك بدمه.
(٥) تعنو: تخضع.
(٦) الرنم: الترنم: الصوت الحسن، التطريب.
(٧) دوح: جمع دوحة: الشجرة العظيمة.
(٨) ترشف: امتص. عروس النور، يعني الشمس.
(٩) نظمها في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ/ غرة أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٩ م.
(١٠) قصم: كسر. أرزاء: جمع رُزء: مصيبة.

ورميْتَني مِنْ حالقٍ، وَسَخِرتَ مني أيَّ سُخْرِ[1]
فَلَبِثْتُ مرضوضَ الفؤا دِ أَجُرُّ أجنحتي بِذُعْرِ...
وَقَسَوْتَ إذ أبقيتني في الكَوْن أنْزَعُ كُلَّ وَعْرِ[2]
وَفَجَعْتَني فِيمَنْ أُحِبُّ، وَمَنْ إليْهِ أبُثُّ سرّي
وَأُعِدُّهُ، فَجْرِي الجميـ ـلَ، إذا ادْلَهَمَّ عليَّ دَهْرِي[3]
وأُعِدُّهُ، وَرْدِي وَمِزْ مَاري، وَكَاساتي، وَخَمْرِي
وَأُعِدُّه، غابي، وَمِحْـ ـرَابي، وأُغْنِيتي، وَفَجْرِي...[4]
وَرَزأْتَني في عُمْدَتي، وَمَشُورَتي في كُلِّ أمرِ[5]
وَهَدَمْتَ صَرْحاً، لا أَلُو ذُ بغيره، وَهَتَكْتَ سِتْري[6]
فَفَقَدْتُ روحاً، طاهراً، شهماً، يَجيش بِكلِّ خَيرِ
وَفَقَدْتُ قلباً، همُّهُ أن يستوي في الأفْقِ بدْري
وَفَقَدتُ كفّاً، في الحيـ ـاةِ يصُدُّ عنّي كُلَّ شرّ
وَفَقَدْتُ وجهاً، لا يُعَبِّـ ـسُهُ سوى حَزَني وَضُرّي
وَفَقَدْتُ نفساً، لا تَني عن صَوْن أفراحي وَبِشْري[7]
وَفَقَدْتُ رُكني في الحيـ ـاة، ورايَتي، وعمادَ قصري

* * *

يَا موتُ! قَدْ مَزَّقْتَ صَدْري وَقَصَمْتَ بالأرزاءِ ظهري
يا موتُ! ماذا تبتغِي منّـ ـي وَقَدْ مزّقتَ صَدْري؟
مَاذ تودُّ، وأنْتَ قَدْ سوّدتَ بالأحزانِ فِكْري
وَتَركْتَني في الكَائِنَا تِ أَئِنُّ، منفرداً بإصري[8]
وأجوبُ صحراءَ الحياةِ، أقولُ: «أيْنَ تُراهُ قبري؟»

---

(١) حالق: أي عال.
(٢) أذرع كل وعر: اجتاز كل صعب.
(٣) ادلهم الظلام: اسودّ.
(٤) المحراب: الغرفة، وصدر البيت، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس.
(٥) رزأتني: أصبتني.
(٦) ألوذ: أحتمي.
(٧) لا تني: لا تفتر.
(٨) الإصْر: الذنب.

ماذا تَوَدُّ من المُعَذَّ ... بِ في الوجودِ بِغَيْرِ وِزْرِ؟[1]
ماذا تودُّ من الشَّقِيِّ ... بعيشِهِ، النَّكِدِ، المُضِرّ[2]
إنْ كُنْتَ تطلُبني فَهَا ... تِ الكأسَ، أشْرَبُها بِصَبْرِ
أو كنت ترقُبُني فَهَا ... تِ السَّهمَ، أرشُقُهُ بِنَحْري[3]
خذني إليكِ، فَقَدْ تبخْـ ... ـرَ في فضاءِ الهمِّ عُمري...
وَتَهَدَّلَتْ أغْصَانُ أيّـ ... ـامي، بِلا ثَمَرٍ وَزَهْرِ[4]
وَتَناثَرَتْ أوراقُ أحْلا ... مي على حَسَكِ المَمَرِّ...[5]
خذني إليك! فَقَدْ ظَمِئْـ ... ـتُ لكأسِكَ، الكَدِر، الأمرّ...
خذني فَقَدْ أصْبَحْتُ أر ... قُبُ في فَضَاكَ الجوْنِ فَجْرِي[6]
خذني، فما أشقى الذي ... يقضي الحياة بِمِثْلِ أمْرِي..

* * *

يا موتُ! قد مزّقْتَ صدري ... وقصمتَ بالأرزاء ظهري
يا موت! قد شَاعَ الفؤا ... دُ، وأقفرتْ عَرَصَاتُ صَدري[7]
وَغَدَوْتُ أمشي مُطْرَقاً مِنْ ... طُول ما أثْقَلْتَ فِكري[8]
يا موتُ! نفسي ملَّتِ الدُّنـ ... ـيا، فَهَلْ لَمْ يأت دوْري؟

شِعْري[9]

[من المجتثّ]

شِعْري نُفَاثَةُ صَدْرِي ... إنْ جَاشَ فِيه شُعوري[10]

---

(١) الوِزر: الإثم والذنب.
(٢) العيش النَّكِد: الشديد.
(٣) النحر: أعلى الصدر.
(٤) تهدّل: استرخى.
(٥) الحَسَك: نبات له شوك.
(٦) الجون: الأسود، والأبيض، ضد. وأراد السواء.
(٧) عرصات: جمع عرْصة: فسحة بين الدور لا بناء فيها.
(٨) مُطرق: ساكت لا يتكلم. وأطرق، أيضاً، أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.
(٩) نظمها في ٢١ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ/ ١٣ جوان ـ حزيران ١٩٢٥ م. وهي مما زيد على الديوان.
(١٠) نُفاثة صدري: مما ينفثه صدري، أي: يقذفه. جاش: اضطرب.

لـولاهُ مَـا انـجـابَ عـني غَـيْـمُ الحـيـاةِ الخـطيرِ[1]
وَلا وجـدتُ اكـتـئـابي ولا وجـدتُ سُروري
بِـهِ تَـراني حـزيـنـاً أبـكـي بـدمـعٍ غَـزيـرِ
بـه تـراني طـروبـاً أجـرُّ ذَيـل حُـبـوري

* * *

لا أَنـظُمُ الـشِّـعْـرَ أرجـو بـه رضـاءَ الأَمـيـرِ
بِمِـدْحَـةٍ أو رثـاءٍ تُـهـدَى لِـرَبِّ السَّريـرِ[2]
حَـسـبـي إذا قـلـتُ شـعـراً أن يـرتـضـيـهِ ضَـمـيري
مـا الـشِّـعـر إلا فـضـاءٌ يـرفُّ فـيـه مَـقَـالي[3]
فـيـما يَسُرُّ بـلادي وَمَـا يَسُرُّ المـعـالي
ومـا يُـثِـيرُ شُـعـوري مِـنْ خَـافـقـاتِ خَـيَـالي

* * *

لا أَقْـرِضُ الـشِّـعـرَ أبـغـي بـه اقـتـنـاصَ نَـوَالِ[4]
الـشِّـعـرُ إنْ لَمْ يـكـنْ في جـمـالِـهِ ذَا جَـلالِ
فـإنَّـمـا هُـوَ طـيـفٌ يَـسـعَـى بِـوَادي الـظِّلالِ[5]
يـقـضي الحـيـاةَ طـريـداً في ذِلَّـةٍ، واعـتـزالِ
يـا شِـعْـرُ! أَنْـتَ مـلاكـي وَطَـارِفِي، وتـلادي[6]
أنـا إلـيـكَ مُـرادٌ وأنـتَ نِـعْـمَ مُـرَادي[7]
قِـف، لا تَـدَعْـنـي وحـيـداً ولا أدعْـكَ تـنـادي
فَـهَـلْ وجـدتَ حُـسـامـاً يُـنَـاطُ دونَ نِـجَـادِ[8]

* * *

---

(١) انجاب: انزاح.
(٢) السرير، أي عرش الملك.
(٣) المقال، أي القول.
(٤) النوال: العطاء. ويحدد في هذه القصيدة مفهومه للشعر، فيدعو إلى الجمالية والصدق والترفع.
(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام.
(٦) المال الطارف: المال المكتسب حديثاً. والتّلاد والتّليد: المال الموروث القديم.
(٧) المراد: الهدف والغاية.
(٨) الحسام: السيف. يُناط: يحمل، النجاد: محمل السيف.

كَمْ حطَّمَ الدَّهْرُ ذا هِمَّةٍ كثيرَ الرَّمادِ[1]
ألقاه تحْتَ نعالٍ من ذِلَّةٍ وَجِدَادِ
رِفقاً بأهْلِ بلادي! يا منجنون العوادي![2]

فكرة الفنّان[3]

[من الكامل]

عِشْ بالشُّعورِ، وللشُّعورِ، فإنَّما دُنْياكَ كونُ عَواطفٍ وشعورِ
شِيدَتْ عَلى العَطْفِ العميقِ، وإنَّها لَتَجِفُّ لو شِيدَتْ على التَّفْكيرِ
وتَظَلُّ جَامِدَةَ الجمالِ، كئيبةً كالهيكلِ المتهدِّمِ، المهجورِ
وَتَظَلُّ قاسيةَ الملامحِ، جهْمةً كالموتِ، مُقْفِرَةً، بغيرِ سُرورِ[4]
لا الحبُّ يرقُصُ فوقها متغنِّيا للنَّاسِ، بينَ جداولٍ وَزُهورِ
مُتوَرِّدَ الوجناتِ سَكرانَ الخطى يهتزُّ من مَرَحٍ، وَفَرْطِ حُبورِ
مُتَكَلِّلاً بالوَرْدِ، ينثرُ للورى أوراقَ وردِ «اللَّذة» المنضُورِ[5]
كلاّ! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ في الكونِ تحْتَ غمامةٍ من نُورِ
مَتَوشِّحاً بالسِّحْرِ، ينفُخ نايَهُ المشبوبَ بين خمائلٍ وغديرِ[6]
أو يلمسُ العودَ المقدّسَ، واصفاً للموتِ، للأيّام، للدَّيجورِ[7]
ما في الحياةِ من المسرَّةِ، والأسى والسِّحْرِ، واللَّذاتِ، والتغريرِ[8]
أبدا ولا الأملُ المجنَّحُ منْشِداً فيها بصوتِ الحالمِ، المَحْبُورِ
تلكَ الأناشيدَ التي تَهَبُ الورى عزْمَ الشَّبابِ، وَغِبْطة العُصْفورِ

---

(١) قوله: كثير الرماد، يعني الكريم عن طريق الكناية.
(٢) المنجنون: الدولاب يستقر عليه، والدهر، وأراد ذماً للدهر. والعوادي من الكرْم: ما يُغر أصول الشجر العظام.
(٣) نظمها في ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٠ هـ/ ٧ نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٣١ م.
(٤) جهمة: عابسة. مقفرة أي لا شيء فيها.
(٥) الورى: الخلْق.
المنضور، أي النضر والناضر من النبات: الشديد الخضرة.
(٦) الناي: من الآلات الموسيقية. الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف.
(٧) الديجور: الظلام.
(٨) التغرير: التعرُّض للهلكة.

واجعلْ شُعورَكَ، في الطَّبيعة قَائداً ... فَهْوَ الخبيرُ بِتيهِهَا المَسْجُورِ[1]
صَحِبَ الحياةَ صغيرةً، ومشى بها ... بين الجماجم، والدِّمِ المهدورِ
وعَدَا بِهَا فوقَ الشَّواهِق، باسماً ... متغنِّياً، مِنْ أعْصُرٍ وَدُهورِ
والعقلُ، رغْمَ مشيبهِ ووقَاره، ... ما زال في الأيَّام جِدَّ صغيرِ
يمشي..، فَتَضْرَعُهُ الرِّياحُ، فَيَنْثَني ... مُتَوَجِّعاً، كالطَّائرِ المكسورِ
ويظلُّ يَسْألُ نفسه، متفلسفاً ... متَنَطِّساً، في خفَّةٍ وغُرورِ:[2]
عمَّا تُحجِّبُهُ الكَوَاكبُ خلفَها ... مِنْ سِرِّ هذا العالَمِ المستورِ
وهو المهشَّمُ بالعواصفِ.. إنها لَهُ ... من ساذجٍ، متفلسفٍ، مغرورِ!

* * *

وافتحْ فؤادكَ للوجودِ، وَخَلِّهِ ... لليَمِّ للأمواجِ، للدَّيجورِ[3]
للثَّلج تنثُرُهُ الزَّوابعُ، للأسى ... للهَوْلِ، للآلامِ، للمقدورِ
واتركْه يقتحِمُ العواصفَ..، هائماً ... في أُفقِها، المتلبِّدِ، المقرورِ[4]
ويخوضُ أحشاءَ الوجود..، مغامِراً ... في ليلها، المتهيِّبِ، المحذورِ
حتَّى تُعانِقَه الحياةُ، ويرتوي ... من ثَغْرِها المتأجِّجِ، المَسْجُورِ[5]
فتعيشَ في الدُّنيا بقلبٍ زاخرٍ ... يقظِ المشاعرِ، حالمٍ، مسحورِ
في نشوةٍ، صوفيَّةٍ قُدْسيَّةٍ ... هي خيرُ ما في العَالَمِ المنظورِ[6]

---

(١) التيه: المفازة، والضلال.
(٢) متنطس: متقذّر، متأنّق في الطهارة، وفي المطعم والملبس والكلام.
(٣) اليم: البحر.
(٤) المقرور: الذي أصابه القُر أي البرْد.
(٥) المسجور: الموقد، والساكن أيضاً.
(٦) تتجلى في البيت نزعة الشاعر الصوفية.

قافية السِّين

نظرة في الحياة[1]

[من المجتثّ]

إنَّ الحياةَ صِراعٌ ... فيها الضَّعِيفُ يُداسْ
ما فَازَ في ماضِغِيها ... إلا شَدِيدُ المِراسْ[2]
للخِبِّ فيها شجونٌ ... فَكُنْ فتى الإحتراسْ[3]
الكونُ كونُ شقاءٍ ... الكونُ كونُ الْتباسْ
الكونُ كونُ اختلاقٍ ... وضَجّةٌ واختلاسْ
سِيَّان عِنْديَ فيه ... السُّرورُ، والإبتئاسْ
بَيْنَ النَّوائبِ بَوْنٌ ... للنَّاسِ فيه مزايا[4]
البعضُ لم يدرِ إلا ... البِلى يُنادي البلايا
والبعضُ مَا ذَاقَ منها ... سِوى حَقيرِ الرَّزايا[5]
إنَّ الحياةَ سُباتٌ ... سينقضي بالمنايا[6]
وما الرُّوى فيه إلّا ... آمالُنَا، والخَطايا
فإنْ تَيَقَّظَ كانت ... بين الجفون بقايا

* * *

إنَّ السَّكينةَ رُوحٌ ... في الليل لَيْسَت تُضامْ[7]

---

(١) نظمها في ١٢ ربيع الأول هـ/ ٣٠ سبتمبر ـ أيلول ١٩٢٥ م.
(٢) المراس: الشدة. وقوله: شديد المراس يعني القوي.
(٣) الخِب: الخدّاع. الشجون: جمع الشَّجن: الهم والحزن، وهي هنا بمعنى: الحاجة حيث كانت.
(٤) النوائب: جمع النائبة: المصيبة. بَوْن: بُعد.
(٥) الرزايا: جمع الرزيّة: المصيبة.
(٦) السبات: النوم.
(٧) تُضام: تُظلم.

والـرُّوحُ شُـعْـلَـةُ نُـورٍ مِـنْ فـوقِ كُـلِّ نِـظامْ
لا تـنـطفـي بـريـاحِ الـ إرهـاقِ أو بـالحُـسَـامْ
بَـلْ قـد يَـعُـجُّ لَـظَاهَـا سـيـلاً، ويـطغى الضِّرامْ[1]
كـلُّ الـبـلايـا... جـمـيـعـاً تَـفـنى وَيحـيـا الـسَّـلامْ!
والـذُّلُّ سُـبَّـةُ عـارٍ لا يـرتـضـيـه الـكـرامْ!
الـفـجـر يـسـطع بـعـد الـدُّ جـى، ويـأتي الـضِّـيـاءْ
ويـرقُـدُ الـلَّـيْـلُ قَـسْـراً عـلى مِـهَـادِ الـعَـفَـاءْ[2]
ولـلشُّـعـوبِ حـيـاةٌ حـيـنـاً وحـيـنـاً فـنـاءْ
والـيـأسُ مـوتٌ ولـكـنْ مـوتٌ يُـثِـيرُ الـشَّـقَـاءْ
والجـدُّ لـلشَّـعْـبِ روحٌ تُـوحِـي إلـيـهِ الهَـنـاءْ
فـإن تـولَّـتْ تَـصَـدَّتْ حَـيَـاتُـهُ لِـلبَـلاءْ[3]

شكوى اليتيم[4]

[من المتقارب]

عَـلَى سَـاحِـلِ الـبَـحْـرِ، أنّي يـضـجُّ صُرَاخُ الـصَّـبـاحِ وَنَـوْحُ الـمَـسَـا
تـنـهَّـدتُ مـن، مُـهْـجَـتِـي، أتـرعَـتْ بِـدَمْـعِ الـشَّـقـاءِ وشَـوْكِ الأسى[5]
فَـضَـاعَ الـتَّـنَـهُّـدُ في الـضَّـجَّـةِ بـمـا في ثَـنَـايـاهُ مِـنْ لَـوْعَـةِ[6]
فَـسِـرتُ ونـاديـتُ: «يـا أمُّ! هـيّـا إليّ! فـقـد سئـمـتـني الحـيـاة»
وَجِـئْـتُ إلى الـغـابِ، أسْـكـبُ أوجـا عَ قـلبي نـحـيـبـاً، كـلفْـحِ الـلّـهـيـبْ
نـحـيـبـاً تَـدَافَـعَ في مـهـجـتي وَسَـالَ يَـرُنُّ بِـنَـدْبِ الـقـلوبْ
فَـلَـمْ يـفْـهـمِ الـغَـابُ أشـجـانَـهُ وَظَـلّ يُـرَدِّد ألحـانَـهُ
فَـسِـرْتُ ونـاديـتُ: «يـا أمُّ هـيّـا إليّ! فـقـد عـذَّبتني الحـيـاة»

---

(١) يعُج: يرفع صوته. الضِّرام: ما اشتعل من الحطب، ويريد الاشتعال عموماً.
(٢) المهاد: جمع المهد، أي: السرير. العفاء: الزوال.
(٣) البلاء: الزوال.
(٤) نظمها في ٢١ صفر ١٣٤٥ هـ/٣١ أوت ـ آب ١٩٢٦ م.
(٥) المهجة: القلب، أو دم القلم، والروح.
(٦) الثنايا: جمع الثنيّة: العقبة، أو الطريقة في الجبل.

وقمتُ على النَّهر، أهرِق دمعاً ... تفجَّرَ من فيضِ حُزني الأليمْ
يسيرُ بِصَمْتٍ على وجْنتيّ ... ويلمع مثل دموعِ الجحيمْ
فَمَا خفَّفَ النهرُ مِنْ عذْوِه ... ولا سَكَتَ النَّهْرُ عن شدْوِه
فسرتُ، وناديتُ: «يا أمّ! هيّا ... إليّ! فقد أضجرتني الحياةْ»

* * *

ولَما ندبتُ ولم ينفعِ، ... ونَاديْتُ أمّي فَلَمْ تسمعِ
رَجِعْتُ بحزني إلى وَحْدَتي ... وردّدْتُ نَوحِي على مِسمعي
وَعَانَقْتُ في وَحْدتي لوْعتي ... وقلتُ لنفسي: «ألاَ فاسْكتي!»

حرم الأمومة[1]

[من الكامل]

الأمُّ تَلْثُمُ طِفْلَها، وَتَضُمُّهُ ... حرمٌ، سَماويُّ الجمالِ، مُقَدّسُ
تَتَألَّهُ الأفكارُ، وهْي جِوَارُهُ ... وَتَعودُ طاهرةً هناكَ الأنفُسُ[2]
حَرَمُ الحياةِ بِطُهْرِها وَحَنَانِها ... هل فوقَهُ حَرَمٌ أجلُّ وأقدسُ؟
بوركتَ يا حَرَمَ الأمومةِ والصِّبا ... كم فيكَ تكتملُ الحياةُ وَتَقْدُسُ[3]

النّبي المجهول[4]

[من الخفيف]

أيها الشَّعْبُ! ليتني كنتُ حطّاباً ... فأهوي على الجذوعِ بفأسي!
ليتني كنتُ كالسُّيولِ، إذا سالتْ ... تَهُدُّ القبورَ: رمساً برمسِ!
ليتني كنتُ كالرِّياحِ، فأطوي ... كلَّ ما يخنقُ الزُّهورَ بنحسي
ليتني كنتُ كالشِّتاءِ، أغشّي ... كل ما أذْبَلَ الخريفُ بقرسي![5]

---

(١) نظمها في ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٣ أوت ـ أغسطس ـ آب ١٩٣٤ م.
(٢) تتألّه: تتعبّدُ، وألَه: عبد.
(٣) تقدُس، أي: تصير مقدّسة.
(٤) نظمها في ٢٠ شعبان ١٣٤٨ هـ/ ٢١ جانفي ـ كانون الثاني ١٩٣٠ م.
(٥) القَرْس: البرد الشديد.

ليتَ لي قـوَّةَ العـواصفِ، يـا شعبي ... فـأُلـقـي إلـيـكَ ثَـوْرةَ نـفسي!
ليت لي قـوَّةَ الأعـاصـير، إن ضجَّتْ ... فـأدعـوكَ لـلحـيـاةِ بـنـبسي![1]
لـيتَ لي قـوَّةَ الأعـاصـير..! لـكـن ... أنـتَ حيٌّ، يقضي الحياة بـرمسِ..[2]
أنـتَ روحٌ غَـبِـيّـةٌ، تـكـره الـنّـور، ... وتقضي الـدهـور في ليـل مَلْسِ...[3]
أنـتَ لا تـدركُ الحـقـائـقَ إن طـافـتْ ... حـوالـيـكَ دون مسٍّ وَجَسّ
في صبـاحِ الحيـاةِ ضَـمَّـخْـتُ أكـوابي ... وأتـرعـتُـهـا بـخـمـرةِ نـفسي...
ثُـمّ قـدّمْـتُـهـا إلـيـكَ، فـأهـرقْـتَ ... رحيقي، ودُستَ يـا شعبُ كـأسي![4]
فـتـألّـمـتُ.. ثـمَّ أسْـكَـتُّ آلامـي، ... وَكَـفْـكَـفْـتُ مـن شـعـوري وحسي
ثُـم نَـضَّـدْتُ مـن أزاهـيرِ قـلبـي ... بَـاقـةً لَمْ يمسَّـهَـا أيُّ إنْسي..
ثـم قـدّمْـتُـهـا إلـيـكَ، فَـمـزّقْـتَ ... ورودي، وَدُسْـتَـهَـا أيَّ دَوْسِ
ثـم ألبَـسْـتَـنـي مِـنَ الحُـزْنِ ثـوبـاً ... وَبِـشَـوكِ الجـبـالِ تَـوَّجْـتَ رأسي

* * *

إنّـني ذاهـبٌ إلى الـغـاب، يـا شعبي ... لأقضي الحـيـاةَ، وحـدي، بـيـأس
إنـني ذاهـبٌ إلى الـغـابِ، عـلّي ... في صـمـيـم الـغـابـات أدفـنُ بؤسي
ثُمّ أنْسَـاكَ مـا اسـتـطعتُ، فـما أنـت ... بـأهـلٍ لخـمـرتي ولـكـأسي
سـوف أتلو عـلى الـطُّيـور أنـاشـيـدي، ... وأُفضي لـهـا بـأشـواقِ نـفسي
فَـهْي تـدري معـنى الحـيـاة، وتـدري ... أنّ مجـدَ الـنُّـفـوسِ يَـقْـظَةُ حِسّ
ثـم أقضي هنـاك، في ظـلمـة الـلّـيـل، ... وأُلـقـي إلى الـوجـود بـيـأسي
ثم تَحْتَ الصَّنَـوْبَـر، الـنّـاضر، الحلو، ... تَحُطُّ الـسُّـيـولُ حُـفْـرةَ رمسي[5]
وَتَـظَلُّ الـطُّيُـورُ تـلغُـو عـلَى قَـبْـريَ ... ويـشـدو الـنَّسِـيـمُ فـوقي بهـمس[6]
وَتَـظَلُّ الـفُـصُـولُ تمشي حـواليَّ، ... كـمـا كُـنّ في غَـضَـارةِ أمسي[7]
أيُّـهـا الـشَّعْـبُ؟ أنـتَ طِـفْـلٌ صـغـيرٌ، ... لاعبٌ بـالـتُّـرابِ والـلـيـلُ مُـغْسِ..![8]

---

(١) النَّبْس: التكلم بسرعة.
(٢) الرمس: القبر.
(٣) المَلْس: اختلاط الظلام.
(٤) أهرَق: أراق. الرحيق: الخمرة.
(٥) الرمس: القبر.
(٦) تلغو: تتكلّم بما لا يُعتد به.
(٧) الغضارة: النعمة، والسعة والخصب.
(٨) مغسي، أي: مظلم.

أنتَ في الكون قوّةٌ، لم تَسُسْهَا ... فكرةٌ، عبقريّةٌ، ذاتُ بأسِ
أنت في الكون قُوةٌ، كبَّلتها ... ظُلُماتُ العُصور، مِنْ أمس أمسِ..
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي ... في حَسَاسِيَّتي، ورقّةِ نفسي

* * *

هكذا قال شاعرٌ، ناولَ النَّاسَ ... رحيقَ الحياةِ في خير كأسِ
فأشاحوا عنها، ومرُّوا غضاباً ... واستخفُّوا به، وقالوا بيأس:
«قد أضاع الرُّشادَ في ملعب الجنِّ ... فيا بؤسَهُ، أُصيبَ بمَسِّ»
«طالما خاطبَ العواطفَ في اللَّيلِ ... وناجى الأمواتَ في غير رمسِ»
«طالما رافقَ الظَّلامَ إلى الغابِ ... ونادى الأرواحَ مِن كلِّ جِنْسِ»
«طالما حدّثَ الشياطين في الوادي، ... وغنّى مع الرِّياح بجَرسِ»
«إنه ساحرٌ، تُعَلِّمُهُ السِّحْرَ ... الشياطينُ، كلَّ مَطْلعِ شَمْسِ»
«فابعِدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ ... إنّ الخَبيثَ منبعُ رِجْسِ»[1]
«أطردوه، ولا تُصيخوا إليه ... فهو روحٌ، شريرةٌ، ذاتُ نحسِ»[2]

* * *

هَكَذا قَال شاعرٌ، فيلسوفٌ، ... عاشَ في شعبه الغبيِّ بتَعْسِ
جَهِلَ النَّاسُ روحَه، وأغانيها ... فَسَاموا شعورَه سوْمَ بخسِ[3]
فَهْوَ في مَذهبِ الحياةِ نبيٌّ ... وَهْوَ في شعبهِ مُصَابٌ بمسِّ[4]
هكذا قال، ثمّ سَار إلى الغابِ، ... ليحيا حياةَ شِعْرٍ وقُدسِ
وبعيدا..، هناك..، في معبد الغاب ... الذي لا يُظِلُّه أيُّ بؤسِ
في ظلال الصَّنوبرِ الحلوِ، والزَّيتونِ ... يقضي الحياة: حَرْسا بحرسِ[5]
في الصَّباح الجميل، يشدو مع الطَّير، ... وَيَمْشي في نشوةِ المُتَحَسِّي
نافخاً نايَه، حواليْهِ، تهتزُّ ... ورودُ الرَّبيع مِنْ كلِّ قنْسِ[6]

---

(١) الرجس: القذر، والمأثم، وما استقذر من العمل.
(٢) أصاخ: أصغى.
(٣) السَّوم في البيع: المغالاة.
(٤) يدّعي النبوة كما ترى!
(٥) الحَرْس: الدهر.
(٦) القنْس: أعلى الرأس. والناي: من الآلات الموسيقية.

شَعْرُهُ مُرْسَلٌ، تُداعِبُهُ الرِّيحُ ... على منكبيْه مثلَ الدِمَقْسِ[1]
والطُّيورُ الطِّرابُ تشدو حواليه ... وتلغو في الدَّوحِ، مِنْ كُلِّ جنسِ[2]
وتراه عند الأصيلِ، لدى الجدول، ... يرنو للطائرِ المتحسِّي
أو يغنِّي بين الصَّنوبرِ، أو يرنو ... إلى سُدْفةِ الظَّلامِ المُمَسِّي[3]
فإذا أقْبَلَ الظلامُ، وأمستْ ... ظلماتُ الوجود في الأرض تُغسي[4]
كان في كوخه الجميل، مقيماً ... يَسْأَلُ الكونَ في خشوعٍ وَهَمْسِ
عن مصبِّ الحياةِ، أينَ مَداهُ؟ ... وصميمِ الوجودِ، أيَّان يُرسي؟
وأريجِ الوُرودِ في كلِّ وادٍ ... ونَشيدِ الطُّيورِ، حين تمسِّي
وهزيمِ الرِّياح، في كلِّ فَجٍّ ... وَرُسُومِ الحياةِ من أمس أمسِ[5]
وأغاني الرِّعاة أينَ يُواريها ... سُكونُ الفضا، وأيَّانِ تُمْسي؟؟
هكذا يَصْرِفُ الحياةَ، ويُفْني ... حَلَقاتِ السِّنينَ: حَرْساً بحَرْسِ[6]

يا لها من معيشةٍ في صميم الغابِ ... تُضْحِي بين الطيور وتُمْسي![7]
يا لها مِنْ معيشةٍ، لم تُدَنِّسْهَا ... نفوسُ الورى بخُبْثٍ ورِجْسِ[8]
يا لها من معيشةٍ، هيَ في الكون ... حياةٌ غريبةٌ، ذاتُ قُدسِ

الدّموع[9]

[من الخفيف]

يَنْقَضي العَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ وَيَأْسِ ... والمُنَى بَيْنَ لَوْعَةٍ وَتَأَسِّ[10]

---

(١) الدِّمقس: القز، أو الديباج، أو الكتّان.
(٢) الدَّوح: جمع الدَّوحة: الشجرة العظيمة.
(٣) السُّدفة: الظلام، والطائفة من الليل. يرنو، من الرنو: إدامة النظر بسكون الطَّرف.
(٤) تُغسي: تُظلم.
(٥) الفيح: الطريق الواسع بين جبلين. هزيم الرياح: صوت الرياح، والهزيم: الرعد.
(٦) الحَرْس: الدهر.
(٧) صميم الغاب، يعني وسطه. وصميم الشيء: خالصه.
(٨) الورى: الخَلْق، الرِّجس: القَذَر.
(٩) نظمها في ١٩ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ/ ٢٠ جوان - حزيران ١٩٢٧ م.
(١٠) التأسّي: التصبّر.

هَـذِهِ سُـنَّـةُ الحَـيـاةِ، وَنَـفْسي ... لا تَـوَدُّ الـرَّحـيـقَ في كَـأْسِ رِجْسِ[1]
مُـلِـئَ الـدَّهْـرُ بـالخـداع، فكَمْ قَـدْ ... ضَـلَّلَ الـنـاسَ مِـنْ إمـامٍ وَقَسِّ[2]
كـلَّما أَسْـأَلُ الحـيـاةَ عَـنِ الحـقِّ ... تَـكُـفُّ الحـيـاةُ عَـنْ كُـلِّ هَمْسِ
لَمْ أَجِـدْ في الحـيـاةِ لحـنـاً بـديـعـاً ... يَسْـتَـبِـيـنِي سِـوى سَكِـيـنَـةِ نَـفْسي[3]
فَـسَئِـمْـتُ الحـيـاةَ، إلا غِـرَاراً ... تـتـلاشى بِـهِ أَنـاشِـيـدُ يَـأْسي
نـاولـتـنـي الحـيـاةُ كـأسـاً دِهَـاقـاً ... بـالأَمَـانِي، فَـمَا تَـنَـاولْـتُ كـأسي[4]
وَسَـقَـتْـنِـي مِـنَ الـتَّـعَـاسَـةِ أَكْـوابـاً ... تَجَـرَّعْـتُـهَـا، فَـيَـا شَـدَّ تَـعْسي!
إنَّ في روضـةِ الحـيـاةِ لأَشْـواكـاً ... بـهـا مُـزِّقَـتْ زَنَـابِـقُ نـفسي

* * *

ضَـاعَ أمسي! وأيـنَ مِـنِّيَ أَمْسي؟ ... وَقَضَى الـدَّهْـرُ أَنْ أعـيشَ بِـيَـأْسي
وَقَضَى الحـبُّ في سُـكـونٍ مُـرِيـعٍ ... سَـاعَـةَ المـوتِ بـين سُـخْط وَبُـؤْسِ
لَمْ تُخَـلِّفْ لِيَ الحـيـاةُ مِـنَ الأمسِ ... سِـوَى لَـوْعَـةٍ، تَهُـبُّ وَتُـرسي
تَـتَـهَـادى مَـا بـينَ غَـصَّـاتِ قَـلبـي ... بِـسُـكُـونٍ وبـين أوجـاعِ نَـفْسي
كخيـالٍ مِـنْ عَـالَمِ المـوت، يَنْـسَـابُ ... بِـصَـمْـتٍ مـا بـينَ رَمْسٍ وَرَمْسِ[5]
تـلكَ أوجـاعُ مـهـجـةٍ، عَـذَّبْـتـهـا ... في جـحـيمِ الحـيـاةِ أَطْـيَـافُ نَـحْسِ[6]

شجون[7]

[من الخفيف]

عـجـبـاً لي! أَوَدُّ أَنْ أفـهـمَ الـكَـوْنَ، ... ونـفسي لَمْ تـسـتـطعْ فَـهْـمَ نـفسي!
لم أُفِـدْ مِـنْ حَـقـائِـقِ الـكـونِ إلاّ ... أَنَّـنـي في الـوجـود مُـرْتَـادُ رَمْسِ

---

(١) الرحيق: الخمرة.

(٢) البيت يدل على مرارة الشاعر وتألمه من الوصوليين والمستغلين للدين. ولكنه ينطوي على اتهام الدهر بالخداع ومشاركة المستغلّين، وهو ليس كذلك.

(٣) يستبي: يأثر.

(٤) دِهاق: ممتلىء.

(٥) الرمس: القبر.

(٦) المهجة: الروح، أو الدم، أو دم القلب.

(٧) نظمها في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٩ هـ/ ١٨ أكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٣٠ م.

كُـلُّ دَهْـرٍ يَمُـرُّ يـفـجـعُ قـلبـي ... لـيـتَ شـعـري أيـنَ الـزَّمـان المـؤَسِّي
في ظـلامِ الـكُـهـوفِ أشـبـاحُ شـؤمٍ ... وبـهـذا الـفَـضَـاءِ أطـيـافُ نَـحْسِ
وَخِـلالَ الـقُـصـور أنّـاتُ حُـزْنٍ ... وَبـتـلكَ الأكـواخ أنْـضَـاءُ بـؤسِ[1]
والقَضَـاءُ الأصَمُّ يَعْتَسِفُ النّـاس ويـقـ ... ـضي مـا بـين سَـيْـفٍ وَقَـوْسِ[2]

* * *

هـذه صـورةُ الحـيـاةِ، وهـذا ... لـونُهَا في الـوجـودِ، مِـنْ أمسِ أمسِ
صُـورةٌ لـلشَّـقَـاءِ دَامِـعَـةُ الـطَّرْفِ ... ولـونٌ يَـسُـودُ في كـلِّ طِـرْسِ[3]

---

(١) الأنضاء: جمع النِّضو: الثوب الخَلَق، أو المهزول من الإبل وغيرها.
(٢) يعتسف: يظلم، أو يخبط على غير هداية. والمعنى: أن القضاء أصم وظالم.
وهذا غير صحيح، ويدل على فساد رأي الشاعر، وسوء ظنه بالقضاء والقدر.
(٣) الطِّرس: الصحيفة.

قافية العين

أنشودةُ الرَّعـد[1]

[من مجزوء الرّمل]

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ لَمَّا عَانَقَ الْكَوْنَ الْخُشُوعْ
وَاخْتَفَى صَوْتُ الأَمَانِي خَلْفَ آفَاقِ الهُجُوعْ[2]

* * *

رَتَّلَ الرَّعْدُ نَشِيداً رَدَّدَتْهُ الكَائِنَاتْ
مِثْلَ صَوْتِ الحَقِّ إِنْ صَا حَ بِأَعْمَاقِ الحَيَاةْ

* * *

يَتَهَادَى بِضَجِيجٍ فِي خَلَايَا الأَوْدِيَةْ[3]
مِثْلَ جَبَّارٍ بَنِي الجِـ ـنِّ بِأَقْصَى الهَاوِيَةْ
فَسَأَلْتُ اللَّيْلَ، واللَّيْـ ـلُ كَئِيبٌ، وَرَهِيبْ
شَاخِصاً بِاللَّيْلِ واللَّيْـ ـلُ جَمِيلٌ، وَغَرِيبْ

* * *

أَتُرَى أُنْشُودَةُ الرَّعْـ ـدِ أَنِينٌ وَحَنِينْ
رَنَّمَتْهَا بِخُشُوعٍ مُهْجَةُ الكَوْنِ الحَزِينْ؟

* * *

(١) نظمها في ١٥ شعبان ١٣٤٤ هـ/ ٢٨ فيفري ـ شباط ١٩٢٦ م.
(٢) الهجوع: النوم ليلاً.
(٣) يتهادى: يتمايل.

أَمْ هِيَ الـقُـوَّةُ تَـسْـعَـى بِـاغْـتِـسَـافٍ واصْـطِـخَـابْ[1]
يَـتَـرَاءَى فِي ثَـنَـايَـا صَـوْتِـهَـا رُوحُ الـعَـذَابْ؟»

* * *

غَـيْـرَ أَنْ الـلَّـيْـلَ قَـدْ ظَـلَّ رُكُـوداً، جَـامِـدا
صَـامِـتـاً مِـثْـلَ غَـدِيـرِ الـقَـفْـرِ، مِـنْ دُونِ صَـدَى![2]

إلى البلبـل[3]

(من مجزوء الرمل)

أَيُّـهَـا الـبـلـبـل يـا شـا عِـرَ أحـلام الـربـيـعْ
غَـنِّـنِـي إنّ عـلـى صـو تِـك أنـداءُ الـدمـوعْ
غـنِّـنِـي فـهـو يـريـنـي أَمَـل الـقـلـب الصريـعْ
تـائـه الـفـكـر يـنـاجـي حـيرة الـفـكـر الشريـدْ
بـخـشـوعٍ وسـكـونٍ وحنينْ
يتكلّـــمْ

انـفـضِ الـطَّـلَّ فـفـي الـطلِّ حـيـاةٌ حـائـرة[4]
شرّدتهـا عـن فـؤاد الـلـيـلِ كـفٌّ جـائـرهْ
وتـغـرّدْ إنّ لـلـوردة عـيـنـاً فـاتـرهْ
أغـضَـتْـهـا راحـةُ الـلـيـل فـقـدْ هـبَّ الـصـبـاحْ
إنّـمـا أنـت حـيـاةٌ سـاحـرهْ
تترنّـــم

رتِّـل الـتـغـريـدَ شـعـريـاً عـلـى سـمـعِ الـزهـورْ

---

(١) الاعتساف: الظلم، والخبط على غير هدى.
(٢) الصدى ما يسمعه المصوِّت في الوادي أو غيره.
(٣) نُشرت في جريدة النهضة بتاريخ أول فيفري ـ شباط ١٩٢٨.
(٤) الطّل: الندى.

واتركِ الرِّقة تهفو حولَ أورادِ الغديرْ
فعروس النهرِ قد هبَّت يناغيها الخريرْ
وتصبَّت نسمةُ الفجر الشعاع المستطيرْ
مثل هَفَّافِ الغيومِ السابحهْ
في ضحاها

إنّ ألحانَ الظلا مِ أثرةُ المكتئبهْ
تتوارى بسكون خلفَ تلك الأسجِبَهْ
سَئِمَ الوردُ أنيـ ـنَ اللوعةِ المنتحبهْ[1]
فانشد اللحنَ رخيماً يطرب الكونَ رنيمهْ
وادفنِ الحسرةَ في اللحد الرحيبْ
ورُؤاها

فيك يا بلبلُ ما في الشعر من وحي تَعوبْ
فيك ما في الفجر من رقّة لألاء طروبْ
فيك ما في الكون من فن ومن سحر خَلُوبْ
فيك ما في الزهرة من شعر الدموعْ
فيك ما في الدمعة المنحدرهْ
من معاني

انفُثِ الشِّعرَ ففي شعرك روح خالدهْ
كلّما هبّتْ على تلك الزهور الراقدهْ
أيقظت في صدرها نبضَ الحياة الهاجدهْ
فاستفاقت تتغنّى بأغانٍ ساجيهْ[2]
وعلى أجفانها سحرٌ نضيرْ
وأمان

فيك يا طيرُ توجَّستُ أغاريد الحياهْ

---

(١) المنتحبة: التي تبكي بكاءً شديداً.
(٢) ساجية: هادئة.

وتسمّعتُ لصوتٍ ضلّ عن قلبي صداه
فغدا ينشده لكنه خاب وتاه
فتهاوى مُضرمَ الغلّة مشبوباً صداه
لأغاريدِ الحياة الضا ئعهْ
ولُغاها[1]

إنّ في صدرك أوتار السماء الباسجعهْ
وبأعماقك أحلام الحياة الرائعهْ
وبآفاقِك فجراً من حياة راتعهْ
في رياض الظهرِ في تلك المغاني الخالدهْ[2]
وبأجفانك أضواء عِذابْ
مِنْ سماها

أنت لحنٌ ساحرٌ قد جسَّم الدهرُ صَداه
فغدا يهتف صدّاها بانغام هواهْ
رامقاً في نضرةِ الأز هار أطياف مُناها[3]
ساكباً من قلبه الطا فح بالوحي لحونه
في فؤاد الوردة المستمعهْ
لِرَخيمهْ[4]

مِنْ نشيد القلبِ في ظِلِّ الحياة الشاعرهْ
مِنْ دموع الحب من سحر الأماني الناضرهْ
مِنْ لظى اللوعة في تلك الأغاني الحائرهْ
في عيون الخُرُدِ العي ـين ضياء ضاحكا
صاغكَ الدهرُ مَلاكاً ساحراً
برنيمهْ

---

(١) اللغا واللغو: ما لا يُعتد به من الحديث.
(٢) المغاني: المنازل.
(٣) أطياف: جمع طيف: الخيال الطائف بالمنام.
(٤) الصوت الرخيم: اللين السهل.

أنتَ قلبُ الشاعرِ الـ ـمُترع بالحب النميرْ[1]
ساءه موطنه الضـ ـنكُ ومأواه الحقيرْ
فهفا والشوقُ يُدنيه إلى النور النضيرْ
ثم أمسى بين أفنا نِ الغياض العازفهْ
شاعراً ينشطر الوحيُ الجميل

من حياته

صوتك المشبوبُ من نارِ الحياة الخالدهْ[2]
جائشاً بالنَّغْمة السكرى الطروب الشاردهْ
يبعث الآمال بالنَّفس اليؤوس الخامدهْ
مثلما تنبعث البسمة من جفن الحياهْ
حينما يستيقظ الفجر الجميلْ

من سُباته

---

(١) مُترع: ملآن. نمير: عذب.
(٢) مشبوب: متوقِّد.

قافية الفـــاء

بقايا الخريف[1]

[من المتقارب]

كَـرِهْـتُ الـقُـصُـورَ، وقُـطَّانَها ... وَمَـا حـولَهـا مـن صِرَاعٍ عـنـيـفْ
وَكَيْـدَ الـضَّـعِيـفِ لِـسَـعْـيِ الـقـويِّ ... وعَـصْفَ الـقـويِّ بِـجَـهْـدِ الـضَّـعـيـفْ
وَجَـاشَـتْ بـنـفسي دُمُـوعُ الحـيـاةِ ... وَعَـجَّـتْ بـقـلـبـي رِيَـاحُ الصُّروفْ[2]
لِـقَـلْـبِ الـفـقـيـرِ الحـطـيـم الـكـسـيـر ... وَدَمْـعِ الأيـامَى السَّفيحِ الـذَّرِيفْ[3]
ونَـوْحِ الـيـتـامـى عـلـى أمـهـاتٍ ... تَـوَارَيْـنَ خَـلْفَ ظَـلامِ الحُـتـوفْ[4]
فـسِـرْتُ إلى حـيـثُ تـأوي أغـانـي الـ ... ـرَّبـيـعِ، وتـذوي أمـانـي الخـريـفْ[5]
وَحَـيْـثُ الـفَـضَـا شـاعِـرٌ، حـالمٌ ... يـنـاجي الـسُّـهـولَ بِـوَحْـيٍ طَـريـفْ
وقـد دثَّـرَتْـهُ غـيـومُ الـمَـسَـاءِ ... بـظلٍّ، حـزيـنٍ، ضَـريـجٍ، شفيفْ[6]
وبـيـن الـغُـصُـونِ الـتي جـرَّدَتْـهـا ... لـيـالي الخَـريفِ، القـويِّ العَسُـوفْ[7]
وقَـفْـتُ، وحـولي غـديـرٌ، مـواتٌ ... تـمـادتْ بـه غَـفـوَاتُ الـكُـهُـوفْ
قَـضَـتْ في حـفـافِـيـهِ تـلكَ الـزُّهُـورُ ... فَـكَـفَّـنـهـا بـالـصَّـقـيـعِ الخَـريـفْ
سـوى زَهْـرةٍ شَـقِـيـتْ بـالحـيـاةِ ... ومـلْـبَـثُـهـا بـالـمُـقَـامِ الـمُـخِـيـفْ[8]
يُـرَوِّعُـهَـا فـيـه قَـصْـفُ الـرُّعُـودِ: ... وَيُحْـزِنُهَا فـيـه نَـدْبُ الـزَّفـيـفْ[9]

---

(١) نظمها في ٦ رمضان ١٣٤٦ هـ /٢٧ فيفري ـ شباط ١٩٢٨ م.
(٢) جاش: اضطرب وتحرّك. عجّ: صاح ورفع صوته. الصروف: حدثان الدهر ونوائبه.
(٣) الأيامى: جمع الأيّم: التي لا زوج لها بكراً أو ثيّباً. الدمع الذريف: أي المذروف والسائل.
(٤) الحتوف: من الحَتْف: الموت.
(٥) يذوي: يذبل.
(٦) دثّرته: غطته. شفيف: شفّاف. الضَّريح: المدمّي، أو المصطبغ بالحمرة.
(٧) العَسُوف: الظَّلُوم.
(٨) ملبثها: مقامها.
(٩) الزفيف: السريع، وزفّت الريح: هبّت في مُضي، وأراد ذلك.

وَيَنْتَابُها في الصَّباحِ السَّديمُ ... وفي الليلِ حُلمٌ، مُريعٌ مُخيفْ[1]

وتُرْهِبُها غادياتُ الغَمامِ ... وتُؤْلِمُها كُلُّ ريحٍ عَصُوفْ[2]

فَتَرْنُو لما حَوْلها مِنْ زُهُورٍ ... وما ثَمَّ إلا السَّحِيقُ، الجَفِيفْ[3]

فتبكي بكاءَ الغريبِ، الوحيدِ ... بشجْوٍ كظيمٍ، ونَوْحٍ ضَعِيفْ[4]

تُبَاكِي بِهِ لُبَّها المستطارَ، وَتَرْ ... ثي به ما طَوَتْهُ الحُتُوفْ[5]

وتشكو أَساها بَيَاضَ النَّهارِ ... وتندُبُ حَظَّ الحياةِ السَّخيفْ

ولكنْ لقد فَقَدَتْ في الوجو ... دِ رفيقاً مُصِيخاً، وقلباً رَؤُوفْ

فَما ثَمَّ إلاَّ الصُّخُورِ القَوَاسي ... وإلاَّ الصَّدى المُسْتَطَارُ الهَتُوفْ

فَجَادَتْ بروحٍ شقيٍّ شجيٍّ ... لقد عذَّبته الليالي صُنُوفْ

وَمَاتَتْ، وَقَدْ غادَرَتْها بِقَاعٍ ... مِنَ الأرضِ ضنْكٍ، حَيَاةُ الصرُّوفْ[6]

فَبَانَتْ حِيَالَ الغديرِ الأصمِّ ... وَقد أخرسَ الموتُ ذاك الحَفِيفْ

وَقد خَضَّبَتْهَا غيومُ المساءِ ... كَغَانِيةٍ ضرَّجَتْهَا السُّيوفْ[7]

فسلْها: «تُرى كيف غاضَ الأريجُ؟ ... وكيف ذَوَى سِحْءُ ذاك الرَّفِيفْ؟»[8]

«وكيف خَبَتْ بَسَمَاتُ الحياةِ ... بأَجْفَانها، وَعَرَاها الكُسُوفْ؟»[9]

«وكيف لَوَتْ جِيدَهَا الحَادِثَاتُ ... وألْوَتْ بذاك القوامِ اللَّطِيفْ؟»[10]

ذَكَرْتُ بمضجَعِها المطمئنِّ ... ومرقدَها في السَّفِيرِ الجَفِيفْ[11]

مصارعَ آماليَ الغابراتِ ... وخيْبَتَها في الصِّراعِ العَنِيفْ

فقلَّبتُ طَرْفي بمهْوَى الزُّهُورِ ... وصعَّدته في الفضاءِ الأَسِيفْ[12]

---

(١) السديم: الضباب الرقيق.

(٢) الغاديات من الغمام: غيوم الصباح، الواحدة غادية.

(٣) ترنو: تديم النظر مع سكون الطَّرْف. السحيق الجفيف، أي المسحوق الجاف.

(٤) الشجو: التطريب. الكظيم: المكروب.

(٥) مُستطار: منتشر. الحتوف: من الحتف: الموت.

(٦) الضَّنْك: الضيق في كل شيء. القاع: الأرض السهلة المطمئنة، الصروف: النوائب.

(٧) خضّبتها: صبغتها ولونتها. الغانية: الحسناء التي غنيت بجمالها. ضرّجتها: أدمتها.

(٨) الأريج: توهج ريح الطيب. غاض: قل ونقص. الرفيف: المتندّي من الشجر وغيرها.

(٩) خبَت: هدأت. عراها: غشيها.

(١٠) الجيد: العنق. الحادثات: نوائب الزمان.

(١١) السفير: ما تساقط من ورق الشجر. الجفيف: الجاف.

(١٢) الأسيف: الحزين.

وَقُلْتُ: «هُوَ الكونُ مَهْدُ الجمالِ ولكِنْ لكلِّ جمالٍ خَريفْ!»
وأطرقتُ، أصغي لِهَمْسِ الأسى وقد غَشِيَ النفسَ هَمٌّ كَثيفْ[1]
وَغاضَتْ ثُمالةُ نُورِ النَّهارِ وأرْخى ظلامُ الوُجودِ السّجوفْ[2]

(١) أطرق: سكت ولم يتكلم.
(٢) غاضت: قلّت. الثمالة: البقية. السجوف: جمع السَّجَف: السِّتْر.

قافية القـــاف

الغزال الفاتـــن[1]

[من مجزوء الخفيف]

بَـذَرَ الحُـبُّ بَـذْرَهُ ... فِي فُـؤَادِي فَـأَوْرَقَـا
بِـلِحَـاظٍ نَـوَافِـثٍ ... فَـجَـنَى حَـظِّيَ الـشَّـقَـا
وَسَـعَـى فِـيـهِ مُـهْـرُهُ ... عَـادِيـاً، ثُـمَّ أَعْـنَـقَـا[2]

* * *

رُبَّ ظَـبْـيٍ عَـلِقْـتُـهُ ... بِـالـبَـهَـا قَـدْ تَـقَـرْطَـقَـا[3]
ثُـمَّ مِـنْ وَصْـلِهِ الجَـمِـيـ ... ـلِ غَـدَا الـقَـلْـبُ مُـمْـلِقَـا
سَـحَـرَ الـلُّـبَّ طَـرْفُـهُ ... مَـا دَهَـا الـرِّيـقَ لَـو رَقَـى[4]
أَوْصَـبَ الـصَّـبَّ صَـدُّهُ ... والـشَّـقَـا لَـوْ تَـرَفَّـقَـا[5]
صَـارَ مُـلْـقَـىً بِـحُـبِّـهِ ... مُـوثَـقـاً لَـيْسَ مُـطْـلَقَـا
صَـارَ ذا جِـنَّـةٍ بِـهِ ... ذَا عَـذَابٍ، مُـؤَرَّقَـا[6]
يَـرْقُـبُ الـبَـدْرَ جَـفْـنُـهُ ... لِـيُـنَـاجِـيـهِ مَـا لَـقَـى
هَـامَ فِي الْـعَـيْنِ غَـرْبُـهُ ... وَهَـمَـى ثُـمَّ أَغْـدَقَـا[7]
وَهَـمَـى صَـوْبُ هَـمِّـهِ ... فَـاسْتَقَى مِنْـهُ مَـا اسْتَقَى[8]

---

(١) نظمها في ٧ رجب ١٣٤١ هـ/ ٢٣ فيفري ـ شباط ١٩٢٣ م.
(٢) الإعناق: ضرب من سير الإبل والدواب مستبطر.
(٣) تقرطق: لبس القُرطق: ضرب من اللباس، معرّب: كُرته الفارسية.
(٤) اللب: القلب، والعقل.
(٥) الصب: المشتاق.
(٦) الجِنّة: المس من الجنون.
(٧) الغَرب: الفيضة من الدمع، أو الدمع. همى: سال. أغدق المطر: كثر.
(٨) الصوب: المطر، ويريد الدمع.

كَمْ قُلُوبٍ تَفَطَّرَتْ وَدَمٍ صَارَ مُهْرَقَا[1]
وَدُمُوعٍ تَسَلْسَلَتْ مِثْلَ غَيْمٍ تَدَفَّقَا
دُونَ أَنْ تَبْلَعَ النُّفُو سُ رُضَابٌ مُرَوَّقَا[2]
وَشَقِيقٍ بِخَدِّهِ مُهَجَ الخَلْقِ شَقَّقَ؟[3]
ثَغْرُهُ مِنْ عُقُودِهِ وَدُمُوعِي تَنَسَّقَا
خَصْرُهُ مِنْ نَحَافَتِي وَنُحُولِي تَمَنْطَقَا[4]
مَرْشَفَاهُ بِخَدِّهِ وَدِمَائِي تَخَلَّقَا[5]
مِنْ لَظَى جَمْرِ خَدِّهِ كَبِدِي قَدْ تَحَرَّقَا[6]
قَدُّهُ فَوْقَ رِدْفِهِ غُصْنُ بَانٍ عَلَى نَقَا[7]
جِيدُهُ تَحْتَ فَرْعِهِ بَرْقُ غَيْمٍ تَأَلَّقَا[8]
نَسَبِي فِي غَرَامِهِ نَسَبٌ صَارَ مُعْرِقَا[9]

الحـــبّ[10]

[من البسيط]

الحُبُّ شُعْلَةُ نُورٍ سَاحِرٍ، هَبَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فكانتْ ساطعَ الفَلَقِ[11]
وَمَزّقتْ عَن جفونِ الدَّهْرِ أَغْشِيَةً وَعَنْ وُجوه اللَّيالِي بُرقُعَ الغَسَقِ[12]
الحبُّ رُوح إلهيٌّ، مجنّحةٌ أيّامُهُ بِضِيَاءِ الفَجْرِ والشَّفَقِ

---

(١) مُهرق: أي مصبوب.
(٢) الرضاب: الريق.
(٣) المهج: جمع المُهجة: الروح، أو دم القلب، أو الدم.
(٤) تمنطق: شدّ وسطه بمنطقة.
(٥) المرشف: حيث يمصّ الماء.
(٦) اللظى: النار أو لهبها.
(٧) الرِّدف، أي: المؤرخة. النَّقا: القطعة من الرمل محدودبة.
(٨) الفرع: أعلى الشيء، والشَّعر التام.
(٩) قوله: صار معرقاً، يعني صار قديماً.
(١٠) نظمها في ٢٩ صفر ١٣٤٦ هـ/ ٢٨ أوت ـ أغسطس ـ آب ١٩٢٧ م.
(١١) الفَلَق: الصبح.
(١٢) البرقع: القناع. الغَسَق: ظلمة أول الليل.

يـطوفُ في هـذه الـدُّنيـا، فَيَجْعَلُهـا نجْـماً، جميلاً، ضَحُـوكاً، جِـدَّ مُؤْتَلِقِ
لـولاهُ مـا سُـمِعتْ في الكَـوْنِ أُغْنِيـةٌ ولا تـآلـفَ في الـدُّنـيـا بَـنُـو أُفُـقِ
الحـبُّ جَـدْولُ خمـرٍ، مَـنْ تَـذَوَّقَـهُ خَـاضَ الجحيمَ، وَلَمْ يُشْفِقْ من الحَرَقِ[1]
الحـبُّ غـايـةُ آمـالِ الحـيـاةِ، فـما خـوْفِي إذا ضمَّني قـبرٌ؟ ومـا فَـرَقِي[2]

(١) أشفق: خاف.
(٢) الفَرَق: الخوف.

قافية الكـــاف

ألحاني السَّكـــرى[1]

[من الخفيف]

قَـدْ سَكِـرْنـا بِـحُـبِّـنَـا واكـتـفـيـنـا ... يـا مُدِيرَ الكؤوس فـاصـرفْ كؤوسَـكْ[2]
واسكبِ الخمـرَ للعَـصَـافِـيرِ والنَّحْـلِ ... وَخَـلِّ الـثَّرى يَـضُـمُّ عـروسَـكْ[3]

* * *

مَـا لَـنـا والـكـؤوس، نَـطْلُبُ مـنـهـا ... نـشـوةً والـغَـرَامُ سِـحْـرٌ وسُـكْـرُ!
خَلِّنَـا منـكَ، فـالـرَّبـيـعُ لنـا سـاقٍ ... وهـذا الـفَـضَـاءُ كـأسٌ وخـمـرُ!

* * *

نحن نحيا كـالـطَّيرِ، في الأُفُقِ السَّاجي ... وكـالـنَّحْـلِ، فـوق غضِّ الـزُّهُـورِ[4]
لا تـرى غـيرَ فـتـنَـةِ الـعَـالمِ الحـيِّ ... وأحـلامِ قـلـبـهـا المـسـحـور...
نَـحْنُ نـلهـو تَحْتَ الـظِّلال، كـطفـلين ... سـعـيـديـن، في غُـرورِ الـطُّفـولـةْ
وعـلى الـصَّخْـرةِ الجـمـيلةِ في الـوادي ... وبـين المَـخـاوفِ المَـجْـهُـولـةْ

* * *

نـحـن نـغـدو بـين المـروج ونُمسي ... ونـغـنِّي مَـعَ الـنَّـسـيـمِ المـغـنِّي
وَنُـنَـاجِيَ روحَ الـطَّبـيـعـةِ في الـكـون ... ونُـصـغـي لِـقَـلْـبـهـا المـتـغـني

* * *

---

(١) نظمها في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ/ ١٥ سبتمبر - أيلول ١٩٣٣ م.
(٢) المدير، يعني: الساقي يقدّم الخمرة.
(٣) الثرى: التراب الندي.
(٤) الساجي: الساكن.

نحنُ مثلُ الرّبيعِ: نمشي على أرضٍ مِنَ الزّهْرِ، والرّؤى، والخَيَالِ
فوقَها يرقُصُ الغَرامُ، ويلهو ويغنّي في نشوةٍ ودَلالِ

* * *

نحن نحيا في جَنّةٍ مِنْ جِنَانِ السِّحْرِ في عالمٍ بعيدٍ...، بعيدِ...
نحنُ في عُشِّنَا المورَّدِ، نتلو سُوَرَ الحُبِّ للشَّبَابِ السَّعيدِ

* * *

قد تركنا الوُجودَ للنّاس، فَلْيَقْضُوا الحياةَ كيفَ أرادوا
وذهبنا بِلبِّه، وهْوَ رُوحٌ وَتَركنا القُشُورَ، وَهْيَ جَمادُ

* * *

قَدْ سَكِرنا بحبِّنا، واكتفينا طَفَحَ الكَأْسُ، فاذهبوا يا سُقاةُ
نحن نحيا فلا نريدُ مزيداً حَسْبُنا ما مَنَحْتِنَا يا حياةُ
حَسْبُنا زهرُنَا الَّذِي نَتَنَشَّى حَسْبُنا كأسُنا التي نترشّفْ[1]
إنّ في ثَغْرِنا رحيقاً سماويّاً وفي قلبِنا ربيعاً مُفَوَّفْ[2]

* * *

أيُّها الدَّهْرُ، أيّها الزَّمَنُ الجاري إلى غيرِ وُجْهةٍ وقرارِ![3]
أيُّها الكونُ! أيُّها القَدَرُ الأعمى! قِفُوا حيثُ أنتُمُ! أو فسيرُوا[4]
وَدَعُونا هنا: تُغنّي لنا الأحْلامُ والحبُّ، والوجودُ، الكبيرُ

* * *

وإذا ما أبَيْتُمُ، فاحْمِلُونا ولهيبُ الغَرَامِ في شَفَتَيْنَا
وزهورُ الحياةِ، تعبقُ بالعِطْرِ وبالسِّحْرِ، والصِّبا في يدَيْنَا

---

(١) نترشّف: نمتص. نتنشّى: نشم رائحته.
(٢) الرحيق: الخمرة. مفوّف: من الفُوف وهي ضرب من برود اليمن. وثوب مفوّف، أي رقيق، والربيع المفوّف يعني الملوّن.
(٣) القرار: الثبوت، والاقامة في مكان.
(٤) وصف القدر بأنه أعمى يدل على استخفاف مرفوض بالقضاء والقدر.

الأشواق التَّائهة [1]

[من الخفيف]

يا صَميمَ الحياةِ! إنّي وَحِيدٌ ... مُدْلجٌ، تائِهٌ، فأينَ شُرُوقُكْ؟ [2]
يا صميمَ الحياةِ! إنّي فؤادٌ ... ضائعٌ، ظامئٌ، فأيْنَ رَحِيقُكْ؟ [3]
يا صميمَ الحياةِ! قد وَجَمَ النّايُ ... وغام الفضا فأيْنَ بُرُوقُكْ؟
يا صميمَ الحياةِ! أين أغانيكَ! ... فَتَحْتَ النُّجومِ يُصْغِي مَشُوقُكْ

* * *

كُنْتُ في فجرِكَ، المُوشَّحِ بالا ... حلامِ، عِطْراً، يَرِفُّ فَوْقَ وُرُودِكْ
حَالماً، يَنْهَلُ الضِّيَاءَ، ويُصغي ... لكَ، في نشوةٍ بوحيِ نَشِيدِكْ
ثُمَّ جَاءَ الدُّجى. . ، فأمسيتُ أوراقا، بِدَاداً، من ذابلاتِ الورودِ [4]
وَضَبَاباً مِنَ الشّذى، يتلاشى ... بين هولِ الدُّجى وصمتِ الوُجودِ
كنتُ في فجرك المغلَّف بالسِّحرِ، ... فَضَاءً مِنَ النَّشِيدِ الهادي
وسَحَاباً مِنَ الرُّؤى، يتهادى ... في ضميرِ الآزالِ والآبادِ [5]
وَضِيَاءً، يَعَانِقُ العالَمَ الرَّحْبَ ... ويَسْرِي في كلِّ خافٍ وَبَادِ [6]
وانقضى الفجرُ. . ، فانحدرتُ منَ ... الأفقِ تراباً إلى صَمِيمِ الوادي

* * *

يا صميمَ الحياة! كم أنا في الدُّ ... نيا غريبٌ أشقى بغُرْبَةِ نفسي
بين قومٍ، لا يَفْهَمُون أناشيـ ... ـدَ فؤادي، ولا معانيَ بؤسي
في وجودٍ مكبَّلٍ بقيودٍ ... تائهٍ في ظلامِ شَكٍّ ونحسِ
فاحتضِني، وضُمَّني لكَ - كالما ... ضي - فهذا الوجودُ عِلَّةُ يأسي

* * *

---

(١) نظمها في ٥ شعبان ١٣٤٩ هـ/ ٢٦ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٠ م.
(٢) صميم الحياة، يعني وسطها، وصميم الشيء: خالصه. المدلج: الذي يسير من أول الليل.
(٣) الرحيق: الخمرة.
(٤) الدجى: الظلام. بداد: متفرقة.
(٥) يتهادى: يتمايل. الآزال: جمع الأزل. القِدَم. الآباد: جمع الأبد: الدهر، والقديم، والدائم.
(٦) يسري: يسير ليلاً. الخافي والبادي: يعني المستتر والظاهر.

لم أجد في الوجود إلا شقاءً ... سَرْمديّاً، ولذّةً، مُضْمَحِلّهْ[1]
وأمانيَّ، يُغرِقُ الدَّمعُ أحلاها ... ويُفني يَمُّ الزَّمانِ صَداها
وأناشيدَ، يأكُلُ اللَّهَبُ الدّامي ... مَسَرّاتِها، ويُبْقِي أساها
وَوُروداً، تموت في قبضةِ الأشْـ ... ـواكِ ما هذه الحياةُ المملّهْ؟!
سَأمٌ هذه الحياةُ مَعَادٌ ... وصباحٌ، يكرُّ في إثرِ ليل
ليتني لم أفِدْ إلى هذه الدّنيا، ... ولم تَسْبَحِ الكَواكِبُ حولي![2]
ليتني لم يعانقِ الفجْرُ أحلامي، ... وَلَمْ يَلْثُمِ الضِّياءُ جفوني!
ليتني لم أزلْ - كما كنتُ - ضوءاً ... شائعاً في الوجود، غير سَجِينِ!

---

(١) السرمدي، الدائم والطويل من الليالي. مضمحل: المتقلل. والضَّحل: الماء القليل على الأرض.
(٢) لم أفد: لم آت.

قافية اللاّم

قلب الأم[1]

[من الكامل]

يا أيُّها الطِّفلُ الَّذي ... قَدْ كانَ كالَّلحنِ الجَميلْ
والوردةِ البيضاءِ، تَعْـ ... ـبُقُ في غِيَابَاتِ الأصيلْ[2]
يا أيُّها الطِّفلُ الذي ... قَدْ كانَ في هذا الوُجُودْ
فَرِحاً، يُناجي فتنةَ الـ ... ـدُّنيا بمعسول النَّشِيدْ
ها أنتَ ذا قَدْ أَطْبَقَتْ ... جفنَيْكَ أَحْلاَمُ المَنُونْ
وَتَطَايَرتْ زُمَرُ الملا ... ئِكِ حولَ مضْجعِكَ الامينْ
ومضتْ بروحكَ للسَّما ... ءِ عَرَائسُ النُّورِ الحبيبْ
يحمِلْنَ تيجاناً، مُذَهَّـ ... ـبَةً، مِنَ الزَّهَرِ الغَريبْ
ها أنتَ ذا قد جلَّلَتْـ ... ـكَ سَكِينةُ الأبدِ الكبيرْ
وبَكَتْكَ هاتيكَ القُلُو ... بُ، وضمَّكَ القبرُ الصغيرْ
وتفرَّقَ النَّاسُ الذيـ ... ـن إلى المقابرِ شيَّعُوكْ
ونسُوكَ من دنياهُمُ، ... حتَّى كأنْ لم يَعْرفُوكْ
شَغَلَتْهُمُ عنكَ الحياةُ، ... وَحَرْبُ هذي الكائناتْ
إنَّ الحَيَاةَ - وقد قضَيْـ ... ـتَ قَبَيْلَ معرفةِ الحياةْ -
بحرٌ، قَرَارَتُهُ الردى ... ونشيدُ لجتِه، شَكَاةْ[3]
وعلى شَوَاطِئِهِ القُلُو ... بُ تئنُّ، داميةً عُراةْ
بحرٌ، تجيشُ بِهِ العَوَا ... صفُ في العَشِيَّةِ والغداةْ

---

(١) نظمها في ٥ شعبان ١٣٥٠ هـ/ ١٦ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣١ م.
(٢) الغيابة: ما سترك. الأصيل: وقت ما قبل الغروب.
(٣) الردى: الهلاك. اللجة: معظم الماء. الشّكاة: المرض.

وتُظلّهُ سُحُبُ الظَّلامِ فَلا سكونَ ولا إياةْ[1]
نَسِيَتْكَ أمواجُ البُحيْـ ـرَةِ، والنُّجومُ اللاَّمعهْ
والبُلبلُ الشَّادي، وهاتيـ ـكَ المروجُ الشَّاسِعهْ
وَجَداولُ الوادي النَّضِيـ ـرِ برقْصِها وَخَريرِها[2]
ومسالكُ الجبلِ الصغيـ ـرِ بِعُشْبِها وزُهورها
حتَّى الرَّفاقُ... فإنَّهمْ لبثوا مدىً يتساءلونْ
في حيرةٍ مشبوبةٍ: «أينَ اختفى هذا الأمينْ؟»[3]
لكنَّهمْ علِموا بأنَّـ ـكَ في الليالي الدَّاجيهْ[4]
حملتكَ غِيلانُ الظَّلامِ إلى الجبالِ النَّائيهْ[5]
فَنَسُوكَ مثلَ النَّاسِ...، وانصرفوا إلى اللَّهْوِ الجميلْ
بينَ الخمائلِ والجدا ولِ، والرَّوابي، والسُّهولْ[6]
ونسُوا وداعةَ وجهكَ الـ ـهادي، ومنظَرَكَ الوسيمْ
ونسُوا تَغَنِّيكَ الجميـ ـلَ بِصَوتكَ الحلوِ، الرخيمْ[7]
ومضوا إلى المرْجِ البَهيـ ـجِ، يطارِدُون طيورَهُ
ويُزحزِحون صُخورَهُ ويعابثونَ زُهورَهُ
ويشيِّدونَ من الرِّمالِ البيضِ موالحَصَبِ النضيرْ[8]
غُرَفاً، وأكواخاً تُكَلِّـ ـلُها الحَشَائشُ والزُّهورْ
ويُنضِّدون من الرُّبَى بين التَّضاحُكِ والحُبُورْ[9]
طاقاتِ وردٍ، آبدٍ تُزري بأورادِ القُصورْ[10]
يُلْقُونها في النَّهرِ قُر بانـاً لآلهةِ السُّرورْ

---

(١) إياة: إقامة.
(٢) النضير: شديدة الخضرة.
(٣) مشبوبة: متوقدة.
(٤) الداجية: المظلمة.
(٥) الغيلان: جمع الغول: الهلكة، والداهية، والسِّعلاة.
(٦) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثيف الملتف. الروابي: جمع الرابية: المرتفع من الأرض.
(٧) الصوت الرخيم: اللينُ السهل.
(٨) الحصب: الحجارة، واحدتها حَصَبة.
(٩) ينضدون: يضمون الأشياء بعضها إلى بعض. الحبور: السرور.
(١٠) تزري، أي تحتقر. آبد: قديم، أو دائم. اوراد: ورد.

فَتَسِيرُ في السَّيَّارِ، را قصةً على نَغَمِ الحريرْ
كلُّ نسُوكَ، ولم يعودوا يذكرونكَ في الحياةْ
والدَّهر يَدْفُنُ في ظلام الموتِ حتّى الذِّكْرياتْ
إلا فؤاداً، ظلَّ يخفُقُ في الوجود إلى لِقَاكْ
ويودُّ لو بَذَلَ الحيَا ةَ إلى المنيَّةِ، وافْتَداكْ
فإذا رأى طفلاً بكاكَ وإن رأى شبَحاً دعاكْ
يُصغِي لصوتكَ في الوجـ ـود، ولا يرى إلَّا بَهاكْ
يُصغي لنغمتكَ الجميـ ـلةِ في خريرِ السَّاقِيةْ
في رنَّةِ المزْمارِ في لغْوِ الطُّيور الشَّاديةْ[1]
في ضَجَّةِ البَحر المجلجِل في هَدير العَاصِفةْ[2]
في لُجّة الغَابَاتِ، في صوتِ الرعودِ القَاصِفةْ[3]
في نُغْيَةِ الحَمَلِ الوَديعِ وفي أناشيدِ الرُّعاةْ[4]
بين المروجِ الخُضْرِ والسَّـ ـفْحِ المجلَّلِ بالنَّباتْ
في آهة الشَّاكي، وضو ضاءِ الجموحِ الصَّاخبهْ
في شهقةِ البَاكي يؤجِّ جُها نُواحُ النَّادبهْ
في كلِّ أصواتِ الوُجو دِ: طروبِها وكئيبِها
ورخيمِها، وعنيفِها وبغيضِها، وحبيبِها[5]
ويراكَ في صُوَرِ الطَّبيـ ـعةِ: حُلوِها، وذميمِها
وحزينِها وبهيجِها وحقيرِها وعظيمِها
في رقَّةِ الفجر الوديعِ وفي اللَّيالي الحالمهْ
في فتنة الشَّفقِ البَديع وفي النُّجوم البَاسمهْ
في رقْصِ أمواجِ البحيـ ـرة، تَحْتَ أضواءِ النُّجومْ
في سِحْرِ أزهارِ الرَّبيع وفي تهاويلِ الغُيومْ[6]

---

(١) المزمار: آلة موسيقية. اللغو: الكلام، أو ما لا يُعتد به من الحديث.
(٢) المجلجل: المدوّي.
(٣) اللجة، هنا بمعنى الكثرة.
(٤) النُّغية: أول الخبر قبل أن تستثبته. ونغى: تكلم بكلام يُفهم، وأراد ههنا صوت الحَمَل.
(٥) الصوت الرخيم: السهل اللين.
(٦) التهاويل: الألوان المختلفة.

في لَمْعَةِ البرق الخَفُوقِ وفي هُوِيِّ الصَّاعقةْ[1]
في ذِلَّةِ الوادي، وفي كِبْرِ الجبال الشَّاهقةْ
في مَشْهَدِ الغابِ الكئيبِ وفي الورود العاويةْ[2]
في ظُلْمة اللَّيل الحزين، وفي الكُهوفِ العَارية
أعَرفتَ هذا القلْبَ في ظلماءِ هاتيكَ اللُّحُودْ؟[3]
هُوَ قَلْبُ أُمِّكَ، أمِّكَ السَّكْرَى بأحزانِ الوجودْ
هو ذلك القَلْبُ الذي سيَعيشُ كالشَّادي الضريرْ
يشدُو بشكْوى حزنِهِ الدَّاجي إلى النَّفَسِ الأخيرْ[4]
لا ربَّةُ النِّسْيانِ ترحمُ حُزْنَهُ وترى شقاهْ
كلا! ولا الأيَّامُ تُبْلِي في أناملِها أَسَاهْ[5]
إلا إذا ضَفَرَتْ لهُ الأقْـ ـدَارُ إكليلَ الجنونْ[6]
وغدا شقِيّاً ضاحكاً تلهو بمرآهُ السُّنُونْ
هو ذلك القلبُ الذي مهما تقلَّبتِ الحياةْ
وتدفعَ الزَّمَنُ المدَمْدِمُ في شِعَابِ الكائناتْ[7]
وتغنَّتِ الدُّنيا، وغرّ دَ بلبلُ الغاب الجميلْ
سَيَظلُّ يعبُدُ ذكريا تِكِ: لا يَمَلُّ، ولا يميلْ
كالأرض: تمشي فوق تُر بَتِهَا المسرَّةُ، والشَّبابْ
والليلُ، والفجرُ المجنَّحُ والعواصفُ والسَّحابْ
والحبُّ تَنبتُ في موا طِنه الشَّقَائِقُ، والوُرودْ
والموتُ تُحْفَرُ - أينما يخطو - المقابرُ واللحودْ

---

(١) الهُوِيّ: السقوط من علوٍ إلى سُفل. الصاعقة: العذاب، والصاعقة: الهلاك، والموت، ونار تسقط من السماء.

(٢) ورود: جمع ورد، وهي بمعنى أسد، ههنا.

(٣) لحود: جمع لحد: قبر.

(٤) الداجي: المظلم.

(٥) الأنامل: رؤوس الأصابع والواحدة: الأُنْمُلَة. الأسى: الحزن. تُبلي: تدرس.

(٦) ضفر الحبل: فتله. وضَفَر الشَّعر: نسج بعضه على بعض عريضاً.

(٧) المدمدم: الغاضب. الشِّعاب: جمع الشعبة: الطائفة من الشيء.

وتمر بين فجاجها اللذاتُ، حالمةً، تميدْ[1]
سكرى، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفق البعيدْ..[2]
وَتظَلُّ تَرْقُصُ للأسى للَّهْوِ، أشْبَاحُ الدُّهورْ
حتى يُوَارِيَها ضَبَا بُ الموتِ في وادي الدُّثورْ[3]
وَتظَلُّ تُورِقُ، ثمّ تُزْهِرُ ثُمّ يَنْثُرُها الصَّبَاحْ
للموتِ، للشّوكِ الممزّقِ للجَدَاولِ، للرِّيَاحْ
بَسَماتُ ثَغْرٍ، حالمٍ يفترُّ في سَهْوِ السُّرورْ
وَوُرودُ روضٍ، بَاسِمٍ يُصغِي لألحانِ الطُّيورْ
وتظلُّ تخفقُ، ثمّ تشْدُو ثمّ يطويها التّرابْ
قُبَلٌ، وأطيارٌ، تُغرِّدُ للحياةِ وللشَّبَابْ
وتظلُّ تمشي في جوَارِ الموتِ أفراحُ الحياةْ!...
ويغرِّدُ الشُّحرورُ ما بيـ ـنَ الجَمَاجِمِ والرُّفاتْ[4]
والأرضُ حالمةٌ:، تغني بين أسرابِ النّجومْ
أنشودةَ الماضي البعيدِ وسُورةَ الأزلِ القديمْ...

أراكِ[5]

[من المتقارب]

أراكِ، فَتَحْلو لَدَيّ الحياةُ ويملأ نَفسي صَبَاحُ الأملْ
وتنمو بصدري وُرُودٌ، عِذابٌ وتحنو على قلبيَ المشتَعِلْ
ويفْتِنُني فيكِ فيضُ الحياةِ وذاك الشَّبابُ، الوديعُ، الثَّمِلْ[6]
ويفتنُني سِحْرُ تلك الشِّفَاهِ ترفرفُ مِنْ حَوْلهنّ القُبَلْ
فأعبُدُ فيكِ جمالَ السَّمَاءِ، ورقّةَ وَرْدِ الرَّبيعِ، الخضِلْ[7]

---

(١) الفِجاج: جمع الفَج: الطريق الواسع بين جبلين. تميد: تضطرب.
(٢) ترنو: من الرُّنو. إدامة النظر بسكون الطَّرْف، وهو مع شغل قلب، وإعجاب.
(٣) يواري: يخفي ويستر. الدثور: الاعماء.
(٤) الرُّفات: الحطام.
(٥) الأزَل: القِدَم.
نظمها في ١١ جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ/ ٢٤ أكتوبر - تشرين أول ١٩٣١ م.
(٦) الثمِل: السكران.
(٧) الخضِل: الندي.

وطُهْرَ الثلوجِ، وسِحْرَ المروج مُوَشَّحَةً بِشُعَاعِ الطَّفَلْ[1]

* * *

أراكِ، فأخلقُ خلقاً جديداً كأنِّيَ لَمْ أبْلُ حربَ الوجودْ[2]
ولم أحتمل فيه عِبئاً، ثقيلاً من الذِّكْرَياتِ التي لا تَبيدْ[3]
وأضغاثِ أيّاميَ، الغابراتِ وفيها الشَّقيُّ، وفيها السَّعيدْ[4]
ويغْمُرُ روحِي ضِيَاءٌ، رَفيقٌ تُكلِّله رَائعاتُ الورودْ
وتُسْمِعُني هَاتِهِ الكَائِنَاتُ رقيقَ الأغاني، وَحُلْوَ النَّشِيدْ
وَتَرْقُصُ حَولي أمانٍ، طِرابٌ وأفراحُ عُمْرٍ خَلِيٍّ، سَعيدْ

* * *

أراكِ، فتخفُقُ أعصابُ قلبي وتهتزُّ مِثْلَ اهتزازِ الوَتَرْ
ويُجري عليها الهوى، في حُنُوٍّ أناملَ، لُدْناً، كَرَطْبَ الزَّهَرْ[5]
فتخطو أناشيدُ قلبيَ، سُكْرَى تغرِّدُ، تحْتَ ظِلالِ القَمَرْ
وتملأني نَشْوةٌ، لا تُحَدُّ كأنِّيَ أصْبَحْتُ فوقَ البَشَرْ
أودُّ بروحي عِنَاقَ الوجودِ بما فيه من أنفُسٍ، أو شَجَرْ
وليلٍ يفرُّ، وفجرٍ يكرُّ وغَيْمٍ، يوَشِّي رداءَ السَّحَرْ

زوبعة في ظلام[6]

[من السّريع]

لو كَانَتِ الأيّامُ في قبضتي أذَرْتُها للرِّيحِ، مِثْلَ الرمالْ
وقلتُ: «يا ريحُ، بها فاذهبي وبدِّديها في سحيقِ الجبالْ[7]

---

(١) طفل العشي: آخره عند الغروب.
(٢) لم أبلْ: لم أختبر.
(٣) لا تبيد: لا تذهب، لا تنقطع.
(٤) ضغث الحديث: خلطه.
(٥) الأنامل: رؤوس الأصابع. اللدن: اللين.
(٦) نظمها في ٧ رمضان ١٣٥٢ هـ/ ٢٤ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٣ م.
(٧) بدّد: فرّق.

«بـل في فـجـاجِ المـوتِ.. في عـالمٍ لا يـرقُصُ الـنّـورُ بِـهِ والـظِّلالْ..

* * *

لـو كـان هـذا الـكـونُ في قـبـضـتي ألـقـيْـتُـه في الـنّـار، نـارِ الجـحـيـمْ
مـا هـذه الـدّنـيـا، وهـذا الـورى وذلـكَ الأُفـقُ، وَتِـلْكَ الـنُّـجُـومْ؟
الـنّـارُ أَوْلى بـعـبـيـدِ الأسى، ومـسـرحِ المـوتِ، وعشِّ الهـمـومْ
يـا أيّـهـا المـاضي الـذي قـد قَضَى وضـمَّـهُ المـوتُ، ولـيـلُ الأَبَـدْ
يـا حـاضِرَ الـنّـاسِ الـذي لم يَـزل! يـا أيُّـهـا الآتي الـذي لم يَـلِدْ
سَـخَـافـةٌ دنـيـاكُـمُ هـذه تـائـهـةٌ في ظـلـمـةٍ لا تُحَـدْ..

غرفة من يـمّ[1]

[من البسيط]

ضُـعْفُ الـعَـزيمَـةِ لَحْـدٌ، في سكِـينَـتِـهِ تقضي الحياةُ، بَنَاهُ اليـأسُ والـوجـلُ[2]
وفي الـعَـزِيمَـةِ قُـوَّاتٌ، مُـسَـخَّـرَةٌ يَخِـرُّ دُونَ مَـدَاهَـا الـشَّـامِـخُ الجَبَـلُ
وَالنَّـاسُ شَخْصَانِ: ذَا يَسْعَى بِـهِ قَـدَمٌ مِنَ القُنُـوطِ، وَذَا يَسْعَى بِـهِ الأَمَـلُ[3]
هـذا إلى المـوت، والأَجْـدَاثُ سَـاخِـرةٌ، وَذَا إلى المَجْـدِ، والـدُّنْـيَـا لَـهُ خَـوَلُ[4]
مَـا كُـلُّ فِعْـلٍ يُجِـلُّ الـنَّـاسُ فَـاعِـلَهُ مَجْـداً، فـإنَّ الـوَرَى في رَأْيِهِمْ خَـطَلُ[5]
فَـفِي الـتَّـمَـاجُـدِ تَمْـوِيـهٌ، وشَـعْـوَذَةٌ، وَفِي الحَقِيقَـةِ مَـا لا يُـدْرِكُ الـدَّجَـلُ[6]
مَـا المَجْـدُ إلاّ ابْتِسَـامَـاتٌ يَفِيضُ بِهـا فمُ الـزمـانْ، إذَا مَـا انْسَـدَّتِ الحِيَـلُ
وَلَيْسَ بِـالمَجْـدِ مَـا تَـشْقَى الحَيَـاةُ بِـهِ فَيَحْسُـدُ اليـوْمُ أَمْسـاً، ضَمَّـهُ الأَزَلُ[7]
فَـمَا الحُـرُوب سِـوَى وَحْشِيَّـةٍ، نَهَضَتْ في أَنْفُسِ النَّاسِ، فَانْقَادَتْ لَهَا الدُّولُ
وَأَيْقَـظَتْ في قُلُوبِ الـنَّـاسِ عَـاصِفَـةً غَـامَ الـوُجُـودُ لهـا، وارْبَـدَّت السُّبُـلُ[8]

---

(١) نظمها في ١٣ رمضان ١٣٤٤ هـ/٢٧ مارس ـ آذار ١٩٢٦ م.
(٢) الوجل: الخوف.
(٣) القنوط: اليأس.
(٤) الأجداث: جمع الجدث: القبر. الخَوَل: ما أعطاك الله تعالى من النَّعم والعبيد والإماء.
(٥) الورى: الخلْق. الخَطَل: فساد الرأي.
(٦) التمويه، أي: التضليل. الدَّجل: الكاذب.
(٧) الأزل: القِدم.
(٨) ارتدَّ: صار لونه إلى الغُبرة.

فَالدَّهْرُ مُنْتَعِلٌ بالنَّارِ، مُلْتَحِفٌ ... بِالهَوْلِ، والوَيْلِ، والأيامُ تَشْتَعِلُ
وَالأَرْضُ دَامِيَةٌ، بالإثْمِ طَامِيَةٌ، ... وَمَارِدُ الشَّرِّ في أَرْجَائِهَا ثَمِلُ[1]
وَالمَوتُ كَالمَارِدِ الجَبَّارِ، مُنْتَصِبٌ ... في الأَرْضِ، يَخْطُفُ مَنْ قَدْ خَانَهُ الأَجَلُ
وَفِي المَهَامِهِ أَشْلاءٌ، مُمَزَّقَةٌ ... تَتْلُو على القَفْرِ شِعْراً، لَيْسَ يُنْتَحَلُ[2]

ذكرى صباح[3]

[من الخفيف]

قَدَّسَ اللَّهُ ذِكْرَهُ مِنْ صَبَاحٍ ... سَاحِرٍ، في ظِلال غابٍ جميلِ
كان فيه النَّسيمُ، يرقُصُ سَكْرانًا ... على الوردِ، والنَّباتِ البَليلِ[4]
وضَبَابُ الجبالِ، يَنْسَابُ في رفقٍ ... بديعٍ، على مُروجِ السُّهولِ
وأغاني الرُّعاةِ، تَخْفُقُ في الأغوارِ ... والسُّهْلِ، والرُّبَى، والتُّلولِ[5]
ورحابُ الفضاءِ، تَعْبَقُ بالألحانِ ... والعِطْرِ، والضِّيَاءِ الجَميلِ[6]
والملاكُ الجميلُ، ما بين ريحانٍ ... وعُشْبٍ، وسِنديانٍ، ظَليلِ
يتغنَّى مع العَصَافِيرِ، في الغَاب ... ويرنو إلى الضَّباب الكَسُولِ[7]
وشعورُ الملاكِ ترقُصُ بالأزهارِ ... والضوءِ، والنَّسيمِ العَليلِ
حُلُمٌ ساحرٌ، به حَلُمَ الغابُ ... فَواهاً لِحُلْمِهِ المَعْسُولِ!
مِثْلُ رؤيا تَلوحُ للشَّاعِرِ الفنَّانِ ... في نشوةِ الخيالِ الجَليلِ
قد تَمَلَّيْتُ سِحْرَهُ في أناةٍ ... وحنانٍ، وَلَذَّةٍ، وَذُهُولِ[8]
ثُمَّ ناديتُ، حينما طفحَ السِّحْرُ ... بأرجاءِ قَلبيَ المبتولِ[9]

---

(١) طامية: يغمرها الماء.
(٢) المهامه: جمع المهمة: المفازة البعيدة. القفر: الخلاء من الأرض. الأشلاء: جمع الشلو: العضو. يُنتحل: ينسب إلى غير صاحبه.
(٣) نظمها في ١٢ ذي القعدة ١٣٥١ هـ/ ٩ مارس ـ آذار ١٩٣٣ م.
(٤) البليل: المبلل.
(٥) الأغوار: جمع الغَور: القعر. الربى: جمع الرابية: التلّة.
(٦) عبق به الطيب: لزق به.
(٧) يرنو: يديم النظر بسكون الطَّرْف، ويُعجب بالشيء.
(٨) الأناة: الصبر والعلم.
(٩) المبتول: المنقطع.

يـا شُعُـورٌ تميـدُ في الـغـابِ بـالـرَّ ... يحـان، والنّـورِ، والنَّسيمِ البَليـلِ[1]
كَـبِّليـني بهـاتِـهِ الخِصَـلِ المـرخَـاةِ ... في فـتـنـةِ الـدَّلالِ المَـلُولِ[2]
كَـبِّـلي يـا سَـلاسـلَ الحـبِّ أفـكـا ... ري، وأحـلامَ قـلبـيَ الـضَّـلِّيـلِ[3]
كبِّليني بكـل مـا فـيـكِ من عِـطْرٍ ... وسـحـرٍ مُـقَـدّسٍ، مَجْـهـولِ
كبِّليني، فـإنَّمـا يُـصْـبِـحُ الـفـنّـانُ ... حـرّاً، في مثـلِ هـذي الكبُـولِ[4]

* * *

ليت شعري! كَمْ بينَ أمواجِكِ السّـو ... دِ، وطـيّـاتِ لـيـلِكِ المـسـدولِ[5]
من غَـرامٍ، مـذَهَّبِ التّـاجِ، مَيْـتٍ ... وفـؤادٍ، مـصـفَّـدٍ، مـغـلولِ[6]
وزهـورٍ مـن الأمـانيِّ تـذوي ... في شُـحُـوبٍ، وخـيـبـةٍ، وخمـولِ[7]
أنـتِ لا تعلمـين. . ، واللّيـلُ لا يـعلَمُ ... كَـمْ في ظَـلامِـهِ مِـنْ قَـتِـيـلِ
أنـتِ أرْجُـوحَـةُ الـنَّـسـيـمِ فـمـيـلي ... بـالـنَّسيمِ الـسَّـعـيـدِ كـلَّ مَـيـلِ
ودَعـي الـشَّـمسَ والـسـمـاءَ تُـسَـوِّي ... لـكِ تـاجـاً، من الضّـيـاءِ الجميـلِ
ودعـي مُـزهِـرَ الـغُـصُـونِ يُـغَـشِّـيـ ... ـكِ بـأوراقِ وَردِهِ المـطلولِ[8]

* * *

لِـلشُّعـاعِ الجميـلِ أنـتِ، ولـلأنسـا ... مِ، والـزَّهـرِ، فـالـعبـي، وأطـيـلي
ودعـي لـلشـقـيِّ أشـواقَـه الـظَّمْأى ... وأوهـامَ ذِهْـنِـهِ المـعـلولِ
يـا عـروسَ الجـبـالِ، يـا وردةَ الآ ... مـالِ، يـا فـتـنـةَ الـوجـودِ الجـلـيـلِ
لـيـتَـنـي كـنـتُ زَهْـرَةً، تـتـثـنّى ... بـينَ طيّـاتِ شَـعْـرِكِ المـصـقـولِ![9]
أو فَـراشـاً، أحُـومُ، حـولَـكِ مسحوراً ... غـريـقـاً، في نـشـوتي، وَذُهُـولي!
أو غصـونـاً، أحنـو عـلـيـكِ بـأوراقي ... حُـنُـوَّ المـدَلَّـهِ، المـتـبـولِ[10]

---

(١) يميد: يتحرك.
(٢) الملول: الضجر.
(٣) الضَّلِّيل: كثير الضلال.
(٤) الكبُول: القيود.
(٥) المسدول: المنسدل، أي المسترخي.
(٦) مصفّد مغلول، أي: مقيّد.
(٧) تذوي: تذبل.
(٨) المطلول: الذي أصابه الطل، أي الندى.
(٩) تتثنى: تتمايل.
(١٠) المتبول: الذي ذُهب بعقله لشدة الحب. والمدلّه كالمتبول.

أو نسيماً، أضمُّ صدركِ في رِفقٍ، إلى صَدْريَ الخفوقِ، النَّحيلِ
آهٍ! كم يُسْعِدُ الجمالُ، ويُشْقي من قلوبَ شِعْرِيَّةٍ، وعقولِ...

خَلِّه للموت[1]

[من الرّمل]

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخَسْفَ، وَمَا مَلَّ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ الأَرْذَلِ[2]
كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيهِ الدِّمَا دُونَ أَنْ يَثْأَرَ لِلْحَقِّ الجَلِي
خَلِّهِ لِلْمَوْتِ يَطْوِيهِ!.. فَمَا حَظُّهُ غَيْرُ الفَنَاءِ الأَنْكَلِ[3]

---

(١) نظمها في ١ محرّم ١٣٤٣ هـ/ ٢ أوت ـ آب أغسطس ١٩٢٤ م.
(٢) الخَسْف: الذل. يقال: سامه خَسْفاً أي ذلاً.
(٣) الأنكل: الذي يُنكِّل أي: يلحق الشر والأذى بغيره.

قافية الميم

أكثرت يا قلبي فماذا تروم؟[1]

[من السريع]

يـا قـلبيَ الـدّامي! إلامَ الـوُجـومْ!؟ ... يَكْفِيـكَ! إنَّ الحُـزْنَ فظٌّ، غَشُـومْ[2]
هـذي كـؤوسي مُـرّةً، كـالـرّدى ... مـا مِـلْؤُهـا إلّا عـصـيرُ الهُـمـومْ[3]
وذاك نـايِـي صـامـتٌ، وَاجِـمٌ ... يُصغي إلى صـوتِ الغَـرام القـديمْ[4]
يـا قـلبيَ الـبَـاكـي إلامَ الـبُـكَـا؟ ... مـا في فـضـاءِ الـكـونِ شيءٌ يَـدُومْ
فـانـثُرْ غُـبَـارَ الحُـزْن فـوقَ الـدُّجَى ... واسمعْ إلى صوتِ الشَّبـابِ الرخِيمْ[5]
وانـقُـرْ عـلى دَفِّ الهـوى لحـنَـهُ ... وارقُصْ مَـعَ النُّـور الضَّحـوك الـوسيمْ
يـا قـلبيَ الـدّاجي! إلَام الـوُجـومْ؟ ... إن لَمْ أَلُمْ قـلبـي فَـمَـنْ ذَا أَلُـومْ؟
مـا لَـكَ لا تُـصْـغـي لـغـيرِ الأسى؟ ... مـا لَـكَ لا تَـرْنُـو لـغـيرِ الكُـلُومْ؟[6]
مـا لَـكَ قـد أَصْبَحْتَ لا تصرفُ الأيّـامَ ... إلّا في شِـعَـابِ الجَـحِـيـمْ؟
أمـا تَـرَى الـبُـلْبُـل في غَـابِـهِ؟ ... يشـدو وفـوق الغـابِ تخـطُو النّجـومْ؟
أما ترى الأسْحار تبدو بها الغابات؟ ... كـالأحـلام ـ خَـلْفَ الـسَّـديـم؟[7]
أمـا تـرى الآمـالَ في سِـحْـرِهَـا؟ ... أمـا تـرى الليـلَ يُنَـاغِي النُّجـومْ؟[8]

---

(١) نظمها في ١٢ صفر ١٣٤٨ هـ / ٢٠ جويلية ـ تموز ١٩٢٩ م.
(٢) فظ: غليظ. غشوم: ظلوم.
(٣) الردى: الموت والهلاك.
(٤) الناي: من الآلات الموسيقية. واجم: ساكت على غيظ.
(٥) الرخيم: اللين، السهل. الدجى: الظلام.
(٦) ترنو: تديم النظر بسكون طَرْف، الكُلُوم: الجراح.
(٧) السديم: الضباب الرقيق.
(٨) يناغي: يلاطف.

يـا قـلبيَ الـدَّاجي! إلامَ الـوُجـومْ؟ أكـثرت يـا قـلبـي فـماذا تـرومْ؟[1]
هَـلْ تَحْـسَـبُ الأيَّـامَ في زَحْـفِـهَـا تـرثِي لِمَنْ قَـدْ هـدَّمَتْـهُ الـرّجـومْ،
كَـلّا! فَـإنَّ الـدَّهْـر يمضي ولا يـلوي عـلى مـا خَـلْفَـهُ مِنْ كَـلِيـمْ[2]
والـيـمُّ لا يَـرْثِـي لِمَـنْ طـمَّـهُ والـسَّيـلُ لا يـبكي لَنَـوْحِ الهَشِيـمْ[3]
والـعَـاصِـفُ الجبَّـار في سُـخْـطِهِ لا يَـرْحَمُ الغُصْنَ، الـرَّشيقَ، الـقَـويمْ
هـذي هِـيَ الـدُّنـيـا فَـمَـاذَا الأسى يـا قلبي الـدّامي، ومـاذا الـوُجُـومْ!

إلى عازف أعمى[4]

[من مخلّع البسيط]

أدركـتَ فَـجْـرَ الحَـيَـاةِ أعـمـىَ وكُـنْـتَ لَا تَـعْـرِفُ الـظَّلامْ
فَـأطْـبَـقَـتْ حَـوْلَـكَ الـدَّيَـاجِـي وَغَـامَ مِـنْ فَـوْقِـكَ الْـغَـمَـامْ[5]
وَعِـشْـتَ في وَحْـشَـةٍ، تـقـاسي خـواطـراً، كـلّهـا ضرامْ
وَغُـرْبَـةٍ، مَـا بِهـا رَفـيـقٌ وظـلمـةٍ، مَـا لَهَـا خِـتَـامْ
تـشـقُّ تِـيـهَ الـوجـودِ فـرداً قـد عـضّـك الـفَـقْـرُ والسَّـقَـامْ[6]
وَطَـاردتْ نَـفْـسَـكَ المـآسي وَفَـرّ مِـنْ قَـلْبِـكَ الـسَّـلامْ

* * *

هَـوِّنْ عـلَى قـلبـك المـعـنَّى إنْ كُـنْـتَ لَا تُـبْصِرُ الـنُّـجـومْ
ولا تـرى الـغـابَ، وهْـو يـلغـو وفـوقـه تَخْـطُرُ الغُيُـومْ[7]
ولا تـرى الجَـدْوَلَ المـغـنِّي وَحَـوْلَـهُ يَـرْقُصُ الـغـيـم
فـكـلّنـا بـائسٌ، جَـديـرٌ بـرأفَـةِ الخَـالِـقِ الـعَـظِيـمْ

---

(١) الداجي: المظلم. تروم: تطلب، تبغي.
(٢) كليم: جريح.
(٣) اليم: البحر. الهشيم: نبت يابس متكسّر.
(٤) نظمها في ٢٨ صفر ١٣٤٧ هـ/ ١٨ أوت ـ آب أغسطس ١٩٢٨ م.
(٥) الدياجي: الحنادس، وكأنه جمع الدّيجاة.
(٦) التّيه: الصَّلَف والكبر. السّقام: المرض.
(٧) يلغو: يتكلم، أو يتكلم بما لا يُعتد به.

وكلُّنا في الحياة أعمى يسُوقه زَعْزَعٌ عَقِيمْ[1]
وحوله تَزْعَقُ المَنَايَا كأنَّها جِنَّةُ الجَحِيمْ:[2]

* * *

يا صاح! إن الحياة قفرٌ مروِّعٌ، ماؤه سَرَابْ[3]
لا يجتني الطَّرْفُ منه إلاّ عَوَاطِفَ الشَّوْكِ والتُّرابْ
وأسعدُ النَّاسِ فيه أعمى لا يُبْصِرُ الهول والمُصَابْ
ولا يرى أنْفَسَ البَرَايا تَذُوب في وقْدَةِ العَذَابْ[4]
فاحمد إلهَ الحياة، واقنعْ فيها بألْحَانِكَ العِذَابْ
وعِشْ، كما شاءَتِ اللَّيالي من آهَةِ النَّاي والرَّبَابْ[5]

أغاني التّائه[6]

[من الرمل]

كَانَ في قَلبيَ فَجْرٌ، وَنُجُومْ، وَبِحَارٌ، لا تُغَشِّيها الغُيُومْ
وأناشيدٌ، وأطيارٌ تَحُومْ ورَبيعٌ، مُشْرِقٌ، حُلْوٌ، جَمِيلْ
كان في قلبي صَبَاحٌ، وإياهْ وابتِسَامَاتٌ ولكنْ... وأَسَاهْ![7]
آه! ما أهولَ إعْصَارَ الحياهْ! آه! ما أشقى قُلُوبَ النَّاس! آه!
كَانَ في قلبيَ فجرٌ، ونجومْ، فإذا الكلُّ ظَلامٌ وَسَدِيمْ...[8]
كَانَ في قلبيَ فَجرٌ، وَنُجومْ

يا بني أمِّي! تُرى أين الصَّبَاحْ؟ قد تقضّى العُمْرُ والفَجْرُ بعيدْ

---

(١) الزَّعزَع: الأمر الشديد من شدائد الدهر. ريح عقيم أي: شديدة.
(٢) الجِنّة: الجن.
(٣) السَراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.
(٤) الوقدة: شدة الحر. البرايا: المخلوقات الواحدة بريئة.
(٥) الناي والرباب: آلتان موسيقيتان.
(٦) نظمها في ١٥ شوّال ١٣٤٧ هـ/ ٢٧ مارس ـ آذار ١٩٢٩ م.
(٧) الإياة يعني: الشعاع.
(٨) السديم: السحاب الرقيق.

وَطَغى الوادي بِمَشْبُوبِ النواحْ ... وانقَضَتْ أنشودةُ الفَصْلِ السَّعيدْ[1]
أينَ نايي؟ هل تَرامَتْهُ الرِّياحْ؟ ... أين غابي؟ أين محرابُ السُّجودْ..؟[2]
خبِّروا قلبي - فما أقسى الجراح! - ... كيف طارت نشوةُ العيشِ الحَميدْ!
يا بني أُمِّي! تُرى أين الصَّباحْ؟ ... أوراءَ البَحْرِ؟ أمْ خَلْفَ الوُجودْ؟
يا بني أُمِّي؟ تُرى أينَ الصَّباحْ!

* * *

ليت شِعْري! هَلْ سَتُسْلِيني الغداةْ ... وتعزِّيني عن الأمسِ الفَقِيدْ
وتُريني أنَّ أفراحَ الحياةْ ... زُمَرٌ تمضي، وأفواجٌ تعودْ[3]
فإذا قلبي صَبَاحٌ، وإياه..، ... وإذا أحلاميَ الأولى وُرُودْ..،
وإذا الشُّحرورُ حُلْوُ النَّغماتْ..، ... وإذا الغَابُ ضِيَاءٌ وَنَشِيدْ..؟
لَيت شعري! هل سَتُسْلِيني الغَداةْ ... أم سَتَنْسَاني، وتبقيني وَحيدْ؟
ليتَ شِعْري! هل تُعَزِّيني الغَداةْ؟

ليتَ شعري [4]

[مجزوء الرمل]

مَزَّقَتْ ثوبَ سكونِ ... اللَّيلِ أنَّاتُ كَليمْ
بين طَيَّات سِجافِ ... الغاسِقِ الدّاجي البهيمْ[5]
حَرَّكَتْ مِنِّي شعورا ... كان مِنْ قبلُ رميمْ[6]
فَتَحَسَّسْتُ مكانَ الصو ... تِ، في ذاكَ الأديمْ[7]
فَإذَا بالأرضِ مُلقى ... هَيكَلٌ نِضْوٌ كَلُومْ[8]

---

(١) مشبوب: متوقد.
(٢) الناي: من الآلات الموسيقية. المحراب: مقام الإمام من المسجد، وصدر البيت.
(٣) زُمر: جماعات. الواحد: زُمرة.
(٤) القصيدة ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.
(٥) السِّجاف: الشّق. الداجي: المظلم. الغاسق: الليل.
(٦) الرميم: البقايا المحطّمة.
(٧) أديم النهار: بياضه.
(٨) نِضو: مهزول. كَلوم: جريح.

عَفَّرَتْهُ التُّرْبُ والعَيْـ ـنُ على الخَدِّ سَجومْ[1]
فَتَأَمَّلْتُ مَلِيًّا وجهَه تحت الغيومْ
فإذا المُلْقَى بوادي وطني جِسْمُ العلومْ
يا بني الأوطانَ هُبّوا فلقد طال الوجومْ[2]
وانهضوا نهضةَ جَبَا رٍ بعزمٍ مُستقيمْ
لَسْتُ أبغي نهضة العا جِزِ يتلوها الحُسُومْ
ليتَ شِعري! هل سحابُ الجهل تَذْروهُ العقيمْ؟
فترى الأعينُ بَدْرَ العلم قد شقّ الغيومْ؟
ليتَ شعري! يا بلادي هل تصافيكِ العلومْ؟

في الظّلام[3]

[من الرمل]

رَفْرَفَتْ في دُجْيَةِ اللَّيْلِ الحَزِينْ زُمرةُ الأحلامْ[4]
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ غَمَامَاتِ الشُّجُونْ مِلْؤُهَا الآلامْ[5]

* * *

شَخَصَتْ، لَمّا رَأَتْ، عَيْنُ النّجُومْ بَعْثَةَ العُشّاقْ
وَرَمَتْهَا مِنْ سَمَاها بِرُجُومْ تَسْكُبُ الأحْرَاقْ[6]

* * *

كُنْتُ إذْ ذَاكَ عَلَى ثَوْبِ السُّكُونْ أَثَرُ الأحْزَانْ
وَالهَوى يَسْكُبُ أَصْدَاءَ المَنُونْ فِي فُؤَادٍ فَانْ[7]

---

(١) سجوم: تذرف الدمع.
(٢) الوجوم: العبوس.
(٣) نظمها في ٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ/٢٧ جوان ـ حزيران ١٩٢٥ م.
(٤) الزمرة: الجماعة. الدجية: الظلمة.
(٥) الشجون: الأحزان.
(٦) الرجوم: جمع الرَّجْمْ: ما يُرجم به من حجارة أو غيره. رجمه: قذفه.
(٧) المنون: الموت. الفاني: الذي يفنى.

سَاكِتاً مِثْلَ جَمِيعِ الكَائِنَاتْ ... رَاكِدَ الأَلْحَانْ[1]
هَائِمٌ قَلْبِي بِأَعْمَاقِ الحَيَاةْ ... تَائِهٌ، حَيْرَان

* * *

إنَّ لِلحبِّ عَلى النَّاسِ يَداً ... تَقْصِفُ الأَعْمَارْ
وَلَهُ فَجْرٌ عَلى طُولِ المدى ... سَاطِعُ الأَنْوَارْ
ثَوْرَةُ الشرِّ، وأَحْلامُ السَّلامْ، ... وَجَمالُ النُّورْ
وابتسامُ الفَجْرِ في حُزْنِ الظَّلامْ، ... في العيونِ الحُورْ[2]

صوت تائه[3]

[من الكمال]

قَضَّيْتُ أدْوارَ الحياةِ، مُفَكِّراً ... في الكَائِناتِ، مُعَذَّباً، مَهْمُوماً
فَوَجَدْتُ أعراسَ الوُجود مآتماً ... ووجدتُ فِرْدَوسَ الزَّمانِ جَحيماً
تَدْوي مَخَارِمُهُ بِضَجَّةِ صَرْصَرٍ، ... مشبوبةٍ، تَذَرُ الجبلَ هَشِيماً[4]
وَحَضَرْتُ مَائدةَ الحياة فَلَمْ أَجِدْ ... إلا شراباً، آجِناً، مَسْمُوماً[5]
وَنَفضْتُ أعماقَ الفَضَاءِ، فَلَمْ أَجِدْ ... إلَّا سُكوناً، مُتْعَباً مَحْمُوماً
تَتَبخَّرُ الأَعْمارُ في جَنَبَاتِهِ ... وَتَمُوتُ أشواقُ النُّفوسِ وُجُوماً[6]
وَلَمَسْتُ أوتارَ الدُّهورِ، فَلَمْ تُفِضْ ... إلا أنيناً، دامياً، مَكْلُوماً[7]
يَتْلُو أقاصيصَ التَّعاسةِ والأسى ... ويُصِيرُ أفراحَ الحياةِ هُمُوماً
شُرِّدْتُ عَنْ وطني الجميل.. أنا الشَّقِـ ... ـيُّ، فَعِشْتُ مَشْطورَ الفؤادِ، يتيماً...
في غُربةٍ، رُوحيَّةٍ، مَلْعُونةٍ ... أشواقُها تَقْضي، عِطاشاً، هِيماً...[8]

---

(١) راكد: ثابت، جامد.
(٢) الحَوَر: شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها مع اتّساع.
(٣) نظمها في ٣ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ/ ٢٠ أوت ـ أغسطس آب ١٩٢٨ م.
(٤) المخارم: جمع المخرم وهو من الجبل: أنفه. والمخارم: الطرق في الغِلظ. ريح صَرصَر: أي: شديدة الصوت. تذر: تترك. الهشيم: الأرض التي يبس شجرها.
(٥) الشراب الآجن: الشراب المتغير.
(٦) الوُجوم: العُبوس.
(٧) مكلوم: جريح.
(٨) هيم: أي، عطاش.

يـا غُـربـةَ، الـرُّوحِ الْمُـفَكِّـرِ! إنَّـهُ ... في النَّـاسِ يحيا، سـائـماً، مَسْؤُومـاً[1]
شُرِّدتُ لِـلدُّنـيـا.. وَكُـلُّ تـائـهٌ ... فـيـهـا يُـرَوِّعُ رَاحِـلاً ومـقـيـماً
يـدعـو الحياةَ، فـلا يُجيبُ سـوى الرَّدى ... لـيـدُسَّـهُ تَحْـتَ الـتُّرابِ رَمـيـماً[2]
وتَـظَلُّ سَـائِـرةً، كـأنَّ فـقـيـدهـا ... مَـا كَـانَ يـومـاً صَـاحِـباً وحمـيـماً![3]

* * *

يـا أيُّهـا السَّـاري! لقـد طـال السُّرى ... حَتَّـام تَرْقُبُ في الـظَّلامِ نُجُـومـاً...؟[4]
أتَخَـالُ في الـوادي الـبعـيـدِ الـمُرْتَجَى؟ ... هيهـاتَ! لَـنْ تَلْقَـى هنـاكَ مَـرُومـاً[5]
سِرْ مـا اسْـتَـطَعْتَ، فَسَـوْفَ تُلفِي ـ مثلما ... خلَّفتَ ـ تَمْشُـوقَ الغُصـونِ حَـطِيـماً[6]

إلى الشَّعب[7]

[من الخفيف]

أينَ يـا شعبُ قلبُكَ الخَـافقُ الحسَّاسُ؟ ... أيـنَ الـطُّمـوحُ. والأحْـلامُ؟
أين يـا شعبُ، رُوحُكَ الشَّـاعـرُ الفنَّـانُ ... أيـنَ، الخـيـالُ والإلهـامُ؟
أين يـا شعبُ، فنُّك السَّـاحـرُ الخـلاَّقُ؟ ... أيـنَ الـرُّسـومُ والأنـغـامُ؟
إنَّ يَـمَّ الحـيـاةِ يَـدْوِي حـوالَـيْـكَ ... فـأيـنَ الْمُـغـامِـرُ، المِـقْـدَامُ[8]
أيـنَ عَـزْمُ الحـيـاةِ؟ لا شيءَ إلاَّ ... المـوتُ، والصمْتُ، والأسى، والـظَّلامُ
عُـمُـرٌ مَـيِّـتٌ، وَقَـلْـبٌ خَـواءٌ ... ودمٌ، لا تُـثِـيـرُهُ الآلامُ[9]
وحـيـاةٌ، تَـنـامُ في ظُـلْمـةِ الـوادي ... وتـنـمـو مـن فـوقـهـاالأوهـامُ
أيُّ عـيشٍ هـذا، وأيُّ حـيـاةٍ؟! ... (رُبَّ عـيشٍ أخَـفُّ مـنـه الحِمَـامُ)[10]

---

(١) السائم: المكلّف في أمرٍ يُعذَّب فيه.
(٢) الردى: الهلاك. الرميم: البالي.
(٣) الحميم: القريب.
(٤) الساري: الذي يسير في الليل. والسرى: سير الليل.
(٥) المروم: المطلوب.
(٦) تلفي: تجد. حطيم: محطّم.
(٧) نظمها في ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٢هـ/ ١٥ أكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٥٣ م.
(٨) اليم: البحر.
(٩) خوّاء: فارغ.
(١٠) العجز من بيت للمتنبي.
والحِمام: قضاء الموت وقدره.

قد مشتْ حولكَ الفُصولُ وغنّتكَ فَلَمْ تِبتهجْ، وَلَمْ تترنّمْ
ودَوَتْ فوقكَ العَواصِفُ وأنواءُ حتّى أوْشَكْتَ أن تتحطّمْ[1]
وأطافَتْ بكَ الوُحوشُ وناشتْكَ فلم تَضْطَرِبْ، ولم تتألمْ[2]
يا إلهي أما تحسُّ؟ أمَا تشدو؟ أما تشتكي؟ أما تتكلّمْ؟[3]
ملَّ نهرُ الزّمانِ أيّامَكَ الموتَ وأنقاضَ عُمرِكَ المتهدِّمْ
أنتَ لا ميِّتٌ فيبلَى، ولا حيٌّ فيمشي، بل كائنٌ، ليس يُفْهَمْ
أبداً يرمقُ الفراغَ بطرفٍ جامدٍ، يرى العوالِمَ، مُظْلِمْ[4]
أيُّ سِحْرٍ دهاكَ، هَلْ أنتَ مسحورٌ شقيٌّ؟ أم مَاردٌ، يَتَهكَّمْ؟

* * *

آه! بل أنتَ في الشُّعوب عجوزٌ، فيلسوفٌ، محطَّمٌ في إهابهْ[5]
ماتَ شوقُ الشَّبابِ في قلبِه الذّاوي، وعزمُ الحياة في أعصابهْ[6]
فمضى يَنْشُدُ السَّلامَ..، بعيداً.. «في قبور الزّمانِ» خلفَ هضابهْ[7]
وهناكَ، اصطفى البقاء مع الأموات، «في قبرِ أمسِهِ» غيرَ آبهْ..[8]
وارتضى القبرَ مسكناً، تتلاشى فيه أيّامُ عُمرِهِ المتشابهْ
وتناسى الحياةَ، والزّمَنَ الذّاوي وما كان منْ قديمِ رِغابهْ
فالْزَمِ القبر، فَهُوَ بيتٌ، شبيهٌ بكَ في صَمْتِ قلبِهِ، وخرابِهِ
واعبدِ «الأمسَ» واذْكِرْ صُوَرَ الماضي فدُنْيَا العجوزِ ذِكرى شبابهْ[9]
وإذا مرَّتِ الحياةُ حوالَيْكَ جَميلاً، كالزَّهرِ غضّاً صِباها
تتغنّى الحياةُ بالشوقِ والعَزْمِ فيُحْيي قلبَ الجمادِ غِنَاها
والرَّبيعُ الجميلُ يرقُصُ فوق الوردِ، والعُشْبِ، منْشِداً، تيّاهاً[10]

---

(١) الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب.
(٢) ناشه: تناوله.
(٣) في هذا البيت سخرية وتهكّم بالخاملين من الناس.
(٤) يرمق: ينظر نظراً خفيفاً.
(٥) الإهاب: الجلد.
(٦) الزاوي: الذابل.
(٧) ينشُد: يطلب.
(٨) غير آبه: غير مكترث.
(٩) اذكر: تذكّر.
(١٠) تيّاه: مختال.

ومشى النَّاسُ خلفَهَا، يتَمَلْوَنَ ... جمالَ الوجودِ في مرآها
فاحذرِ السِّحْرَ! أيُّها النَّاسكُ القِديسُ ... إنَّ الحياةَ يُغْوي بِهَاها
والرَّبيعُ الفَنَّانُ شاعِرُهَا المفتونُ ... يُغْرِي بحبِّها وهواها
وَتَمَلَّ الجمالَ في رِمَمِ الموتى...! ... بعيداً عن سِحْرِهَا وَصَداها[1]
وَتَغَزَّلْ بسِحرِ أيَّامِكَ الأولى ... وخَلِّ الحياةَ تخطو خطاها

* * *

وإذا هَبَّتِ الطُّيورُ مَعَ الفجرِ، ... تُغنِّي بينَ المروجِ الجميلة
وتُحَيِّي الحياة، والعالَمَ الحيَّ، ... بِصَوْتِ المحبَّةِ المعسولة
والفَراشُ الجميلُ رَفْرَفَ في الرَّوْضِ، ... يناجي زهورَهُ المطلولةُ[2]
وأفاقَ الوجودُ لِلْعملِ المجْدِي ... وللسَّعي، والمعاني الجليلة
وَمَشَى النَّاسُ في الشِّعابِ، وفي الغاب، ... وفوق المَسَالكِ المجهولة
يَنْشُدُونَ الجمالَ، والنُّورَ، والأفراحَ ... والمجدَ، والحياةَ النبيلة
فاغضُضِ الطَّرفَ في الظَّلام! وحاذِر ... فِتْنَةَ النُّورِ..! فَهْيَ رُؤْيَا مَهُولة...
وَصَبَاحُ الحياةِ لا يُوقظُ الموْتَى ... ولا يَرْحَمُ الجفونَ الكليلةْ[3]
كلُّ شيءٍ يُعاطِفُ العالَمَ الحيَّ، ... ويُذكِي حياتَه، ويُفيدُهْ
والذي لا يجاوِبُ الكونَ بالإحساسِ ... عِبْءٌ على الوجودِ، وُجُودُهْ
كُلُّ شيءٍ يُسايرُ الزَّمنَ الماشي ... بعزمٍ، حتَّى الترابُ، رُدُودُهْ
كلُّ شيءٍ - إلَّاكَ - حَيٌّ، عَطوفٌ ... يُؤنِسُ الكونَ شَوْقُه، ونَشيدُهْ
فَلِماذا تعشُ في الكونِ يا صَاحِ! ... وما فيكَ من جنًى يستفيدُهْ
لستَ يا شيخُ للحياةِ بأهْلٍ ... أنتَ داءٌ يُبِيدُهَا وتُبيدُهْ[4]
أنتَ قَفْرٌ، جهنَّميٌّ لَهِينٌ، ... مُظْلِمٌ، قَاحِلٌ، مريعٌ جمودُهْ[5]
لا ترفُّ الحياةُ فيه، فلا طيرَ ... يغني ولا سَحَابَ يجودُهْ

* * *

(١) رمم الموتى: بقاياهم. تملّ، أي: املأ.
(٢) المطلولة: التي أصابها الطّل، أي: الندى.
(٣) الكليلة: الضعيفة المنكسرة.
(٤) يبيدها: يذهب بها.
(٥) قاحل: لا ينبت شيئاً. القفر: الفلاة.

أنتَ يا كَاهِنَ الظَّلام حياةٌ ... تعبدُ الموتَ...! أنت روحٌ شقيُّ
كافرٌ بالحياةِ والنُّورِ...! لا يُصغي ... إلى الكون قلبُه الحجريُّ
أنتَ قلبٌ، لا شوقَ فيه ولا عزمٌ ... وهذا داءُ الحياةِ الدَّويُّ[1]
أنتَ دُنيا، يُظلُّها أفقُ الماضي ... وليلُ الكآبةِ الأبديُّ
مات فيها الزَّمانُ، والكونُ إلاَّ ... أمسُها الغابرُ، القديمُ، القصيُّ[2]
والشقيُّ الشقيُّ في الأرض قلبٌ ... يَومُهُ ميِّتٌ، وَمَاضيهِ حَيُّ
أنتَ لا شيءَ في الوجودِ، فغادِرْهُ ... إلى الموتِ فَهْوَ عنك غَنِيُّ

الأبد الصَّغير[3]

[من البسيط]

يا قلبُ! كم فيكَ من دُنْيا محجَّبَةٍ ... كأنَّها، حين يبدو فجرُها «إرَمُ»[4]
يَا قلبُ! كمْ فيك من كونٍ، قدِ اتَّقَدَتْ ... فيه الشُّموسُ وعاشتْ فَوقَهُ الأممُ
يا قلبُ! كم فيكَ من أفقٍ تَنَمَّقُهُ ... كَواكبٌ تَتَجلَّى، ثُمَّ تَنعَدِمُ
يا قلبُ! كمْ فيك من غابٍ ومن جَبَلٍ ... تَدْوِي به الرِّيحُ أو تسمو به القممُ
يا قلبُ! كمْ فيك من كهفٍ قد انبجست ... منه الجداولُ تجري ما لها لُجمُ[5]
تمشي...، فتحملُ غُصناً مُزْهِراً نَضِراً ... أو وَرْدَةً لم تُشَوِّهْ حُسنَها قَدَمُ
أو نَحْلَةً جرَّها التَّيارُ مُنْدَفِعاً ... إلى البحارِ، تُغنِّي فوقها الدِّيَمُ[6]
أو طائراً ساحراً مَيْتاً قد انْفجرتْ ... في مُقْلَتَيْهِ جِراحٌ جَمَّةٌ وَدَمُ[7]
يا قلبُ! إنَّك كونٌ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ ... إن يُسْألِ الناسُ عن آفاقه يَجمُوا[8]

---

(١) الروي: أي: الصوت الشديد.
(٢) القصي: البعيد.
(٣) نظمها في ٢٠ رمضان ١٣٤٨ هـ/ ١١٩پ فيفري ـ شباط ١٩٣٠ م.
(٤) إرَم: إسم مدينة قديمة ذكرت في القرآن الكريم: سورة الفجر: آية ٧ ﴿إرَم ذات العماد﴾. وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية أو موضع ببلاد فارس.
(٥) انبجس: انفجر.
(٦) الدِّيَم: جمع الدِّيمة. المطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق.
(٧) جمّة: كثيرة.
(٨) الوجوم: العبوس.

كأنَّكَ الأبدُ المجهولُ... ، قد عَجَزَتْ عنكَ النُّهى، واكْفَهَرَّتْ حَوْلَكَ الظُّلَمُ[1]

* * *

يا قلبُ! كمْ من مَسرّاتٍ وأخيلةٍ ولذّةٍ، يَتَحامَى ظِلَّها الألمُ
غَنَّتْ لفجرِكَ صوتاً حالماً، فَرِحاً نَشْوَانَ ثم توارتْ، وانقضى النَّغمْ
وكم رأى لَيْلُكَ الأشباحَ هائمةً مَذْعُورةً تَتَهاوى حَوْلَها الرُّجُمُ
وَرَفْرَفَ الألمُ الدّامي، بأجنحةٍ مِنَ اللَّهيبِ، وأنَّ الحُزْنُ والنَّدَمُ[2]
وكمْ مُشْتْ فوقكَ الدُّنيا بأجمعها حتّى توارتْ، وَسَار الموتُ والعدمُ
وشيِّدتْ حولَكَ الأيّامُ أبنيةً مِنَ الأناشيدِ تُبْنَى، ثُمَّ تَنْهدمُ

* * *

تَمضي الحَياةُ بماضيها، وَحاضرِها وتذهَبُ الشَّمْسُ والشُّطآنُ والقِممُ
وأنتَ، أنتَ الخِضَمُّ الرَّحْبُ، لا فَرَحٌ يَبْقَى على سطحكَ الطّاغي، ولا ألمُ[3]

* * *

يا قلبُ كم قد تملَّيتَ الحياةَ، وكمْ رقَّصتَها مَرَحاً، ما مسَّكَ السَّأمُ
وكمْ تَوَشَّحْتَ من ليلٍ، ومن شَفَقٍ ومن صباحٍ تُوَشّي ذيْلَهُ السُّدُمُ[4]
وَكَمْ نَسَجْتَ من الأحلامِ أرديةً قد مزَّقَتْها اللَّيالي، وهي تَبْتَسِمُ
وَكَمْ ضَفَرْتَ أكاليلاً موردّةً طارتْ بها زَعْزَعٌ تدوي وتَحْتَدِمُ[5]
وَكَمْ رسمتَ رسوماً، لا تُشابِهُها هذي العَوالمُ، والأحلامُ، والنُّظُمُ
كأنَّها ظِلَلُ الفِرْدَوسِ، حافِلةً بالحُورِ، ثم تلاشتْ، واختفى الحُلُمُ

* * *

تبلُو الحياةَ فتبلِيها وتخلَعُها وتستجدُّ حياةً، ما لها قِدمُ
وأنتَ أنتَ: شبابٌ خالدٌ، نضرٌ مِثلُ الطَّبيعةِ: لا شَيْبٌ ولا هَرَمُ

---

(١) النُّهى: العقل. اكفهرّ السحاب: تراكم.
(٢) أنّ، من الأنين: الصوت الضعيف.
(٣) الخِضَم: البحر.
(٤) السُّدُوم: يُقال ماء سُدُم أي: مندفق.
(٥) ريح زعزع: ريح تزعزع الأشياء. ضفر الشعر: نسج بعضه على بعض.

زئير العاصفة[1]

[من الطويل]

تُسَائِلُني: «مَا لي سَكَتُّ، ولم أُهِبْ ... بقومي، وديجورُ المصائبِ مُظْلِمُ[2]»
«وَسَيْلُ الرَّزايا جَارفٌ، متدفِّعٌ ... غضوبٌ، ووجهُ الدَّهرِ أربدُ، أقْتَمُ؟»[3]

* * *

سَكَتُّ، وقد كانت قناتيَ غضَّةً ... تُصِيخُ إلى هَمْسِ النَّسيمِ، وتحلُمُ[4]
وقلتُ، وقد أصغتْ إلى الرِّيحِ مرَّةً ... فَجَاشَ بها إعصارُهُ المتهزِّمُ[5]
وقلتُ وقد جاش القَريضُ بخاطري ... كما جاش صخَّابُ الأواذيِّ، أسْحَمُ:[6]
«أرى المجدَ معصوبَ الجبينِ مجدَّلاً ... على حسَكِ الآلام، يغمره الدَّمُ»[7]
«وقد كان وضَّاحَ الأساريرِ، باسماً ... يهبُّ إلى الجلَّى، ولا يَتَبرَّمُ»[8]

* * *

«فيا أيُّها الظُّلمُ المصعَّرُ خَدُّهُ ... رويدكَ! إنَّ الدَّهرَ يبني ويهدُمُ»[9]
«سيثأر للعزِّ المحطَّم تَاجُهُ ... رجَّالٌ إذا جاشَ الرَّدى فهُمُ هُمُ»
«رجالٌ يَرَوْنَ الذُّلَّ عاراً وسُبَّةً ... ولا يرْهبون الموتَ، والموتُ مقدمُ»
«وهل تعتلي إلا نُفُوسٌ أبيَّةٌ ... تصدِّع أغلالَ الهوانِ، وتحطِمُ»[10]

---

(١) لم يؤرخ لها.
(٢) الديجور: الظلام.
(٣) الرزايا: جمع الرزيّة. المصيبة. أربد: مغبر. أقتم: أسود.
(٤) تصيخ: تصغي. ويقصد بالقناة قامته.
(٥) جاش: اضطرب.
(٦) القريض، أي الشعر. الأواذي: الموج. الأسحم: السحاب.
(٧) الحَسَك: نبات له شوك. وأراد هنا الحقد والعداوة.
(٨) يتبرّم: يتضجّر.
(٩) المصعَّر خده: المائل خده.
(١٠) الأغلال: القيود. الواحد غل.

إلى الطَّاغية[1]

[من الطويل]

يَقُولون: «صَوْتُ المُسْتَذِلِّين خَافِتٌ ... وَسَمْعُ طُغَاةِ الأرضِ (أَطْرَشُ) أَصْخَمُ»[2]
وَفي صَيْحَةِ الشَّعْبِ المُسَخَّرِ زَعْزَعٌ ... تُخَرُّ لَهَا شُمُّ العُرُوشِ، وَتُهْدَمُ[3]
وَلَعْلَعَةُ الحقِّ الغَضُوبِ لها صَدًى ... وَدَمْدَمَةُ الحَربِ الضَّروسِ لَهَا فَمُ[4]
إذَا التَفَّ حَوْلَ الحقِّ قَوْمٌ فَإنَّهُ ... يُصَرِّمُ أَحْدَاثَ الزَّمانِ وَيُبْرِمُ[5]

* * *

لَكَ الوَيْلُ يَا صَرْحَ المَظَالِمِ مِنْ غَدٍ ... إذا نَهَضَ المُسْتَضْعَفُونَ، وَصَمَّمُوا!
إذا حَطَّمَ المُسْتَعبِدُونَ قُيودَهُمْ ... وصَبُّوا حَمِيمَ السُّخْطِ أَيَّانَ تَعْلَمُ..!
أَغَرَّكَ أَنَّ الشَّعْبَ مُغْضٍ عَلَى قَذىً ... وَأَنَّ الفَضَاءَ الرَّحْبَ وَسْنَانُ، مُظْلِمُ؟[6]
أَلا إنَّ أَحْلامَ البِلادِ دَفِينَةٌ ... تُجَمْجِمُ فِي أَعْماقِهَا مَا تُجَمْجِمُ[7]
وَلَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدَ لأْيٍ نُشُورُها ... وَيَنْبَثِقُ اليومُ الَّذي يتَرَنَّمُ[8]
هُوَ الرَّوْعُ، إنْ هَبَّ الضَّعِيفُ بِبَأْسِهِ، ... سَتَعْلَمُ مَنْ مِنَّا سَيَجْرُفُهُ الدَّمُ
إلى حَيْثُ تَجْنِي كَفُّهُ بَذْرَ أَمْسِهِ ... وَمُزْدَرِعُ الأَوْجَاعِ لا بُدَّ يَنْدَمُ[9]
سَتَجْرَعُ أَوْصَابَ الحياةِ، وَتَنْتَشِي ... فَتُصْغِي إلى الحَقِّ الذي يَتَكَلَّمُ
إذا مَا سَقَاكَ الدَّهْرُ مِنْ كَأْسِهِ التي ... قَرَارَتُهَا صَابٌّ مَرِيرٌ، وَعَلْقَمُ
إذَا صُعِقَ الجَبَّارُ تحتَ قُيُودِهِ ... يُصِيخُ لأوجاعِ الحَياةِ وَيَفْهَمُ!!

---

(١) نظمها في ١٥ شعبان ١٣٤٥ هـ/ ١٨ فيفري ـ شباط ١٩٢٧ م.
(٢) أصخم يعني: يابس. وأصحمت وأصخمتْ الأرض: تغيّر نبتها وأدبر مطرها.
(٣) زعزع يعني: الريح الزعزع التي تزعزع الأشياء. شُم: عالية.
(٤) الدمدمة: الغضب.
(٥) يصرِّم: يقطع. يبرم: يُحكِم.
(٦) وسنان: ناعس.
(٧) يجمجم: لا يبين كلامه.
(٨) اللأي: الإبطاء والشدّة.
(٩) مزدرع الأوجاع يعني: مستقرها. وازدرع بمعنى زرع.

يا حماة الدِّين[1]

[من الطويل]

لَقَدْ نامَ أهلُ العِلْمِ نوماً مغنطَساً ... فَلَمْ يسمعوا مَا ردّدَتْهُ العَوَالِمُ[2]
ولكنَّ صوتاً صارخاً، متصاعداً ... مِنَ الرُّوح يَدري كُنْهَهُ المُتَصَامِمُ[3]
سيُوقِظُ منهمْ كلَّ منْ هُوَ نَائمٌ ... ويُنطِقُ منهمْ كلَّ منْ هو وَاجِمُ[4]

* * *

سَكَتُّمْ حماةَ الدين سَكْتَةَ واجمٍ ... وَنِمْتُمْ بِملءِ الجَفْنِ، والسُّيلُ دَاهِمُ
سَكَتُّمْ، وقد شِمتمَ ظلاماً، غُضُونُه ... علائمُ كفرٍ ثائرٍ ومَعَالِمُ[5]
مَوَاكبُ إلحادٍ وراءَ سكوتِكُم ... تَضُجُّ، وها إنّ الفَضاءَ مَآثِمُ
أفيقوا فليلُ النُّومِ ولّى شبابُهُ ... ولاحتْ للألاءِ الصَّباحِ عَلائِمُ[6]
فدونَ ضجيجِ الفاسقين سَكِينةٌ ... هيَ الموتُ، مِمَّا أورثَتْه التَّمَائِمُ[7]
عوائدُ تُحيي في البلاد نوائباً ... تقُدّ قُوامَ الدِّين، والدِّينُ قَائِمُ[8]
أفيقوا، وهُبّوا هَبَّةً ضَيْغَمِيَّةً ... ولا تحجُمُوا، فالموتُ في الجبْنِ جَاثِمُ[9]
فدون نِقَابِ الصَّمتِ تنمو ملامحٌ ... تبرقعتِ الشرُّ الذي لا يُقَاوِمُ
فَقَدْ فَتَّ في زَنْدِ الدِّيانةِ مَعْشَرٌ ... أثاروا على الإسْلامِ مَنْ قد يُهَاجِمُ
فوالحقِّ، ما هذِي الزَّوايا وأهلُها ... سوى مصنعٍ فيه تُصَاغُ السَّخَائِمُ[10]
لحى الله مَنْ لَمْ تَسْتثِره حميةٌ ... على دِينه، إنْ دَاهمتهُ العَظَائِمُ
لحى الله قوماً، لم يُبالوا بأسْهُمٍ ... يُصوِّبها نَحْوَ الدِّيَانَةِ ظَالِمُ

---

(١) نظمها في ١٦ جمادي الأولى ١٣٤٩ هـ.
(٢) مغنطس، يعني إنه نام نوماً مصطنعاً.
(٣) كنهه: جوهره وسره. المتصامم، يريد الذي أغلق أذنيه.
(٤) واجم: عابس.
(٥) شام: نظر.
(٦) الآلاء: النِّعم.
(٧) التمائم: جمع التميمة وهي خرزة رقطاء تُنظم في السَّير ثم يُعقد في العنق.
(٨) النوائب: المصائب والنوازل.
(٩) هبّة ضيغمية، هبّة منسوبة إلى الضيغم، أي: الأسد. جاثم: مقيم.
(١٠) السخائم: جمع السخيمة: الحقد.

السَّعادة[٢]

[من البسيط]

تَـرجُـو السَّعـادةَ يـا قلبي ولـو وُجِدَتْ ... في الكـونِ لم يشـتعـلْ حُـزْنٌ ولا أَلَمُ
ولا استحـالتْ حيـاةُ النَّـاسِ أجمعُـهـا ... وزُلـزلـتْ هـاتِـه الأكـوانُ والـنُّـظُمُ
فـما السَّعـادة في الـدُّنيـا سـوى حُلُمٍ ... نـاءٍ تُـضَـحِّي لـه أيَّـامَـهَـا الأمَـمُ[٣]
نـاجتْ بـه النَّـاسَ أوهـامٌ معَـرْبِـدةٌ ... لَّـما تغَشَّـتْهُـمُ الأحْـلامُ والـظُّلَمُ[٣]
فَـهَـبَّ كـلُّ يُـنـاديـهِ ويـنْـشُـدُهُ ... كـأنَّما النَّـاسُ مـا نـامـوا ولا حلُمُـوا

* * *

«خُـذِ الحيـاةَ كـما جـاءتْـك مبتسـماً ... في كفِّهـا، الغـارُ أو في كفِّهـا العَـدَمُ»
وارقصْ عـلى الـوَردِ والأشـواكِ متَّـئـداً ... غنَّتْ لـكَ الطَّيرُ، أو غنَّت لـكَ الرُّجُمُ[٤]
واعملْ كـما تـأمُـرُ الـدُّنيـا بـلا مَضَضٍ ... والجـمْ شُعـورَكَ فيـهـا، إنَّها صَـنَـمُ[٥]
فَـمَـنْ تـألَّمَ لَمْ تُـرْحَـمْ مَـضَـاضَـتُـهُ ... وَمَـنْ تجـلَّد لم تَهْـزأ بـه الـقـمَـمُ
هـذي سـعـادةُ دُنيـانـا، فَـكُنْ رجـلاً ... ـ إن شئْـتَـهـا ـ أبَـدَ الآبـاد يَـبْـتَـسِـمُ!
وإن أردتَ قـضـاءَ الـعـيشِ في دَعَـةٍ ... شـعـريَّـةٍ لا يُـغَشِّي صَـفْـوَهَـا نَـدَمُ
فـاتـركْ إلى النَّـاس دنيـاهمْ وضجَّتَهُـمْ ... ومـا بنـوا لِنِـظامِ الـعيشِ أو رَسَـمـوا
واجعـلْ حيـاتـكَ دوحـاً مُـزْهـراً نَضِـراً ... في عُـزْلَـةِ الغـابِ ينمـو ثُمَ ينعـدمُ[٦]
واجعـل لـيـاليـك أحـلامـاً مُـغَـرِّدةً ... إنَّ الحـيـاةَ ومـا تـدوي بـه حُـلُمُ

النَّاس[٧]

[من البسيط]

مـا قـدَّسَ المـثـلَ الأعـلى وجمَّـلَهُ ... في أعـيُنِ الـنَّـاسِ إلَّا أنَّـه حُـلُمُ!

---

(١) نظمها في ٢٦ رمضان ١٣٥١ هـ/ ٢٣ جانفي ـ كانون الثاني ١٩٣٣ م.
(٢) النائي: البعيد.
(٣) معربدة: سيئة الخُلق.
(٤) متئد: متمهل. الرُّجم: ما يرجم به، أي يُقذف به.
(٥) المضض: وجع المصيبة.
(٦) الدَّوح: جمع الدَّوحة: الشجرة العظيمة.
(٧) نظمها في ٢٠ شعبان ١٣٥٢ هـ/ ٨ ديسمبر ـ كانون الأول ١٩٣٣ م.

ولـو مَشَى فـيـهـمُ حـيًّـاً لحـطّمَـهُ قـومٌ، وقـالـوا بخبثٍ: «إنَّـهُ صَنَـمُ»!
لا يعبـدُ النّـاسُ إلا كـلَّ منعـدمٍ مُمـنَّـعٍ، ولـنْ حـابَـاهُـمُ الـعَـدَمُ!
حـتّى الـعَـبَـاقِـرةُ الأفـذاذُ، حُـبُّـهُـمُ يلقى الشقـاءَ وتَلقَى مجـدَهـا الـرِّمَمُ[1]

* * *

الـنّـاسُ لا يُـنْـصِفُـونَ الحـيّ بيـنـهـمُ حتّى إذا مـا تـوارى عـنـهـمُ نَـدِمـوا!
الـويْـل لـلنّـاسِ من أَهْـوائـهـمْ أبـداً يمشي الـزّمـانُ وريـحُ الشَّرِّ تحـتـدمُ..

(٢)
(؟)[1]

[من الطويل]

أرى هَـيْـكَـلَ الأيّـام يـعـلُو، مُـشيّـداً ولا بـدَّ أنْ يـأتي عـلى أُسّـهِ الهَـدْمُ
فـيُـصبِـحُ مـا قـد شيَّـد الله والـورى خـراباً، كـأنَّ الكُـلَّ في أمسـه وَهْمُ![3]
فقل لي: «ما جـدْوَى الحياةِ وكـربِـهـا، وتلكَ التي تَـذْوِي، وتلك التي تنمو؟»[4]
«وفـوْجٍ، تـغـذّيـه الحـيـاةُ لِـبَـانَهَا، وفـوجٍ يُـرى تَحْتَ الـتُّـرابِ لَـهُ رَدْمُ؟»
«وعقـلٍ، من الأضواءِ، في رأسِ نـابغٍ وعقـلٍ، من الـظلماء، يحمله فَـدْمُ؟»[5]
وأفئـدةٍ حَسْرى، تَـذُوبُ كـآبـةً وأفئـدةٍ سكـرى، يـرفُّ هـا الـنَّجْمُ؟
لِتَعْسِ الـوَرى، شـاءَ الإلـه وجـودَهم فكـانَ لَهُمْ جهـلٌ، وكـانَ لَهُمْ فـهـمُ!!

الغاب[6]

[من البسيط]

بيتٌ، بَـنـتْـهُ لِيَ الحـيـاةُ مـن الـشَّـذَى والـظِّلِّ، والأضـواءِ، والأنـغـامِ
بيتٌ، من السِّحـر الجميـلِ، مشَيّـدٌ لـلحـبِّ، والأحـلامِ، والإلهـامِ

---

(١) أفذاذ: جمع فَذّ: فرْد. الرِّمم: جمع الرِّمة: العظم البالي.
(٢) نظمها في ٢٥ ربيع الأول ١٣٥٠ هـ/ ١٠ أوت ـ أغسطس، آب ١٩٣١ م، وهي دون عنوان كذا.
(٣) الورى: الخلْق.
(٤) تذوي: تذبل.
(٥) الفَدْم: الغليظ الأحمق الجافي.
(٦) نظمها في ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٢٣ جويلية ـ تموز ١٩٣٤ م.

في الغابِ سِحْرٌ، رائعٌ متجدِّدُ ... باقٍ على الأيّامِ والأعوامِ
وشذًى كأجنحةِ الملائكِ غامضٌ ... ساءٍ يُرفرف في سُكونٍ سَامِ
وجدوانٌ، تشدو بمعسولِ الغِنا ... وتسيرُ حالمةً، بغيرِ نِظَامِ
ومخارفٌ نَسَجَ الزمانُ بساطَها ... مِنْ يابسِ الأوراقِ والأكمامِ[1]
وحنا عليها الدَّوْحُ، في جبروتِهِ ... بالظلِّ، والأغْصَانِ والأنْسَامِ
في الغاب، في تلك المخارف، والرُّبى، ... وعلى التِّلاعِ الخُضْرِ، والآجامِ[2]
كم من مشاعِرَ حلوةٍ، مجهولةٍ ... سَكْرَى، ومِنْ فِكَرٍ، ومن أوهامِ
غَنَّتْ كأسرابِ الطُّيورِ، ورفرفت ... حولي، وذابتْ كالدُّخانِ، أمامي
ولَكَمْ أصَخْتُ إلى أناشيدِ الأسى ... وتنهُّدِ الآلامِ والأسقامِ[3]
وإلى الرِّياحِ النَّائحاتِ كأنَّها ... في الغابِ تبكي ميِّتَ الأيّامِ
وإلى الشَّبابِ، مغنِّياً، مترنِّماً ... حوْلي بألحانِ الغَرامِ الظَّامي[4]
وَسَمِعْتُ للطيْرِ، المغرِّدِ في الفَضَا ... والسِّنديانِ، الشّامخِ المتسامي
وإلى أناشيدِ الرّعاةِ، مُرِفَّةً ... في الغابِ، شَاديةً كسِرْبِ يَمامِ[5]
وإلى الصَّدى، المُمْراحِ، يهتُفُ راقصاً ... بين الفِجَاجِ الفيحِ والآكامِ[6]
حتَّى غدَا قلبي كنَايٍ، مترعٍ ... تَملٍ من الألحانِ والأنغامِ[7]
فَشَدَوْتُ باللَّحنِ الغريبِ مجنِّحاً ... بكآبةِ الأحلامِ والآلامِ
في الغابِ، دنيا للخيالِ، وللرُّؤى، ... والشِّعرِ، والتفكيرِ، والأحلامِ
لله يومَ مضيتُ أوَّلَ مرَّةٍ ... للغابِ، أرزحُ تحت عبءِ سَقامي[8]
ودخَلتهُ وحدي، وحوْلي موكبٌ ... هَزِجٌ، من الأحلامِ والأهامِ
ومشيتُ تحْتَ ظِلالِه متَهيباً ... كالطِّفلِ، في صَمْتٍ، وفي استسلامِ
أرنو إلى الأدْوَاحِ، في جبروتها ... فإخَالُها عَمَدَ السَّماءِ، أمامي[9]
قد مَسَّها سِحْرُ الحياةِ، فأوْرَقَتْ ... وَتَمَايَلَتْ في جنَّةِ الأحلامِ

(١) المخارف: جمع المخرف: جنى النخل.
(٢) الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
(٣) أصخت: أصغيت. الأسقام: الأمراض.
(٤) الظامىء: العطشان.
(٥) اليمام: الحمام الوحشي.
(٦) الفجاج: جمع الفج: الطريق بين جبلين. فيح جمع فَيحاء: واسعة. آكام: جمع أكمة: تلّة.
(٧) متع: ملآن. ثمل: سكران. والناي: آلة موسيقية.
(٨) أرزح: أسقط إعياءً.
(٩) أرنو: أديم النظر بسكون الطّرف، وانظر متعجباً.

وأُصِيخُ للصّمتِ المفكّرِ، هاتِفاً ... في مِسمعي بغرائبِ الأنغامِ
فإذا أنا في نَشْوَةٍ شعريةٍ ... فيّاضةٍ بالوحيِ والإلهامِ
ومشاعري في يَقظةٍ مسحورةٍ ... .[1]
وَسْنَى كيقظةِ آدَمٍ لَمّا سَرَى ... في جسمه رُوحُ الحياةِ النّامي[2]
وَشَجتْه موسيقى الوجودِ، وعانقتْ ... أحلامَهُ، في رقّةٍ وسَلامِ[3]
ورأى الفراديسَ، الأنيقةَ، تنثني ... في مُتْرَفِ الأزهارِ والأكمامِ[4]
ورأى الملائكَ، كالأشعّةِ في الفَضَا ... تَنْسَابُ سابحةً، بغيرِ نظامِ
وأحسّ رُوحَ الكونِ تخفقُ حولَه ... في الظِّلّ، والأضواءِ، والأنسامِ[5]
والكائناتِ، تحوطُهُ بِحْنَانها ... وبحبِّها، الرَّبِ، العميقِ، الطّامي[6]
حتّى تَمَلأ بالحياةِ كيانَهُ ... وسعى وراءَ مواكبِ الأيّامِ
ولَرُبَّ صُبْحٍ غائمٍ، متحجِّبٍ ... في كلّةٍ من زَعْزَعٍ وغَمامِ[7]
تتنفّسُ الدُّنيا ضَباباً، هائماً ... متدفّعاً في أفقِه المُتَرامي
والرِّيحُ تخفقُ في الفضاءِ، وفي الثّرى ... وعلى الجبالِ الشُّمِّ والآكامِ[8]
بَاكَرْتُ فيه الغابَ موهونَ القُوَى ... متخاذِلَ الخُطُواتِ والأقدامِ[9]
وجلستُ تحتَ السّنديانةِ، واجماً ... أرنو إلى الأُفُقِ الكئيبِ، أَمَامي
فأرى المباني في الضَّبابِ، كأنّها ... فِكَرٌ، بأرضِ الشَّكِّ والإبهامِ
أو عَالَمٌ، ما زال يولَدُ في فضا ... ءِ الكونِ، بين غياهبٍ وسدامِ[10]
وأرى الفِجَاجَ الدّامِسَاتِ، خلالَهُ ... ومشاهدَ الوديانِ والآجامِ[11]
فكأنّها شُعَبُ الجَحيمِ، رهيبةً ... ملفوفةً في غُبْشَةٍ وَظَلامِ[12]

---

(١) كذا النقص في الأصل.
(٢) وسْني: ناعسة.
(٣) شَجته: أطربته.
(٤) الفراديس: جمع الفِردوس: البستان الذي يجمع ما في البساتين.
(٥) الأنسام، يعني: النسائم.
(٦) تحوطه: تحفظه. الطامي: الغامر.
(٧) الزعزع، يعني الريح الزعزع التي تحرّك. والكِلّة: الستر الرقيق.
(٨) الشم: العالية. آكام: جمع أكمة: تلّة.
(٩) موهون القوى: ضعيف.
(١٠) الغياهب: الظلمات. السُّدام: جمع السديم: الغيم الرقيق.
(١١) الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
(١٢) الغُبشة: بقية الليل، أو ظلمة آخره.

صُوَرٌ من الفنِّ المُرَوِّع، أعجزتْ ... وَحْيَ القريضِ وريشةَ الرَّسَّامِ[1]
وَلَكَمْ مَسَاءٍ، حَالمٍ متوشِّحٍ ... بالظِّلِّ، والضَّوءِ الحزين الدَّامي
قدْ سِرْتُ في غابي، كَفِكرٍ، هَائمٍ ... في نَشْوةِ الأحْلامِ والإلهامِ
شِعري، وأفكاري، وكُلُّ مشاعري ... مَنْشُورةٌ للنُّور والأنسامِ
والأفْقُ يزخَرُ بالأشعَّةِ والشَّذَى ... والأرضُ بالأعشابِ والأكمامِ[2]
والغابُ سَاجٍ، والحياةُ مُصِيخةٌ ... والأفْقُ، والشَّفَقُ الجميلُ، أمامي
وعروسُ أحلامي تُداعبُ عُودَهَا ... فيرنّ قلبي بالصّدى وعظامي
روحٌ أنا، مَسْحُورةٌ في عَالمٍ ... فَوْقَ الزَّمانِ الزَّاخِرِ الدَّوّامِ

* * *

في الغابِ، في الغابِ الحبيبِ، وإنَّه ... حَرَمُ الطَّبيعةِ والجمالِ السَّامي
طهُرْتُ في نار الجمالِ مَشَاعري ... ولقيتُ في دنيا الخَيالِ سَلامي
وَنَسِيتُ دنيا النَّاسِ، فَهْيَ سَخَافةٌ ... سَكْرَى من الأوهامِ والآثامِ[3]
وَقَبَسْتُ من عَطْفِ الوجود وحُبِّه ... وجمالِه قبساً، أضاءَ ظلامي[4]
فرأيتُ ألوانَ الحياةِ نضيرةً ... كنضارةِ الزَّهَرِ الجميلِ النَّامي
ووجدتُ سحْرَ الكون أسمى عنصراً ... وأجلَّ من حُزْني وَمِنْ آلامي
فأهَبْتُ ـ مسحورَ المشاعر، حالماً ... نشوانَ ـ بالقلب الكئيب الدّامي:
«المعبدُ الحيُّ المقدّسُ ها هنا ... يَا كَاهِنَ الأحْزانِ والآلامِ»
«فاخلَعْ مُسُوحَ الحزنِ تحتَ ظِلالِهِ ... والبسْ رِدَاءَ الشِّعرِ والأحلامِ»[5]
«وارفعْ صَلاتَكَ للجمالِ، عَميقةً ... مشبوبةً بِحَرَارة الإلهامِ»[6]
«واصدَحْ بألحان الحياة، جميلةً ... كجمال هذا العالَمِ البسَّامِ»[7]
«واخفقْ مع العِطْرِ المرفرفِ في الفضا ... وارقصْ مع الأضواء والأنسامِ»
«ومَعَ الينَابيعِ الطَّليقةِ، والصَّدَى، ... .[8]

---

(١) القريض: الشعر.
(٢) الشذى: قوة ذكاء الرائحة.
(٣) الآثام: جمع الإثم: الذَّنب.
(٤) قبست: أخذت شعلة نار.
(٥) المسوح: جمع المِسح: البلاس والجادة.
(٦) مشبوبة: متوقدة.
(٧) الصداح: رفع الصوت بغناء.
(٨) كذا فراغ في الأصل.

وَذَرَوْتُ أفكاري الحزينةَ للدّجى ... وَنَشَرْتُها لِعَواصِفِ الأيّامِ[1]
وَمَضَيْتُ أشدُو للأشعَّةِ ساخراً ... من صوت أحزاني، وبطش سقامي
وهتفتُ: «يا روحَ الجمالِ تَدَفَّقِي ... كالنَّهرِ في فِكرِي، وفي أحْلامي»
«وتغلغلي كالنُّورِ، في روحي التي ... ذُبِلَتْ مِنَ الأحْزنِ والآلامِ»
«أنتِ الشُّعورُ الحيُّ يَزْخَرُ دافقاً ... كالنَّار، في روح الوجودِ النَّامي»
«وَيَصُوغُ أحلامَ الطَّبيعةِ، فاجعلي ... عُمُري نشيداً ساحرَ الأنغامِ»
«وشذًى يَضُوعُ مع الأشعَّةِ والرُّؤى ... في معبَدِ الحقِّ الجليلِ السَّامي[2]

يا رفيقي[3]

[من الخفيف]

يَا رفيقي! وَأيْنَ أنتَ؟ فَقَدْ ... أعْمَتْ جفوني عَواصِفُ الأيّامِ
ورمتْني بِمَهْمهٍ، قَاتِمٍ، ... قفرٍ، تُغَشّيهِ دَاجِياتُ الغَمَامِ..[4]
خُذْ بِكَفّي، وغنِّني، يا رفيـ ... ـقي، فسبيلُ الحياةِ وَعْرٌ أمامي
كلّما سِرْتُ زلّ بي فِيهِ مَهْوَى، ... تَتَضَاغى به وُحُوشُ الحِمَامِ[5]
شَعْبَتْهُ الدُّهورُ، وانطمسَ النُّـ ... ـورُ، وقامتْ به بَنَاتُ الظَّلامِ
رَاقِصاتٍ، يخلُبْنَ في حلَكِ اللـ ... ـلّيلِ، ويلعبْنَ بالقُلوبِ الدَّوَامِي[6]
غنِّني، فالغِناءُ يَدْرَأُ عَنّـ ... ـنَا السَّاحِرَ الجنَّ...، سَاكِنَ الآجَامِ[7]
قَدْ تَفَكَّرْتُ في الوجودِ، فَأعـ ... ـيانِي، وأدبرتُ آيِساً لِظَلامي[8]
أنْشُدُ الرَّاحَةَ البَعِيدةَ، لكن ... خَابَ ظنِّي وأخطأتْ أحلامي
فَمَعِي في جوانحي أبدَ الدَّ ... هرِ فؤادٌ إلى الحقيقةِ ظامي[9]

---

(١) ذروت: نثرت. الدجى: الظلام.
(٢) يضوع: ينوح.
(٣) نظمها في ٢٧ محرّم ١٣٤٧ هـ/ ١٦ جويلية ـ تموز ١٩٢٨ م.
(٤) المهمة: القفر. داجيات: جمع داجية: مظلمة.
(٥) تتضاغى: تتصايح. الحِمام: قضاء الموت وقدره.
(٦) يخلبن: يسلبن.
(٧) يدرأ: يدفع. الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
(٨) آيس: يائس.
(٩) الجوانح: الجوانب، والأضلاع، والواحد جانحة. ظامي: عطشان.

مَا تراخى الزَّمَانُ إلاَّ وألقى ... في طَوَايَاهُ قَبْضَةً مِنْ ضِرَامِ
تَتَلَظَّى، يدُ الحياةِ وَزَادَتْ ... مُعضلاتُ الدُّهورِ والأعوامِ[1]
أظمأتْ مُهْجَتي الحياةُ، فَهَلْ ... يوماً تُبلُّ الحياةُ بعضَ أوامي؟[2]
يا رفيقي! ما أحسبُ المنبعَ المد ... نشودَ إلا وراءَ ليْلِ الرِّجَامِ[3]
غنِّني، يا أُخَيَّ فالكَوْنُ تَيْهَاءُ، ... بها قد تمزَّقتْ أقْدَامي[4]
غنِّني، عَلَّني أُنِيمُ همومي، ... إنَّني قَدْ مَلَلْتُ مِنْ تَهْيَامي[5]

* * *

يَا رفيقي! أما تفكَّرْتَ في النَّـ ... ـاسِ، وما يحملون مِنَ آلامِ؟
فلقد حزَّ في فؤاديَ ما ... يلْقَوْنَ من صَوْلَةِ الأسى الظَّلَّامِ
فإذا سرَّني من الفجر نُورٌ ... ساءني ما يُسِرُّ قلبُ الظَّلامِ
كَمْ بقلبِ الظَّلامِ مِنْ أنَّةٍ ... تهفو بِغُصَّاتِ صِبْيَةٍ أيتامِ
وَنشيجٍ مُضرَّمٍ من فتاةٍ، ... أبْهَظَتْها قَوَارِعُ الأيَّامِ[6]
ونُوَاحٍ يَفيضُ من قَلْبِ أمٍّ ... فُجِعتْ في وحيدها البَسَّامِ،
فَطَمَ الموتُ طِفْلَها، وَهْوَ نورٌ ... في دجاها، مِنْ قَبْلِ عَهْدِ الفِطامِ
وأنينٍ مِنْ مُعْدَمٍ، ذي سَقَامٍ ... عضَّهُ الدَّهْرُ بالخُطُوبِ الجِسَامِ[7]
ما إخالُ النُّجومَ إلاَّ دموعاً، ... ذَرَفَتْها مَحَاجِرُ الأعوامِ
فَلَقَدْ ضَرَّم الشُّجونَ بنوها، ... فإذا بالشُّجونِ سَيْلٌ طَامِ![8]
وإذا بالحياة في مَلْعَبِ الدَّ ... هْرِ تَدُوس الرُّؤُوسَ بالأقدَامِ
وإذا الكون فِلْذَةٌ مِنْ جَحِيـ ... ـمٍ، تَتَغَذَّى بكلِّ قَلْبٍ دَامِ
وهُمْ في جَحِيمِهِمْ يتناغَوْنَ ... بما في الوجود مِنْ أنْغَامِ!

---

(١) تتلظّى: تتحرّق.
(٢) المهجة: الدم، أو دم القلب، والروح.
(٣) الرِّجام: المرجاس، وما يبنى على البئر. والمرجاس حجر يُشد في حبل فيدلى في البئر، فتُمخض الجثة حتى تثور ثم يُستقى ذلك الماء، فتنقى البئر.
(٤) تيهاء: أرض يُتاه فيها.
(٥) التهيام: التحير.
(٦) النشيج: الغصة في البكاء.
قوارع الأيام يعني نوائب الأيام.
(٧) الخطوب: المصائب، الواحد خطْب. قوله: عضّه الدهر: أي نكبه.
(٨) الشجون: الأحزان. طام: غامر، عال.

عجباً لِلنُّفوسِ، وَهِيَ بَوَاكٍ، عجباً للقلوب، وَهْيَ دَوَامِ
كيف تشدُو وفي محاجرها الدَّمْعُ، وتلهو ما بينَ سُودِ المَوَامِي[1]

* * *

يا رفيقي! لَقَدْ ضَلَلْتُ طريـ ـقي، وَتَخَطَّتْ مَحَجَّتي أقدامي
خُذْ بكفي، فَإِنَّني تَائِهٌ، أعمى، كثيرُ الضَّلالِ والأوْهامِ
وانْفُخِ النَّايَ، فالحياةُ ظَلامٌ مَا لِمُرْتَادِهِ من المَوْلِ حَامِ
مِلءُ آفاقِهِ فَجِيحُ الأفاعي، وَعَجِيجُ الآثامِ والآلامِ[2]
فانْفُخِ النَّايَ، إنَّهُ هِبَةُ الأمْلاكِ للمستعيذِ بالإلْهَامِ
واغْذُذِ السَّيْرَ، فالنَّهارُ بعيدٌ، وَسَبِيلُ الحياةِ جَمُّ الظَّلامِ...[3]

قيود الأحلام[4]

[من الكمال]

وَأَوَدُّ أنْ أحيا بِفِكْرةِ شَاعِرٍ فأرى الوُجودَ يَضِيقُ عَنْ أحلامي
إلَّا إذا قَطَّعتُ أسْبابي مَعَ الدُّ نيا وَعِشْتُ لِوَحْدتي وَظَلامي
في الغابِ، في الجبلِ البعيدِ عن الورى حيثُ الطَّبيعةُ، والجمالُ السَّامي[5]
وَأعيشُ عِيشَةَ زاهدٍ متَنَسِّكٍ ما إنْ تُدَنِّسه الحَياةُ بِذَامِ
هَجَرَ الجَماعةَ للجبال، تَوَرُّعاً عنها وعن بَطْشِ الحياة الدَّامي
تمشي حواليه الحياةُ كأنَّها الحلمُ الجميلُ، خفيفةَ الأقدامِ
وَتَخُرُّ أمواجُ الزَّمان بهَيْبَةٍ قُدْسِيَّةٍ، في يَمِّها المُتَرَامِي
فَأعيشُ في غابي حَياةً، كُلُّهَا للفنِّ للأحلامِ، للإلهامِ
لكِنَّني لا أستطيعُ، فإنَّ لي أُمّاً، يَصُدُّ حَنَانُها أوهامي
وصِغارَ إخوانٍ، يَرَوْنَ سَلامَهُمْ في الكَائِناتِ مُعَلَّقاً بِسَلامي

---

(١) الموامي: جمع المومأة: الفلاة.
(٢) الآثام: جمع الإثم: الذنب.
(٣) الإغذاذ في السير: الإسراع فيه.
(٤) نظمها في ٧ صفر ١٣٥٠ هـ/ ٢٤ جوان - حزيران ١٩٣١ م.
(٥) الورى: الخلق.

فَقَدُوا الأبَ الحاني، فكنتُ لضُعْفِهِمْ كهْفاً يَصُدُّ غَوائلَ الأيّامِ[1]
وَيَقِيهِمُ وَهَجَ الحياة، وَلَفْحَها ويَذود عنهمْ شَرَّةَ الآلامِ[2]
فأنا المكبَّلُ في سَلاسِلَ، حيَّةٍ، ضَحَّيْتُ مِنْ رَأْيي بها أحلامي
وأنا الَّذي سَكَنَ المدنيةَ، مُكْرَهاً ومشى إلى الآتي بِقَلْبٍ دامِ
يُصْغي إلى الدُّنيا السَّخيفةِ راغماً ويعيشُ مثلَ النَّاسِ بالأوهامِ
وأنا الذي يحيا بأرضٍ، قَفْرةٍ مَدْحُوَّةٍ للشَّكِّ والآلامِ...[3]
هَجَمَتْ بيَ الدُّنيا على أهوالها وخِضَمُّها الرَّحْبِ، العميقِ الطَّامي[4]
من غير إنذارٍ فَأُجْمِلَ عُدتي وأخوضَهُ كالسَّابحِ العَوَّامِ
فتحطَّمتْ نفسي على شُطْآنِهِ وتأجَّجتْ في جَوِّه آلامي

* * *

الويلُ في الدُّنيا التي في شَرْعِهَا فأسُ الطَّعام كريشةِ الرَّسّامِ؟

متاعب العظمة[5]

[من الطويل]

إذا صَغُرَتْ نفسُ الفتى كان شوقُهُ صغيراً، فلم يتعبْ، ولم يتجشَّمِ[6]
وَمَنْ كان جبَّارَ المطامِعِ لم يَزَلْ يلاقي في الدُّنيا ضَراوةَ قَشْعَمِ[7]

---

(١) الغوائل: جمع الغائلة: الداهية، والأمر المنكر.
(٢) يذود: يدفع، ويحمي.
(٣) مدحوّة: منبسطة.
(٤) الخِضمّ: البحر. الطامي: العالي.
(٥) نظمها في ٢٣ شعبان ١٣٥٢ هـ/ ١١ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٣ م.
(٦) تجشّم: تكلّف.
(٧) القشعم: الأسد.

قافية النّون

المساء الحزين[1]

[من المتقارب]

أَظَلَّ الوُجُودَ المَساءُ الحزِينُ، وَفِي كفِّهِ مِعْزَفٌ لا يُبِينْ[2]
وفي ثَغْرِهِ بَسَماتُ الشُّجونِ، وفي طَرْفِهِ حَسَراتُ السِّنينْ[3]
وفي صَدْرِهِ لَوعةٌ لا تَقِرُّ، وفي قلبِهِ صَعَقاتُ المَنُونْ
وقبَّلَهُ قُبَلاً صَامِتَاتٍ، كما يَلْثُمُ الموتُ وَرْدَ الغُصُونْ
وأفضى إليه بِوَحْيِ النُّجومِ، وَسِرِّ الظَّلامِ، وَلَحْنِ السُّكونْ
وأوْحى إليْه مَزَامِيرَهُ، فَغَنَّتْ بها في الظَّلامِ الحُزُونْ[4]
وَعَلَّمَهُ كيف تَأْسَى النُّفوسُ، وَيَقْضي يَؤُوساً لديها الحَنينْ
وَأَسْمَعَهُ صَرَخَاتِ القُلُوبِ، وَأَنْهَلَهُ مِنْ سُلافِ الشُّؤُونْ[5]
فأغفى على صَدْرِهِ المطْمَئِنِّ، وَفي رُوحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكِينْ
قَوِيٌّ، غَلُوبٌ، كَسِحْرِ الجُفُونِ، شجيٌّ، لَعُوبٌ، كزهرِ حَزِينْ
ضَحوكٌ، وَقَدْ بلَّلته الدُّمُوعُ، طَرُوبٌ، وقد ظَلَّلَتْهُ الشُّجُونْ
تَعَانِقُه سَكَرَاتُ الهَوى، وتحضُنُهُ شَهَقَاتُ الأنينْ
يُشَابِهُ رُوحَ الشَّبَابِ الجميـ ـلِ إذا ما تألَّق بين الجُفونْ
أَعَادَ لِنَفْسي خَيالاً جميلاً... لقد حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السِّنينْ[6]
فَطَافَتْ بها هَجَسَاتُ الأسى، وَعَادَتْ لها خُطُواتُ الجُنُونْ

---

(١) نظمها في ٢٧ رجب ١٣٤٦ هـ / ٢٠ جانفي ـ كانون الثاني ١٩٢٨ م.
(٢) المِعزف: ما يُعزف عليه من الآلات الموسيقية.
(٣) الشجون: الأحزان.
(٤) الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.
(٥) السلاف: الخمرة، الشؤون: مجاري الدمع إلى العين. أنهله: من النَّهل وهو أول الشرب.
(٦) الصُّروف: النوائب.

أَظَلَّ الفَضَاءَ جَنَاحُ الغُروبِ، فَألقَى عَلَيهِ جَمَالاً كَئِيبْ
وَأَلْبَسَهُ حُلَّةً مِن جَلالٍ، شَجِيٍّ، قَوِيٍّ جَمِيلٍ، غَلُوبْ
فَنَامَتْ عَلَى العُشْبِ تلكَ الزُّهُورُ لمرأى المَسَاءِ الحزينِ الرَّهِيبْ
وَآبَتْ طُيُورُ الفَضَاءِ الجَمِيلِ لأوكارِهَا، فَرِحَاتِ القُلُوبْ[1]
وَقَدْ أَضْمَرَتْ بأغَارِيدِهَا خيالَ السَّمَاءِ الفَسِيحَ الرَّحِيبْ
وَوَلَّى رُعَاةُ السَّوَامِ إلى الحيِّ يُزْجُونَها في صُمَاتِ الغُرُوبْ[2]
فَتَشْغُو، حَنِيناً لِحِمْلانِهَا، وَتَقْطفُ زَهْرَ المُروجِ الخَصِيبْ
وَهُمْ يُنْشِدُون أهازيجَهُمْ بصوتٍ، بهيجٍ، فَرُوحٍ، طَرُوبْ
وَيَسْتَمْنِحُونَ مَزَامِيرَهُم، فتمنحُهُمْ كُلَّ لحنٍ عَجِيبْ
تَطِيرُ بِهِ نَسَمَاتُ الغُروبِ إلى الشَّفَقِ المُسْتَطِيرِ الخَلُوبْ[3]
وتوحي لهم نَظَرَاتُ الصَّبَايا أناشيدَ عَهْدِ الشَّبابِ الرَّطِيبْ
وَأَقْبَلَ كلٌّ إلى أهلِهِ، سوى أَمَلِي، المستطارِ، الغَرِيبْ
فَقَدْ تاه في مَعْسَبَاتِ الحياة، وسُدَّتْ عليه مَنَاحِي الدُّروبْ[4]
وَظَلَّ شَرِيداً، وحيداً، بعيداً، يُغَالِبُ عُنْفَ الحياةِ العَصِيبْ
وقد كَانَ مِنْ قَبْلُ ذَا غِبطةٍ، يُرَفرِفُ حَوْلَ فؤادي الخَصِيبْ

* * *

وَلَمَّا أَظَلَّ المَسَاءُ السَّمَاءَ، وأسْكَرَ بالحُزْنِ روحَ الوُجُودْ
وقفتُ، وساءلتُهُ: «هل يَؤُوبُ لِقَلْبِي رَبِيعُ الحياةِ الشَّرُودْ؟
«فَتَخْفُقُ فيه أَغَانِي الوُرودِ ويخضرُّ فِرْدَوسُ نفسي الخَصِيدْ»؟[5]
«وتختالُ فيه عَرُوسُ الصَّبَاح، وَتَمْرَحُ نَشْوَى بِذاكَ النَّشِيدْ»؟
«وَيَرجعُ لي مِنْ عِراصِ الجَحِيمِ سلامُ الفؤادِ، الجَميلُ العهيدْ»[6]
«فقد كَبَّلَتْهُ بناتُ الظَّلامِ، وألقَيْنَهُ في ظلامِ اللُّحُودْ»؟
فَأَصْغَى إلى لَهْفِي المستمرِّ، وَخَاطَبَنِي مِنْ مكانٍ بعيدْ:

---

(١) آبت: رجعت.
(٢) السوام: الماشية التي ترسل لترعى. يُزجونها: يسوقونها.
(٣) الخلوب: الذي يخلب أي: يسلب.
(٤) قوله: معسبات الحياة يعني مصاعبها. والعسبة: الشق في الجبل.
(٥) الفردوس: البستان، فيه من كل البساتين.
(٦) العِراص: جمع العرصة: البقعة بين الدور الواسعة ليس فيها بناء. العهيد: قديم العهد.

«تَعُودُ أذْكاراتُ ذاك الهوَى، ولكنّ سِحْرَ الهَوَى لا يَعودْ»[1]
فَجَاشتْ بنفسي مآسي الحياة، وسخطُ القُنُوطِ القويُّ المُريدْ[2]
ولَمّا طَغَتْ عَصَفَاتُ القُنُوط فمادتْ بكلِّ مَكِينٍ، عَتيدْ[3]
أهَبْتُ بقلبي، الهلوع، الجزوعِ، وَكان مِنْ قَبْلُ جَلْداً، شَدِيدْ:
«تجلّدْ، ولا تَسْتَكِنْ لليالي، فما فازَ إلا الصُّبورُ، الجَليدْ»
«ولا تَأْسَ مِنْ حَادثاتِ الدُّهورِ، فَخَلْفَ الدَّياجيرِ فَجْرٌ جَديدْ»[4]
«ولولا غيومُ الشتاءِ الغِضَابُ لما نضَّدَ الرَّوضُ تلك الوُرُودْ»[5]
«ولولا ظلامُ الحياةِ العَبُوسُ لَمَا نَسَجَ الصُّبْحُ تِلْكَ البُرُودْ»[6]

الذّكرى[7]

[من مجزوء الكامل]

كنّا كَزَوْجَيْ طَائرٍ، في دوْحَةِ الحُبِّ الأمينْ[8]
نَتْلُو أناشيدَ المنى بين الخَمائل والغُصُونْ[9]
مُتَغَرِّدَيْن مع البَلابِلِ في السُّهول وفي الحزون[10]
مَلأ الهوى كأسَ الحيا ة لنا، وَشَعْشَعَها الفُتونْ[11]
حتّى إذا كِدْنا نُرشَّفُ خَمْرَهَا، غَضِبَ المَنُونْ[12]
فَتَخَطّفَ الكأسَ الخلو بَ، وحطّم الجامَ الثّمِينْ[13]

---

(١) اذكارات: ذكريات.
(٢) القنوط: اليأس.
(٣) ماد: اضطرب. العتيد: الحاضر المهيّأ.
(٤) الدياجير: جمع الديجور: الظلام. لا تأس: لا تحزن.
(٥) نضّد: ضم بعضه إلى بعض.
(٦) البُرود: جمع البُرد: ضرب من الثياب.
(٧) نظمها في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٩٢٧ م.
(٨) الدوحة: الشجرة العظيمة.
(٩) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف.
(١٠) الحزون: جمع الحَزْن: الأرض الغليظة.
(١١) شعشع: فرّق.
(١٢) المنون: الموت.
(١٣) الجام: إناء من فضّة. الخلوب: السّلُوب.

وأراق خَمْرَ الحُبِّ في ... وادي الكآبةِ والأنينْ
وأهابَ بالحُبِّ الوديـ ... ـعِ، فَوَدَّعَ العُشَّ الأمينْ
وَشَدا بِلَحْنِ الموتِ في ... الأُفُقِ الحَزينِ المُسْتَكينْ
ثُمَّ اختفى خَلْفَ الغُيومِ، ... كأنَّه الطَّيفُ الحَزِينْ... [1]

* * *

يا أيُّها القلبُ الشَّجـ ... ـيُّ! إلامَ تُخْرِسُكَ الشُّجونْ [2]
رُحْماكَ قَدْ عَذَّبْتَني ... بالصَّمتِ والدَّمْعِ الهَتُونْ [3]
مَاتَ الحَبيبُ، وَكُلُّ مـ ... ـا قد كُنْتَ ترجُو أن يكونْ
فَاصْبِرْ على سُخْطِ الزَّمـ ... ـانِ، وما تُصَرِّفُهُ الشُّؤونْ
فَلَسَوْفَ يُنْقِذُكَ المَنُونُ، ... وَيَفْرَحُ الرّوحُ السجينْ...

* * *

وَرْدُ الحياةِ مُرَنَّقٌ، ... والمَوْتُ مَوْرِدُهُ مَعينْ [4]
وَلَرُبَّما شَاقَ الرّدى الدّا ... جي، وأعماقُ المنونْ
قَلْباً، تُرَوِّعُهُ الحياةُ، ... ولا تُهادِنُهُ السُّنُونْ
وَمَشاعِراً حسْرَى، يسيرُ ... بها القُنُوطُ إلى الجُنونْ [5]

الصبّاح الجديد [6]

[من مجزوء الخفيف]

أسْكُني يا جِرَاحْ ... واسكُتي يَا شُجُونْ
مَاتَ عَهْدُ النُّوَاحْ ... وَزَمَانُ الجُنُونْ
وَأَطَلَّ الصَّبَاحْ ... مِنْ وراءِ القُرُونْ

* * *

(١) الطّيف: الخيال الطائف في المنام.
(٢) الشجون: الأحزان.
(٣) الهتون: الذي يسيل بغزارة.
(٤) مُرنَّق: مكدَّر.
(٥) القنوط: اليأس.
(٦) نظمها في ١٣ ذي الحجة ١٣٥١ هـ/ ٩ أفريل - نيسان ١٩٣٣ م.

في فِجاجِ الرّدى قد دفنتُ الألَمْ[1]
ونثرتُ الدُّمُوعْ لِرِيَاحِ العَدَمْ
واتَّخذتُ الحَياةْ مِعزَفاً للنَّغَمْ
أتغنَّى عليهْ في رِحَابِ الزَّمَانْ
وأذبتُ الأسَى في جمال الوُجودْ
وَدَحَوْتُ الفؤادْ واحةً للنَّشِيدْ[2]
والضِّيا والظِّلالْ والشَّذَى والوُرودْ
والهوى والشَّبابْ والمنى والحَنَانْ

* * *

اسكُني يا جراحْ واسكُتي يا شُجونْ
مات عهدُ النواحْ وزَمانُ الجنونْ
وَأطَلَّ الصَّبَاحْ مِنْ وراءِ القُرونْ

* * *

في فؤادي الرحيبْ مَعْبَدٌ للجَمَالْ
شيَّدتْه الحياةْ بالرُّؤَى، والخَيَالْ
فَتَلَوْتُ الصَّلاة في خشوعِ الظِّلالْ...
وَحَرَقْتُ البُخُورْ... وأضأتُ الشُّموعْ...

* * *

إن سِحْرَ الحياةْ خَالِدٌ لا يزولْ
فَعَلامَ الشَّكَاةْ مِنْ ظَلامٍ يَحُولْ[3]
ثمّ يأتي الصَّباح وَتَمُرُّ الفُصولْ...؟
سوف يأتي رَبِيعْ إن تَقضَّى رَبِيعْ
اُسكُني يا جراحْ واسكُتي يا شُجونْ
مَاتَ عهدُ النّواحْ وَزَمَانُ الجنونْ
وأطلَّ الصَّباحْ مِنْ وراءِ القُرُونْ

---

(١) الردى: الهلاك. الفِجاج: جمع الفج: الشق بين الجبلين.
(٢) دحوت: بسطتُ. الواحة: أي: الساحة.
(٣) الشكاة: الشكوى. يحول: يتحول ويتغير.

مـن وراءِ الـظَّلامْ وهـديـرِ المـيـاهْ
قـد دعـاني الـصَّبـاحْ وَرَبـيـعُ الحَيَـاه
يـا لـهُ مِـنْ دُعـاءْ هـزّ قـلبـي صَـداهْ
لَمْ يَـعُـدْ لي بـقَـاءْ فـوق هـذه الـبـقـاعْ

* * *

أَلْـوَداعَ! الـوَداعْ يـا جِـبَـالَ الهُـمـومْ
يـا ضَـبـابَ الأسى! يـا فِـجَـاجَ الجـحـيـمْ[1]
قـد جـرى زوْرَقِـي في الخِـضَـمِّ الـعَـظـيـمْ..[2]
ونـشـرتُ الـقِـلاعْ... فـالـوَداعَ! الـوَداعْ

تحت الغصون[3]

[من الخفيف]

هَهُنـا في خـمـائـل الغـابِ، تَحْتَ الـزَّا نِ والـسِّـنـديـان، والـزّيـتـونِ[4]
أنـتِ أشـهـى مـن الحـيـاةِ وأبْهـى مـن جـمـالِ الـطَّبـيـعـةِ المـيـمـونِ
مـا أرقّ الشبـابَ، في جِسْمِـكِ الغضِّ وفي جـيـدكِ الـبَـديـعِ، الـثَّـمـينِ![5]
وأدقّ الجـمـالَ في طـرفِـك السَّـاهي، وفي ثـغـرِكَ الجـمـيـلِ، الحَـزيـن!
وألـذَّ الحـيـاةَ حـينَ تـغـنّـيـ ـن فَـأُصْـغِي لـصـوتِـكِ المحـزُون
وأرى روحـكِ الجـمـيـلة عِـطراً ضـايـعـاً في حـلاوة الـتَّـلحـين![6]
قَـدْ تَـغَـنَّـيْـتِ مـنـذُ حـينٍ بـصـوتٍ نـاعـمٍ، حـالمٍ، شـجـيٍّ حـنـونِ
نـغـمـاً كـالحـيـاة عـذبـاً عـمـيـقـاً في حَـنَـانٍ، ورقّـةٍ، وحـنـينِ
فـإذا الـكـون قِـطعـةٌ مـن نـشـيـدٍ عـلـويٍّ، مـنـغّـمٍ، مـوزونِ
فَـلِمَـنْ كـنتِ تُـنـشـدين؟ فـقـالـتْ: «لـلـضـيـاءِ الـبَـنـفـسجيِّ الحـزيـنِ»
«لـلـضّـبـاب المـورّد، المـتـلاشي كـخـيـالاتِ حَـالمٍ، مـفـتـونِ
«لـلـمـسـاءِ المـطلِّ لـلـشَّـفَـقِ الـسّـا جي لِسِحْـرِ الأسى، وَسِحـرِ السُّكـونِ»

---

(١) الفجاج: جمع الفج: الشق بين الجبلين.
(٢) الخِضَم: البحر.
(٣) نظمها في جمادي الثانية ١٣٥٢ هـ/ ٢١ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣٣ م.
(٤) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف. الزان، والسنديان والزيتون: ضروب من الشجر.
(٥) الجيد: العنق.
(٦) ضايع: منتشر.

«للعبير الذي يرفرف في الأفـ ـقِ ويفنى، مثلَ المنى، في سكونِ»
للأغاني التي ردَّدها الرّا عي بمزماره الصَّغير، الأمينِ
«للرَّبيعِ الذي يؤجِّج في الدُّ نيا حَيَاةَ الهوى، وروحَ الحنينِ
«ويوشِّي الوُجودَ بالسِّحْرِ، والأحلا مِ والزَّهْرِ، والشَّذى، واللُّحونِ[1]
«للحياةِ التي تغنِّي حوالَيَّ! على السَّهْلِ، والرُّبى والحُزُونِ»[2]
«للينابيعِ، للعَصَافيرِ، للظِّلِّ لهذا الثَّرى، لتلكَ الغُصونِ»
«للنَّسيمِ الذي يضمِّخُ أحلا مي بِعِطْرِ الأقَاحِ والليمونِ[3]
«للجَمال الذي يفيض على الدُّ نيا لأشواقِ قلبيَ المشجونِ»
«للزَّمانِ الذي يوشِّح أيّا مي بِضَوءِ المنى وظلِّ الشُّجونِ
«للشَّباب السَّكْرانِ، للأمَلِ المعـ ـبود، لليأسِ، للأسى، للمَنُونِ»[4]

* * *

فَتَنهدْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: «وقلبي مَنْ يغنّيه؟ مَنْ يُبيدُ شُجوني؟
قالت: «الحبُّ» ثُمَّ غنّتْ لقلبي قُبَلاً عبقريّة التَّلحينِ
قُبَلاً، علّمتْ فؤادي الأغاني، وأنارتْ لهُ ظَلامَ السِّنينِ
قُبَلاً، ترقُصُ السَّعادةُ، والحبُّ على لَحْنِها العميقِ الرَّصينِ

* * *

..وأفَقْنا، فقلتُ كالحالمِ المسـ ـحورِ: قولي، تَكَلَّمي، خَبِّريني
«أيُّ دنيا مسحورةٍ، أيُّ رؤيا طالَعَتْني في ضوء هذي العُيونِ:»
«زُمَرٌ من ملائكِ الملأ الأعـ ـلى «يُغنّونَ في حُنُوٍّ حَنُونِ»
«وصبايا رواقصٌ، يتراشقْـ ـنَ بزهرِ التُّفّاحِ واليَاسَمينِ»
«في فضاءٍ، موَرَّدٍ حَالِمٍ سَا ءٍ أطافتْ به عذارى الفُنونِ»[5]
«وجحيمٍ تَوَّجُّجُ تَحْتَ فرادِيـ ـسَ كأحلامِ شاعرٍ مجنونِ»[6]

---

(١) يوشّي: يلوّن. الشذى: قوة ذكاء الرائحة.
(٢) الربى: جمع الرابية: التلّة. الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.
(٣) يضمّخ: يلطّخ بالطيب. الأقاحي: من النباتات البرية ذات زهر أحمر.
(٤) المنون: الموت.
(٥) أطافت: أحاطت.
(٦) تؤجج: تتأجج أي تتوهج. الفراديس: جمع الفردوس: البستان ـ يجمع كل ما يكون في البساتين.

«أيُّ خمرٍ مؤجَّجٍ ولهيبٍ مُسكرٍ؟ أيُّ نشوةٍ، وجنونِ؟»
«أي خمرٍ رشفتُ، بل أيُّ نارٍ في شفاهٍ، بديعةِ التكوينِ»
«ورَّدتْها الحياةُ في لَهَبِ السَّحـ ـرِ، ونُور الهوى، وَظلِّ الهوى، وَظلِّ الشُّجونِ»
«أيُّ إثمٍ مقدّسٍ، قد لبسنا بُرْدَهُ في مسائنا المسمومِ؟»[1]
فَبَدَا طيفُ بسمةٍ، ساحِرٍ، عَذْ ـبٍ، على ثَغرِها، قَويُّ الفُتونِ
وأجابتْ - وكلُّها فتنةٌ تُغ ـوي، وتُغري بالحبِّ، بلْ بالجنونِ :
أبداً! أنتَ حالمٌ، فاسألِ اللَّيـ ـلَ، فعند الظَّلامِ عِلْمُ اليقينِ..»
وسكتنا، وَغَرَّدَ الحبُّ في الغا بِ، فأصغى حتَّى حفيفُ الغُصونِ
وبنى اللَّيلُ والرَّبيعُ حوالي نا من السِّحرِ والرُّؤَى والسُّكونِ
معبداً للجمالِ، والحبُّ شِعريًّا، مَشِيداً على فِجاج السنينِ[2]
تَحْتَهُ يزخرُ الزَّمانُ، ويجري صَامتاً، في مَسيله المحزونِ
وتمرُّ الأيَّامُ، والحُزْنُ، والمو تُ، بعيداً عن ظلِّه المأمونِ
معبداً، ساحراً، مباخرُهُ الزَّهـ ـرُ، على الصخرِ، والثَّرى، والغُصونِ
كلُّ زهرٍ يَضُوعُ منه أريجٌ من بخُورِ الرَّبيعِ، جَمُّ الفُتونِ
ونجومُ السَّماءِ فيه شموعٌ أوْقَدَتْها للحُبِّ روحُ القُرونِ
ومضتْ نسْمةٌ تُوَسْوِسُ للغا بِ، وتشدُو في عمق ذَاكَ السُّكونِ[3]
وطَغَى السِّحرُ، والغرامُ بقلبي فتوسَّلْتُ ضارعاً بجفوني:
«طهِّري يا شقيقةَ الرُّوحِ ثغْري بلهيبِ الحياةِ، بَلْ قبِّليني»
«إنَّ نارَ الحياةِ والكوثرَ المنـ ـشودَ، في ثغرِكِ الشهيِّ، الحزين»[4]
«فهو كأسٌ سِحْريَّةٌ، لرحيقِ الـ ـخُلْدِ قد صاغها إلهُ الفنونِ»
«قبِّليني، وَأسْكِري ثغريَ الصَّا دي وقلبي، وفِتنتي، وجنوني»[5]
علَّني أستطيعُ أنْ أتغنَّى لجمال الدُّجى بوحيِ العُيونِ»
«آه ما أجملَ الظَّلامَ! وأقوى وحيَهُ في فؤادي المفتونِ!»
«انظري اللَّيلَ فهو حلَّة الأحـ ـلامِ يمشي على الذُّرى والحُزُونِ»[6]

---

(١) الإثم: الذَّنب. البُرد: ضرب من الثياب المخططة.
(٢) الفِجاج: جمع الفج: الشق بين جبلين.
(٣) توسوس من الوسوسة: حديث النفس بما لا خير فيه.
(٤) الكوثر: النهر، ونهر في الجنة.
(٥) الصادي: الشديد العطش.
(٦) الذُّرى: جمع الذروة: القمَّة. الحزون: جمع الحزْن: الأرض الغليظة.

«واسمعي الغابَ، فهو قيثارةُ الكو ... نِ تغني لحبّنا الميمونِ»[1]
إن سِحْرَ الضَّباب، واللّيلِ، والغا ... بِ بعيدُ المدى، قويُّ الفُتونِ
«وجمالَ الظّلامِ يعبقُ بالأحـ ... ـلامِ والحُبِّ.. فَابْسِمِي، والْثُمِني»[2]
....
آهِ! ما أعذَبَ الغرامَ! وأحلـ ... ـى رنّةَ اللّثْمِ في خُشوعِ السُّكونِ!

* * *

.وَسَكِرْنا هناك.. في عالم الأحـ ... ـلامِ تحت السّماءِ، تحتَ الغصونِ..
وتوارى الوجودُ عنّا بما فيـ ... ـه.. وغبنا في عالمٍ مفتونِ..
ونسينا الحياةُ، والموتَ، والسُّكو ... نَ وما فيه من مُنًى وَمَنُونِ[3]

كَهرباءُ الغرام[4]

[الخفيف]

كهرباءُ الغرام في الأعينِ النُّجلِ ... وتيّارها بسِلك الجفونْ[5]
يرسل اللحظ للقلوب كنُور ... فإذا مَسَّها فنارُ المنون[6]
فإذا ما انجلى نِقابُ الأماني ... صار حبًّا، مَدَلُهاً، ذا فُتون[7]
يقرع السِّن حُرقةً وابتهالاً ... ويصير الحبورُ ليلَ شجون[8]

---

(١) القيثارة: من الآلات الموسيقية.
(٢) اللثم: التقبيل.
(٣) المنون: الموت.
(٤) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».
(٥) الأعين النجل: الواسعة.
(٦) المنون: الموت.
(٧) النِّقاب: الغطاء.
(٨) الحبور: الفرح. الشجون: الحزن.

أغنية الشَّاعر[1]

[من البسيط]

يـا ربَّـةَ الشِّـعـرِ والأحـلام، غـنِّـيـني ... فَقَـدْ سَئمتُ وُجُومَ الكـونِ، مِنْ حِـينِ
إن الـلَّيـالي الـلَّواتي ضـمَّـخـتْ كَـبِـدِي ... بـالسِّحْـر أضْحتْ مـع الأيَّـامِ تـرمِيني
نَـاختْ بنفسي مآسيهـا، وَمَـا وَجَـدَتْ ... قـلبـاً عَـطوفـاً يُـسَـلِّيهـا، فَـعـزِّيـني
وَهَـدَّ مِـنْ خَـلَدِي نَـوْحٌ، تُـرَجِّـعُـه ... بَـلْوَى الحيـاةِ، وأحـزانُ المَسَـاكِـينِ[2]
عـلى الحيـاة أنـا أبكي لِـشِـقْـوَتِهـا ... فَـمَـنْ إذا مُـتُّ يـبكـيهـا ويـبكـيـني؟
يَا رَبَّةَ الشِّعـرِ، غنِّيني، فقد ضَجِـرَتْ ... نـفسي مِنَ الـنَّـاسِ أبنـاءِ الشَّيـاطـينِ
تَبَـرَّمَـتْ بَـيْـنِيَ الـدُّنـيـا، وَأعـوزَهَـا ... في مِعـزفِ الـدَّهـرِ غـرِّيـدُ الأرانـين[3]
وَرَاحـةُ الـلَّيـلِ مـلأى مِنْ مَـدَامِـعِـهِ ... وَغَـادَةُ الحُـبِّ ثـكـلى، لا تـغـنِّـيـني[4]
فهـل إذا لُـذْتُ بـالـظَّلماءِ، مُنْتَحِباً ... أسلو؟ ومـا نَفْـعُ مَحْـزُونٍ لمحـزونِ؟[5]
يـا ربَّـةَ الـشِّـعـرِ إنِّي بـائسٌ تَـعِسٌ ... عَـدِمْـتُ مـا أرتجي في الـعـالَمِ الـدُّونِ
وفي يـديـكِ مـزامـيرٌ يُخَـالِجُـهـا ... وَحْـيُ الـسَّـمـاءِ، فـهـاتـيهـا، وغـنِّـيـني
ورتِّـلي حـولَ بـيتِ الحُـزْنِ أغْـنِـيَـةً ... تجلُو عن النَّفسِ أحـوانَ الأحـابـينِ[6]
فـإنَّ قـلبـيَ قـبرٌ، مُـظْلِمٌ، قُـبِـرتْ ... فـيـه الأمـانِي، فـمـا عـادتْ تنـاغـيني
لـولاكَ في هـذه الـدُّنـيـا لَمَـا لَمَسَـتْ ... أوتـارَ رُوحِـيَ أصْـواتُ الأفَـانـينِ
ولا تـغنَّيْتُ مـأخـوذاً.. ولا عـذُبـتْ ... لِيَ الحـيـاةُ لـدى غَصِّ الـرِّيـاحـينِ
ولا ازدهـى الـنَّفْسَ في أشْـجَـانها شَـفَـقٌ ... يُـلوِّنُ الـغـيْـم هـواً أيَّ تـلويـن
ولا اسـتَخَـفَّ حـيـاتي، وَهْـيَ هـائمـةٌ ... فجرُ الهوى في جفون الخُرَّد العين[7]

---

(١) نظمها في ١٦ رمضان ١٣٤٦ هـ/ ٨ مارس ـ آذار ١٩٢٨ م.
(٢) الخَلد: البال والنَّفس والقلب.
(٣) الأرانين: يعني الأصوات.
(٤) الثكلى: التي فقدت.
(٥) لُذت: التجأت. منتحب، من النحيب: شدة البكاء.
(٦) أحايين: جمع الجمع من أحيان أي أوقات.
(٧) الخُرَّد: جمع الخريدة: الخفرة الطويلة السكوت، أو البكر التي لم تُمس.

الإعتراف [1]

[من البسيط]

ما كنتُ أحْسَبُ بعدَ موتكَ يا أبي ... ـ ومشاعري عمياءُ بالأحزانِ
أنّي سأظمأُ للحياةِ، وأحتسي ... مِنْ نَهْرِها المتوهِّجِ النَّشوانِ
وأعودُ للدُّنيا بقلبٍ خافقٍ ... للحبِّ، والأفراحِ، والألحانِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُوَرِ المنى ... وغرائبِ الأهواءِ والأشْجانِ [2]
تَحرَّكَتْ السُّنونَ، وأقبلتْ ... فِتَنُ الحياةِ بحُرِها الفتَّانِ
فإذا أنا ما زلت طفلاً، مُولَعاً ... بتعقُّبِ الأضْواءِ والألوانِ [3]
وإذا التَّشاؤُمُ بالحياةِ ورفضُها ... ضَرْبٌ من البُهْتَانِ والهَذَيانِ [4]
إنَّ ابنَ آدمَ في قرارةِ نفسِهِ ... عبدُ الحياةِ الصَّادقُ الإيمانِ

الحياة [5]

[من الخفيف]

إنَّ هٰذِي الحَيَاةَ قِيثارَةُ الله، ... وَأَهْلُ الحَيَاةِ مِثْلُ اللُّحُونِ [6]
نَغَمٌ يَسْتَبِي المَشَاعِرَ كَالسِّحْرِ، ... وَصَوْتٌ يُخِلُّ بالتَّلْحِينِ [7]
وَاللَّيَالِي مَغَاوِرٌ، تُلْحِدُ اللَّحْـ ... ـنَ وَتَقْضِي عَلَى الصَّدَى المِسْكِينِ [8]

---

(١) نظمها في ٣ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ/ ١٧ فيفري ـ شباط ١٩٣٤ م.
(٢) الأشجان: الأحزان، الواحد شَجَن.
(٣) التعقّب: التتبع.
(٤) البهتان: الكذب. الهَذَيان: الكلام لا معنى له.
(٥) نظمها في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ/ ٢١ ديسمبر ـ كانون الأول ١٩٢٥ م. وهي مما نشره الأستاذ السنوسي.
(٦) القيثارة: من الآلات الموسيقية. اللحون: الألحان والأنغام.
(٧) يستبي: يستلب.
(٨) المغاور: جمع المغارة: الكهف. الصَّدى: ما يسمعه المصوّت في المغارة أو في الوادي.

قافية الهاء

أنا أبكيك للحبّ[1]

[من مجزوء الرمل]

لَسْتُ يا أُمْسِيَ أبكيـ ـكَ لِمَجدٍ أو جاهْ
فَسَلَبْتَهُ مِنِّي الدُّنيا، وبزَّتْني رداهْ[2]
فأنا أحتقرُ المجـ ـدَ وأوهامَ الحياهْ

* * *

أو لِعُمْرٍ، بَلَغَتْ مَنْـ ـهُ اللَّيالي مُنْتهاهْ
وتَلاشتْ في خِضَمِّ الْـ ـزَمَنِ الطَّاغي قواهْ[3]
فأنا ما زلتُ في فَجْـ ـرِ شَبابي أو ضُحاهْ
لا، ولا أبْكيكَ يا أمْـ ـي، إذا ما قلتُ: آهْ
لِنَعيمٍ، لم يَنَلْ قلـ ـبي منهُ مُشْتهاهْ
فبِنُو الأيّام في الدُّ نيا كما شاءَ الإلهْ

* * *

إنّما أبكيك للحبِّ، الذي كان بَهاهْ
يملأ الدُّنيا فأنّى سِرْتُ في الدُّنيا أراهْ
فإذا ما لاحَ فجْرٌ، كان في الفَجْرِ سَنَاهْ[4]
وإذا غرّد طَيْرٌ، كان في الشَّدْوِ صَدَاهْ

---

(١) نظمها في ٨ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ٢١ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣١ م.
(٢) بزّتني: غلبتني وسلبتني. الرداء: الثوب.
(٣) الخضم: البحر. تلاشت: توارت.
(٤) السنا: الضوء.

وإذا ما ضَاعَ عِطْرٌ، كان في العِطْر شَذَاهْ
وإذا ما رفّ زهرٌ، كان في الزّهر صِبَاهْ
فهْو في الكونِ جمالٌ، يَملأ الأفْقَ ضِياه
وَتُوَشّي هذه الأكـ ـوانَ بالسِّحر رُؤاهْ
وهْو في قلبي - الذي عانَقَهُ الفَجْرُ - إلَهْ!
عَبْقريُّ السِّحرِ، مما حُ وديعٌ في سَمَاهْ[1]
يَنْسجُ الأحلامَ في قلـ ـبي بأضواءِ الحَيَاهْ
ويُغنّيني، فأنسَـ ـى في معسَرّاتِ غِناهْ
كُلَّ ما في الكونِ مِنْ حُزنٍ وأفراحٍ، عَدَاهْ

يا ابن أمّي[2]

[من المتقارب]

خُلقتَ طَليقاً كَطَيْفِ النَّسيمِ، وَحُرًّا كَنُورِ الضُّحى في سَماهْ[3]
تُغرِّد كالطّيرِ أيْنَ اندفعتَ، وتشدو بما شاءَ وَحْيُ الإلهْ
وَتَمْرَحُ بين وُرودِ الصَّباحِ، وتنعَمُ بالنُّورِ، أنّى تَراهْ
وَتَمْشي - كما شِئْتَ - بينَ المُروجِ، وَتَقْطُفُ وَرْدَ الرُّبى في رُباهْ
كذا صَاغَكَ الله، يا ابنَ الوجودِ، وألقَتْكَ في الكونِ هَذِي الحياهْ
فما لَكَ ترضَى بذلِّ القُيودِ، وتَحني لِمَنْ كبَّلوك الجِبَاهْ؟
وتُسْكتُ في النَّفْسِ صوتَ الحياةِ القويَّ إذا ما تغنَى صَدَاهْ؟
وتُطْبِقُ أجفانَكَ النِّيراتِ عَنِ الفَجْرِ، والفجرُ عَذْبٌ ضِيَاهْ
وتَقْنَعُ بالعيشِ بَيْنَ الكهوفِ، فَأيْنَ النَّشيدُ؟ وأينَ الإيَاهْ؟[4]
أتخشى نشيدَ السَّماءِ الجميلَ؟ أتَرْهَبُ نورَ الفَضَا في ضُحَاهْ؟
ألا انهضْ وَسِرْ في سبيلِ الحياةِ، فَمَنْ نَامَ لم تَنْتَظِرْهُ الحَياهْ؟
ولا تَخْشَ مما وراءَ التلاعِ.. فما ثَمَّ إلا الضُّحى في صِبَاهْ...

---

(١) فرس سمراح: نشيط.
(٢) نظمها في ١٠ رمضان ١٣٤٧ هـ / ٢٠ فبفري - شباط ١٩٢٩ م.
(٣) الطيف: الخيال الطائف في المنام.
(٤) الإياة، يعني: الشعاع.

وإلاّ ربيعُ الوجودِ الغريرُ، يطرِّزُ بالوردِ ضافي رِداهْ...[1]
وإلاّ أريجُ الزُّهورِ الصِّباحِ، ورقصُ الأشعَّةِ بين المياهْ...
وإلا حَمَامُ المروجِ الأنيقُ، يغرِّدُ منطلقاً في غِنَاهْ...
إلى النُّورِ! فالنُّورِ عذْبٌ جميلٌ، إلى النُّورِ فالنُّورُ ظِلُّ الإلهْ

إلى طغاة العالم[2]

[من المتقارب]

ألا أيّها الظَّالمُ المستبدُّ حَبيبُ الظَّلامِ، عَدوُّ الحياهْ
سَخِرْتَ بأنّاتِ شَعْبٍ ضَعيفٍ وَكَفُّكَ مخضوبَةٌ من دماهْ[3]
وَسِرْتَ تُشَوِّهُ سِحْرَ الوجودِ وَتَبْذُرُ شوكَ الأسى في رُباه
رُوَيْدَكَ! لا يخدعْنكَ الربيعُ وصحوُ الفضاءِ، وضوءُ الصباحْ
ففي الأفُقِ الرَّحْبِ هولُ الظَّلامِ وقصفُ الرُّعودِ، وعَصْفُ الرِّياحْ
حَذارِ! فَتَحْتَ الرَّمادِ اللهيبُ وَمن يَبْذرِ الشَّوكَ يَجْنِ الجراحْ
تأملْ! هنالِكَ.. أنّ حَصَدْتَ رؤوسَ الورى، وزهورَ الأملْ[4]
وَرَوَّيْتَ بالدَّمِ قَلْبَ التُّرابِ وأشْربتَه الدَّمعَ، حتّى ثَمِلْ[5]
سيجرُفُكَ السَّيْلُ، سَيْلُ الدِّماءِ ويأكلُكَ العَاصِفُ المشتَعِلْ

تونسُ الجميلة[6]

[من الخفيف]

لَسْتُ أبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَويلٍ، أوْ لِرَبعٍ غَدَا العَفَاءُ مَرَاحَهْ[7]

---

(١) الغرير من العيش: ما لا يفزّع أهله، والغرير: الشاب لا تجربة له. ويريد ههنا الحُسن.
(٢) نظمها في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٢ هـ/ ٨ أفريل - نيسان ١٩٣٤ م.
(٣) مخضوبة: مصطبغة.
(٤) الورى: الخلْق.
(٥) ثَمِل: سكر.
(٦) نظمها في ١٠ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ/ ٢ جوان - حزيران ١٩٢٥ م.
(٧) العسف بالليل: الخبط على غير هدى، والاعتساف يبغي طلبة. المراح: ثلاث شِعاب ينظر بعضها إلى
(٨) بعض. العفاء: الزوال.

إنَّما عَبْرَتي لِخَطْبٍ ثَقِيلٍ، قَدْ عَرَانا، وَلَمْ نَجِدْ مَنْ أزاحَهْ[1]
كُلَّما قَامَ في البِلادِ خَطِيبٌ مُوقِظٌ شَعْبَهُ يُرِيدُ صَلاَحَهْ
أَلْبَسُوا رُوحَهُ قَمِيصَ اضْطِهَادٍ فَاتِكٍ شَائِكٍ يَرُدُّ جِمَاحَهْ[2]
أَخْمَدُوا صَوْتَهُ الإلهِيَّ بالعَسْفِ، أَمَاتُوا صُدَاحَهُ وَنُوَاحَهْ[3]
وَتَوَخَّوْا طَرَائِقَ العَسْفِ والإرْ هَاقِ نَوًّا، وَمَا تَوَخَّوْا سَمَاحَهْ[4]
هَكَذا المُخْلِصُونَ في كُلِّ صَوْبٍ رَشَقَاتُ الرَّدَى إليهم مُتَاحَهْ[5]
غَيْرَ أَنَّا تَنَاوَبْتنَا الرَّزَايَا وَاسْتَبَاحَتْ جِمَانَا أيَّ استِبَاحَهْ[6]
أَنَا يَا تُونُسَ الجَمِيلَةَ في لُجِّ الهَوى قَدْ سَبَحْتُ أيَّ سِبَاحَهْ[7]
شِرْعَتي حُبُّكِ العَمِيقُ وإنِّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَاحَهْ[8]
لَسْتُ أَنْصَاعُ للوَاحِي وَلَوْ مُتُّ وَقَا مَتْ عَلَى شَبَابِي المَنَاحَهْ[9]
لا أُبَالي.. وَإنْ أُرِيقَتْ دِمَائي فَدِمَاءُ العُشَّاق دَوْماً مُبَاحَهْ
وَبِطُولِ المَدَى تُرِيكِ اللَّيَالي صَادِقَ الحُبِّ وَالوَلاَ وَسَجَاحَهْ[10]
إنَّ ذا عَصْرُ ظُلْمَةٍ غَيْرَ أنِّي مِنْ وَرَاءِ الظَّلاَمِ شِمْتُ صَبَاحَهْ[11]
ضَيَّعَ الدَّهْرُ مَجْدَ شَعْبِي وَلَكِنْ سَتَرُدُّ الحَيَاةُ يَوماً وِشَاحَهْ

---

(١) عرانا: غشينا.
(٢) الجماح والجُموح بمعنى التمرّد: جمح الفرسُ: اعتزّ فارسه وغلبه.
(٣) العَسْف: الظلم. الصُّداح: رفع الصوت بغناء.
(٤) توخّى: تعمّد.
(٥) الردى: الهلاك.
(٦) الرزايا: جمع الرزيّة: المصيبة.
(٧) اللُّج: معظم الماء.
(٨) القراح: يعني الماء الخالص لا يخالطه ثفل.
(٩) الواحي: بمعنى الوحي أي: الملك.
(١٠) السَّجاح: التجاه. والأسجح: الحسن المعتدل.
(١١) شِمت: نظرت.

من أغاني الرّعاة[1]

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم «من الشمال التونسي» مستشفياً، وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة، والجبال الشم المجللة بالسنديان قضى عهداً شعرياً، وادعاً، خالصاً للشعر، والسحر والأحلام. وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال، والأودية والغابات.

[من مجزوء الرّمل]

أقبلَ الصُّبْحُ يُغنّي ... للحياةِ النّاعِسَهْ
والرُّبى تحلمُ في ظِلّ ... الغُصونِ المائسَهْ[2]
والصَّبا تُرْقص أورا ... قَ الزُّهورِ اليابسَهْ[3]
وتَهادَى النُّورُ في تلـ ... ـك الفِجَاجِ الدّامسَهْ[4]

* * *

أقبلَ الصُّبحُ جميلاً، ... يملأ الأفقَ بَهاه
فَتَمَطّى الزَّهْرُ، والطّيـ ... ـرُ، وأمْواجُ المياهْ
قد أفاقَ العَالمُ الحـ ... ـيُّ، وَغنّى للحياه
فأفِيقي يا خِرافي، ... وَهَلُمّي يا شِياهْ[5]

* * *

واتبعيني يا شِياهي، ... بينَ أسرابِ الطُّيورْ
واملإي الوَادي ثُغَاءً، ... وَمِراحاً وحُبُورْ[6]
واسمعي هَمْسَ السَّواقي، ... وانشقي عِطْرَالزُّهُورْ
وانظري الوادي، يُغَشّيـ ... ـه الضَّبابُ المُسْتَنيرْ

* * *

---

(١) نظمها في ١٠ شوال ١٣٥١ هـ / ٦ فيفري - شباط ١٩٣٣ م.
(٢) الربى: جمع الرابية: التلّة. المائسة: المتمايلة.
(٣) الصَّبا: ريح شرقية لينة.
(٤) تهادى: تمايل. الفِجاج: جمع الفَيح: الشق بين جبلين.
(٥) الشياه: جمع الشاة.
(٦) الثغاء: صوت الغنم. المراح والحبور: النشاط والسرور.

واقـطُفي من كـلإِ الأرضِ، وَمَـرعـاهـا الجَـديـدْ[1]
واسـمعي شبَّـابتي تَشْـدُو، بمعـقـولِ الـنَّـشـيـدْ[2]
نـغَـمٌ يَـصْـعَـدُ مـن قـلـ ـبي، كـأنـفـاسِ الـوُرودْ
ثُـمَ يَـسْـمُـو طـائـراً كـالـ ـبلبـلِ الشَّـادي السَّـعـيـدْ

* * *

إذا جئْـنـا إلى الـغَـابِ، وغَّـطانـا الـشَّـجَـرْ
فـاقـطُفـي مـا شئـتِ مـن عُـشْـبٍ، وزَهْـرٍ وثَـمَـرْ
أرضَعَتـهُ الشَّمْسُ بـالـضـوءِ، وغَـذَّاهُ الـقَـمـرْ
وارتَـوَى من قَـطَراتِ الـطَّلِّ، في وَقْـتِ الـسَّـحَـرْ[3]

* * *

وامْـرَحِـي مَـا شِئْـتِ في الـوديـان، أو فـوقَ التِّـلالْ
واربضي في ظـلِّهـا الـوَارفِ، إنْ خِـفْـتِ الـكَـلالْ[4]
وامْـضَـغِي الأعشـابَ، والأفـ ـكَـارَ في صَـمْـتِ الـظِّلالْ
واسـمعـي الـرِّيـحَ تُـغَـنِّي، في شَـمَـاريـخِ الجِـبَـالْ[5]

* * *

إن في الـغـاب أزاهـيـراً، وأعـشـابـاً عِـذابْ
يُـنْشِـدُ الـنَّحْـلُ حَـواليْهـا، أهـازيجـاً طِـرابْ[6]
لم تُـدَنِّس عِـطرَهـا الـطَّا ـهِـرَ أنـفَـاسُ الـذِّئـابْ
لا، ولا طَـافَ بِهَـا الـشَّـعْـ ـلبُ في بـعضِ الـصِّـحـابْ!

* * *

وشـذَاً حـلواً، وسِـحْـراً، وسَـلامـاً، وظِـلالْ
ونَـسـيـماً سـاحـرَ الخـطـ ـوةِ، مَـوْفُـورَ الـدَّلالْ

---

(١) كلأ الأرض: مراعيها وأعشابها.
(٢) الشبّابة: من الآلات الموسيقية، يحملها الرعاة.
(٣) الكل: الندى.
(٤) الكَلال: الإعياء.
(٥) شماريخ الجبال: رؤوس الجبال.
(٦) الأهازيج: الأغاني.

وغُصوناً يَرْقُصُ النُّو رُ عليها، والجَمالْ
واخضراراً أبديّاً، ليسَ تَمْحُوه اللّيالْ

* * *

لن تَمَلّي، يا خِرَافي، في حمى الغَاب الظّليلْ
فَزَمَانُ الغَابِ طفلٌ، لاَعِبٌ، عَذْبٌ، جميلْ
وزمانُ النّاس شَيْخٌ، عَابسُ الوجهِ، ثَقيلْ
يتمشّى في مَلالٍ، فوقَ هاتيكَ السُّهولْ[1]

* * *

لكِ في الغاباتِ مرعا كِ، ومَسْعَاكِ الجميلْ
ولِيَ الإنْشَادُ، والعَزْفُ إلى وقتِ الأصِيلْ
فإذا طالتْ ظِلالُ الكَـ ـلإ الغضّ، الضَّئيلْ[2]
فهلمّي نُرْجِعِ المسْـ ـعى إلى الحيِّ النَّبيلْ

في فجاج الآلام[3]

[من المجتث]

يَا لاَبْتَسَامَةِ قَلْبٍ مَطْلُولَةٍ بِدموعِهْ[4]
غَاصَتْ، فَلَمْ تُبْقِ إلاّ الدُّمُوعَ بينَ صُدُوعِهْ[5]
فَظَلّ يَهْتِفُ من شَجْـ ـوِهِ، وَفَرْطِ وُلُوعِهْ[6]
«وَيْحَ الحياةِ! أَمَا تَنْـ ـقَضِي لَدَيها الرَّزايا؟!»[7]
«أما يُكَفْكِفُ هذا الزّ مانُ صَوْبَ البَلايا؟!»[8]

---

(١) مَلال: مَلَل أي ضجر.
(٢) الكلأ: المرعى والعشب. الغض: الطري.
(٣) نظمها في ١٠ شوّال ١٣٤٦هـ/ غرة أفريل ـ نيسان ١٩٢٨ م.
(٤) مطلولة: أصابها الطل أي الندى.
(٥) غاض الماء والدمع: قلّ ونقص. الصدوع: الشقوق.
(٦) الفرط: الزيادة. الشجو: الحزن.
(٧) الرزايا: جمع الرزيّة: المصيبة.
(٨) يكفكف: يدفع ويصرف.

«يـا دهـرُ! رفقـاً! فـإنَّ القُـ ـلوبُ أَمْسَتْ شَظَايا»[1]

* * *

يـا قـلبُ نَهْنِهْ دموعَ الأسى، وَلَوْعَةَ رُوعِكْ
إنَّ الدُّهورَ البَواكي غَنِيَّةٌ عَنْ دُمُوعِكْ
حَسْبُ الحياةِ أساها فَاطْوِ الأسى في صُدُوعِكْ
وَاحْلُمْ بِفَجْرِ الليالي...، فَفَجْرُهَا في هُجُوعِكْ[2]
وإنْ غَفَوْتَ فَإنَّ الحيـ ـاةَ ليسَتْ تَرُوعُكْ
وَسَوْفَ يمضي شِتَاءُ الأسـ ـى، وَيَأْتِي رَبِيعُكْ

* * *

بينَ القُبورِ فَتَاةً جارَ الزَّمانُ عليْها
فافْتَكَّ منها بِعُنْفٍ كَفُّ الرَّدى أَبَوَيْها[3]
تَقُول والليلُ سَاجٍ والقبرُ مصغٍ إليها:[4]
«يا ليتني متُّ من قَبْـ ـلِ أنْ تَسُوءَ حَيَاتي!»
«ويَنْضُبَ الدَّمْع من لَوْ عتِي، ومِنْ حَسَراتي!»
«مَنْ لي بِحُفْرةِ قَبْـ ـرٍ تَضُمُّني وَشَكَاتي!»[5]
في الحيِّ صَبٌّ يعاني في الصَّدْرِ داءً دَفِيناً[6]
وفي الفُؤادِ جوًى كا مِناً وَجِسًّا مَكِيناً[7]
حَتَّى دهتْه الليالي وجرَّعَتْه مَنُونَهْ
فَشَيَّعَ الميتَ جمعٌ مِنْ حيِّيهِ، يَنْدُبُونَهْ
حتَّى إذا ما أرادوا رصْفَ الصَّفَائِحِ دونَهْ[8]
نَاحَتْ عَليهِ فتاةٌ: «ويلي، لِمَنْ تتركونَهْ!»

---

(١) الشظايا: جمع الشظيّة: كل فِلقة من شيء.
(٢) الهجوع: النوم.
(٣) الردى: الهلاك. قوله: افتكّ منها، أي انتهز منها فرصة.
(٤) ساجي: هادىء ساكن.
(٥) الشكاة: الشكوى.
(٦) الصَّب: المتشوق. الداء: المرض.
(٧) الجوى: الهوى الباطن.
(٨) الصفائح: حجارة توضع على قبر الميت.

كـانَ الـصـبـيُّ يَـصِـيـدُ الـفَـرَاشَ بـيـنَ الـزُّهـورِ
فَـدَاسَ زَهـراً نـديًّـا ألـقـى بـه في الـغَـديـرِ
فَـأَخْـرَجُـوه، ولـكـنْ بـعـد الـقـضـاءِ الأخـيـر. . .
فـخـرّت الأمُّ حـولَ الـصَّـبـ ـيِّ، تـصـرخُ: «ويـلي،
فـقـلتُ ـ والـقـلبُ دَامٍ والـنُّـا سُ يـبـكـون حـولي ـ:
«مـا أسـخـفَ الـعـيشَ تَـقْ ضي عـلـيـهِ زلّـةُ نَـعْـلِ!»

* * *

شـيـخٌ، شَـآهُ دَهْـرُ الأ سى، وَجِـيـدٌ شَـتِـيـتُ[1]
بـيـنَ الخـرائـبِ يُمْسي عـلى الـطَّوى، ويَـبِـيـتُ[2]
في ظُـلْـمَـةِ الـلَّيـل فَـاضَـتْ عـلى الـوجـود حـيـاتُـهْ
وطـرفُـهُ يَـرْمُـقُ الـنَّـجْـمَ مِـلؤُهُ عَـبَـراتُـهْ
ومـا حـوالـيـهِ إلاّ الخـرا بُ يُـشـجِـي صُـمـاتُـهْ
فـمـا بـكـاهُ فَـتَـاهُ ولا بـكـتْـهُ فـتـاتُـهْ
يـا زهـرةً سَـامَـهـا الـعَـا بِـرون خَـسْـفـاً وهُـونا[3]
لـو كنتِ شـوكـاً عَضـوضـاً مـا داسَـكِ الـعَـابِـرُونـا
لأنهم يجـهـلونَ الـوَحْـ ـيَ الـذي تُـضْـمـريـنـا
هُـمْ يَـسْـخَـرُون بِهَـمْسِ الـزُّ هـورِ، وَهْـوَ بـديـعُ!
ويُـنـصِـتـونَ لِـصَـوْتِ الأشـ ـواكِ، وَهْـوَ مُـريـعُ!
فـلا تُـبـالي بـقـومٍ ألحـقُّ فِـيـهِـمْ صَرِيـعُ
ربَّـاه! كَـمْ مِـنْ فـتـاةٍ، تـشـكـو الحـيـاة وتبـكـي،
ومُـعْـدَمٍ، بـوَّأْتَـهُ الـدُّهـورُ مَـقْـعَـدَ ضَـنْـكِ[4]
وَيَـائسٍ مَـاتَ في لُـبِّـهِ المَـرَامُ الـوَحـيـدُ[5]
وتـائـهٍ، ضـاع بـين الـ قِـفَـارِ، وَهْـوَ فَـريـدُ
حـتّى طَـوتْـهُ مِـنَ الـعَـا صِـفَـاتِ ريـحٌ شَرُودُ

---

(١) شآه: سبقه.
(٢) السطوى: الجوع.
(٣) سامه: أذله: الهون: الذل.
(٤) بوّأته: أنزلته. الضَّنْك: الضيق من كل شيء.
(٥) المرام: الهدف.

ربَّـاه! رُحمـاك إنَّ الـزَّمـا نَ فَضٌّ شَـدِيـدُ [1]

* * *

يـا طَـائِـرَ الـشِّـعْـرِ! رَوِّحْ عـلى الحيـاة الكئيبَـهْ
وامْسَـحْ بـريشِـكَ دمْـعَ الـ ـقُـلوبِ فَـهْـيَ غَـريـبَـهْ
وَعَـزِّهَـا عَـنْ أَسَـاهـ ـا فَقَـدْ دَهَـتْـهـا المُصِيبـهْ
وأَنْـتَ روحٌ جمـيـلٌ، بـين الهِـضَـابِ الجـديـبـهْ
فـانـفـخْ بهـا مِنْ لهيبَ السِّـ ـحرِكَ في قـلـ ـبِـهـا ضِرَامَ الشَّـبِـيـبـهْ [3]

جدول الحبّ [4]

بين الأمس واليوم

[من مجزوء الكامل]

بِـالأمْسِ قَـدْ كـانـتْ حَيَـا تِي كـالـسَّـمـاءِ الـبَـاسِـمَـهْ
واليـومَ، قـد أمْسَـتْ كـأعْـ ـمَـاقِ الكُهُـوفِ الـواجِمَـهْ [5]
قَـدْ كَـانَ لِي مَـا بَـيْنَ أحـ ـلامِـي الجَـمِـيـلة جَـدْوَلُ
يَجْـرِي بِـهِ مـاءُ المَـحَـبَّـ ـةِ طَـاهِـراً يَـتَـسَـلْسَـلُ
تَـسْـعَـى بِـهِ الأمْـوَاجُ بـا سِـمَـةً كـأحْـلامِ الـصِّـبَـا
بَـيْـضَـاءَ، نَـاصِـعَـةً ضحـو كـأً مِـثـلَ أزهـارِ الـرُّبى [6]
مـيَّـاسَـةً كَـعَـرائِسِ الـ ـفِـرْدَوْسِ بـين حُـقـولِـهِ [7]

---

(١) فضّ، أي أنه يفرّق.
(٢) خضيبة أي مخضوبة: مصطبغة.
(٣) الضِّرام: الاشتعال، أو ما اشتعل من الحطب.
(٤) نظمها في ٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ/ ٣٠ أوت ـ أغسطس آب ١٩٢٧ م.
(٥) الواجمة: العابسة.
(٦) الربى: جمع الرابية: التلّة.
(٧) ميّاسة: ميّالة، تختال في مشيتها. الفردوس: البستان يجمع كل ما يكون في البساتين.

تَـتْـلو أنـاشـيـدَ الْـمُـنَى في مَـدِّهِ وَقُـفُـولِـهِ[1]

* * *

هُـوَ جـدولُ الحُـبِّ الـذي قَـدْ كَـان في قلبي الخَضِـلْ[2]
بَمَـراشـفِ الأحْـلامِ مُـنْـ ـطلقـاً، يَسِـير عـلى مهَـلْ[3]
يَـتْـلُو عـلى سَـمَـعِـي أغـا ريـدَ الحـيـاةِ الـطَّاهِـرهْ
ويُـشِـيرُ في قـلبـي أنَـا شِـيـدَ الخُـلُودِ الـسَّـاحِـرهْ
تَـقِـفُ الـعَـذَارى الخَـالِـدَا تُ... عَـرَائسُ الشِّعرِ البَـديـعْ
في ضـفَّـتَـيْـه، مُـرَدِّداً تِ نَـغَـمَـةَ الحُـلْمِ الـوَدِيـعْ
يَـلْمُـسْـنَ من قـيـثـارةِ الأ حْـلامِ أوتـارَ الـغَـزَلْ[4]
فَـتَـفِـيضُ ألحـانُ الـصَّـبَـا بَـةِ عَـذْبَـةً، مِثْـلَ الأمَـلْ[5]
وَتَـطِيرُ بـالـبَـسَـمَـاتِ والأ نْـغَـامِ أجـنـحـةُ الـصَّـدَى
في ذَلِـكَ الأفُـقِ الجَـمِـيـلِ، وَذَلِـكَ الـنَّـسَـمِ الـرُّخَـا[6]
وَهـنـاكَ حَـيْـثُ تُـعـا نِقُ البَسَماتُ أنْـغَـامَ الغَـزَلْ
يَـتَـمَـايـل الحُلُمُ الجميـلُ... كَـبَـسْـمَـةِ الـقَـلْبِ الـثَّـمِـلْ[7]

* * *

هُـوَ جـدولٌ، قـد فـجِّـرتْ يـنـبـوعَـهُ في مـهـجَـتي[8]
أجْـفَـانُ فَـاتِـنَـة أرَتْـ ـنِـيـهـا الحـيـاةُ لِـشَـقْـوَتي
أجْـفَـانُ فَـاتِـنَـةٍ تـرا ءَتْ لِي عـلى فَـجْـرِ الشَّـبـابْ
كَـعَـرُوسـةٍ مِـنْ غَـانـيـا تِ الشِّعْـرِ، في شَفَقِ السَّحابْ
ثُـمَّ اختَـفَـتْ خَـلْفَ الـسَّـمـاءِ، وَرَاءَ هَـاتِـيـكَ الـغُـيُـومْ
حَـيْـثُ الـعَـذَارى الخَـالِـد اتُ، يَمْسَنَ مَـا بَـيْنَ النُّجُـومْ[9]

---

(١) القُفول: العودة والرجوع.
(٢) الخضِل: النَّدِي.
(٣) المراشف: جمع المِرشف: ما يمتص به الماء.
(٤) القيثارة: من الآلات الموسيقية، واستعملها مجازاً.
(٥) الصّبابة: رقّة الشوق.
(٦) الرُّخا: اللين.
(٧) الثمِل: السكران.
(٨) المهجة: الروح، أو الدم، أو دم القلب.
(٩) يمسن: يتمايلن، ويتخايلن.

ثُمَّ اختَفَتْ آوَاهُ! طا ... ئِرةٌ بِأَجْنِحَةِ المَنُونْ[1]
نَحْوَ السَّماءِ، وَهَا أنا ... في الأرض تمثَالُ الشُّجُونْ[2]
قَدْ كانَ ذَلِكَ كُلُّهُ ... بالأمسِ! بالأمسِ البَعِيدْ
والأمْسُ قَدْ جَرَفَتْهُ مق ... هوراً يدُ الله الموتِ العَتِيدُ
قَدْ كانَ ذلك تَحْتَ ظِـ ... ـلِّ الأمسِ، والماضي الجَمِيلْ
قَدْ كان ذلك في شُعَـ ... ـاعِ البَدْرِ مِنْ قَبْلِ الأفُولْ[3]
واليومَ إذْ زالتْ ظِلالُ ... الأمسِ عَنْ زَهَرِي البَدِيعْ
وَتَجَلْبَبَ الزَّهرُ الجَمِيـ ... ـلُ بِظُلْمَةِ اللَّيلِ المُرِيعْ[4]
ذَبُلَتْ مَرَاشِفُهُ، فأصبـ ... ـحَ ذَاوياً نِضْوَ الْكُلُومْ[5]
وَهَوَى لأنَّ اللَّيلَ أسْـ ... ـمَعَهُ أناشيدَ الوُجُومْ...[6]

* * *

بالأمسِ قَدْ كانتْ حيا ... تِي كالسَّماءِ البَاسِمَهْ
واليومَ قد أمسَتْ كأعـ ... ـماقِ الكِهُوفِ الوَاجِمَهْ
إذْ أصْبَحَ النَّبْعُ الجَمِيـ ... ـعُ يَسِيرُ في وادي الأَلَمْ
مُتَعَثِّراً بينَ الصُّخورِ، ... يَغُور في تِلْكَ الظُّلَمْ
جَفَّتْ به أمْواجُ ذيـ ... ـاكَ الغرامِ الأفلِ
فَتَدفَّقَتْ فيه الدُّمُو ... عُ بصَوبِهَا المُتَهَاطِلِ[7]
قَدْ حَجَّبَتْهُ غُيومُ أحـ ... ـزانِ الوُجُودِ القَاتِمَهْ
قد أخْرَسَتْهُ مَرَارةُ القـ ... ـلْبِ التَّعِيسِ الظَّالمَهْ
جَمدتْ على شَفَتَيْهِ أنـ ... ـغامُ الصَّبَابةِ والهوى
وَقَضَتْ أغَاني الحُبِّ، ... في أعماقِهِ لُما هوى
وَعَدَتْ به الأمواجُ، ... جَامدةَ الملامِحِ، قاتمَهْ

---

(١) المنون: الموت.
(٢) الشجون: الأحزان.
(٣) الأفول: الغياب.
(٤) تجلبب: لبس الجلباب: ثوب واسع تلبسه المرأة، وأراد أنه تغطّى بالظلام. المريع: المخيف.
(٥) مراشفه: جمع مِرشف: ما يمتص به الماء. الذاوي: الذابل. نضو: ضعيف. كلوم: جمع كَلْم: جرح.
(٦) الوجوم: العُبوس.
(٧) الصَّوب: المطر.

قد أسكتتْها لوعةُ الـ ـرُّوحِ الحزينِ الوَاجمهْ
غاضَتْ أمَانِيها، وَغا ر بها الجَمالُ السَّاحرُ[1]
فأصَابها - لَهَفاً عليـ ـهِ - الإكْتِئَابُ الكَافرُ
في ضفَّتيه عرائسُ الأ شْعارِ تنصُبُ مأتماً
يُهْرِقْنَ فيه الدَّمْعَ، حتَّى يَلْطُمَ الدَّمعُ الدَّما[2]
فَيَسِيلُ ذاك المَدْمَعُ الدَّ امي لقَلْبِ الجدولِ
حيثُ المَرَارةُ، والأسى، بين الزُّهورِ الذُّبَّلِ
وَيَنُحْنَ حتَّى يُفْعِمَ الأ فاقَ صَوتُ الإنْتِحَابْ[3]
فتسيرُ أصداءُ النِّيَاحـ ـةِ نحو أطباقِ الضَّبَابْ
وهناك ما بين الضَّبا بِ الأقْتَمِ السَّاجي الكئيبْ[4]
تَهْتَزُّ آلامِي، وتخـ ـتَلِجُ الكآبةُ، بالنَّحيبْ

السَّاحرة[5]

[من الخفيف]

راعها منهُ صَمتُه ووجُومُه وشَجاها شُحُوبُه وسُهومُهْ[6]
فأمَرَّتْ كفًّا على شَعْره العا ري برفقٍ، كأنَّها ستُنِيمُهْ
وأطلَّتْ بوجهها الباسمِ الحلْـ ـوِ على خدِّه وقالتْ تَلُومُهْ:
«أيُّها الطَّائرُ الكئيبُ تَغَرَّدْ إنَّ شَدْوَ الطُّيورِ حلوٌ رَخِيمُهْ»[7]
«وأجبْني فدتْكَ نفسيَ - ماذا؟ أمُصَابٌ؟ أمْ ذاك أمرٌ ترومُهْ؟»[8]
«بل هو الفنُّ واكتئابُه، والفنـ ـانِ جمٌّ أحزانُهُ وَهُمُومُهْ»[9]

---

(١) غاضت: نقصت.
(٢) يهرق الدمع: يذرفه. والأصل: هَرَاقَ الماء يُهرِيقُه، ويُهْرِيقُه.
(٣) يفعم: يملأ. الانتحاب: البكاء الشديد.
(٤) الأقتم: القاتم المائل إلى السواد. الساجي: الساكن. كئيب: حزين.
(٥) نظمها في ١٥ ربيع الأول ١٣٥١ هـ/ ١٩ جويلية - تموز ١٩٣٢ م.
(٦) الوجوم: العبوس. شجاها: أحزنها. والسُّهوم: العبوس.
(٧) الرخيم: اللين السهل.
(٨) تروم: تطلبه.
(٩) جَمّ: كثير.

«أبداً يحملُ الوجودَ بما فيـ ... ـه كأنْ ليسَ للوجودِ زعيمُهْ:»[1]
«خلِّ عبءَ الحياةِ عنكَ، وَهَيِّا ... بمحيًّا، كالصُّبحِ، طَلْقٍ أديمُهْ»[2]
«فكثيرٌ عليكَ أن تحملَ الدَّنـ ... ـيا وتمشي بوقْرِها لا تَريمُهْ»[3]
«والوجودُ العظيمُ أقْعِدَ في المـ ... ـضي وما أنتَ ربُّهُ فَتُقِيمُهْ»
«وامشِ في روضةِ الشَّبابِ طَروباً ... فحواليكَ وَرْدُهُ وَكُرومُهْ»
«واتلُ للحُبِّ والحياةِ أغانيـ ... ـكَ وَخلِّ الشَّقاءَ تدمَى كُلُومُهْ»[4]
«واحتضنِّي، فإنَّني لكَ، حتَّى ... يتوارى هذا الدُّجَى ونجومُهْ»[5]
«وَدَعِ الحُبَّ يُنشِدُ الشِّعرَ للَّيـ ... ـلِ، فَكَمْ يُسكِرُ الظَّلامَ رَنِيمُهْ..»
«واقطفِ الوردَ من خدودي، وَجيدي ... وَنُهودي..، وافْعَلْ بِهِ ما تَرُومُهْ»
«إن للَّبيتِ لهوَهُ، النَّاعمَ الحلوَ ... ولِلكونِ حربُه وَهُمومُهْ»
«وارتشفْ مِنْ فَمي الأناشيدَ سَكرَى، ... فالهوى ساحرُ الدَّلالِ، وَسيمُهْ»[6]
«وانسَ فيَّ الحياةَ..، فالعمرُ قفرٌ، ... مرعبٌ إنْ ذَوَى وجفَّ نَعِيمُهْ»[7]
«وارْمِ للَّيلِ، والضَّبابِ بعيداً ... فَنَّكَ العَابسَ، الكثيرَ وُجومُهْ»
«فالهوى، والشَّباب والمرحُ المعـ ... ـسولُ تشدو أفنانُه وَنَسِيمُهْ»[8]
«هي فنُّ الحياة، يا شاعري الفنّا ... نَ بلْ لُبُّ فنِّها وَصَمِيمُهْ»[9]
«تلك يا فيلسوفُ، فلسفةُ الكوْ ... نَ، وَوَحْيُ الوجودِ هذا قَديمُهْ»
«وَهِيَ انجيليَ الجَميلُ، فصدِّقْ ... ـه وإلاَّ..، فللغرامِ جَحِيمُهْ..»
فرماها بنظرةٍ، غَشِيَتْهَا ... سَكْرةُ الحبِّ، والأسى وغيومُهْ
وتلاها ببَسْمَةٍ، رَشَفَتْهَا ... منهُ سَكْرَانةُ الشَّبابِ، رؤومُهْ[10]
والتقتْ عندها الشِّفاهُ..، وغنَّتْ ... قُبَلٌ، أجْفَلَتْ لديها همومُهْ

---

(١) زعيم: كفيل.
(٢) الأديم من الصبح: أوله.
(٣) الوقر: العبء والحمل الثقيل.
(٤) كُلومه: جروحه وواحده: كَلْم.
(٥) الدجى: الظلام.
(٦) الرشف والارتشاف: الامتصاص.
(٧) ذوى: ذبل.
(٨) الأفنان: الأغصان.
(٩) اللب: القلب، والعقل.
(١٠) أم رؤوم وشاة رؤوم: عطوف.

مَا تريدُ الهُمومُ من عالمٍ، ضا ... ءَتْ مَسَرّاتُه، وغنَّتْ نجومُهْ؟

• • •

لِمَلاةٌ أسبلَ الغرامُ عليها ... سِحْرَهُ الناعمَ الطَّرِيرَ نعيمُهْ[1]
وتَغَنَّى في ظلِّها الفَرَحُ اللا ... هي فَجَفَّ الأسى وَخَرَّ هَشِيمُهْ[2]
أغْرَقَ الفيلسوفُ فلسفةَ الأحـ ... ـزان في بحرها. . ، فَمَنْ ذا يلومُهْ

• • •

إنَّ في المرأةِ الجميلةِ سِحْراً ... عبقرِيّاً، يُذكِي الأسى، ويُنيمُهْ

أبناء الشَّيطان[3]

[من الخفيف]

أيُّ ناسٍ هذا الورى؟ ما أرى ... إلاَّ برايا، شقيَّةً، مجنونَهْ[4]
جبَلَتْها الحياةُ في ثورة اليأ ... س مِن الشرِّ، كيْ تُجِنَّ جُنُونَهْ
فأقامتْ له المعابدَ، في الكو ... نِ، وَصَلَّتْ له وشادَتْ حُصُونَهْ

• • •

كم فتاةٍ جميلةٍ، مدحوها ... وتغنَّوْا بها لكي يُسْقِطُوها
فإذا صانتِ الفضيلةَ عابو ... ها، وإن باعتِ الخَنَا عبدوها[5]
أصبح الحسنُ لعنةً تهبطُ الأر ... ضَ، ليَغْوَى أبناؤُها ونووها
وشقي. طافَ المدينةَ. يستجـ ... ـدي ليَحْيَا، فخيَّبوه احتقاراً
أيقظوا فيه نَزْعةَ الشرِّ، فانقضَّ ... على النَّاسِ فاتكاً جبَّاراً
يبذُرُ الرُّعبَ في القلوب، ويُذكِي ... -حيثما حَلَّ- في الجوانح ناراً[6]

• • •

---

(١) أسبل: أرخى. السحر الطرير: أول طلوعه.
(٢) الهشيم: النبت اليابس المتكسِّر.
(٣) نظمها في ١٧ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٩٣١ م.
(٤) الورى: الخلْق. البرايا: المخلوقات.
(٥) الخنا: الفحش.
(٦) الجوانح: الجوانب، والأضلاع تحت الترائب، واحدة: جانحة.

ونبيٌّ قد جاء لِلنَّاسِ بالحقِّ، فكالوا له الشَّتائمَ كَيْلا
وتنادَوْا به: «إلى النَّارِ! فالنَّا رُ بِرُوحِ الخبيثِ أَحْرى وأَولى»
ثمّ ألقوْه في اللهيب، وَظَلُّوا يَملأون الوُجودَ رُعباً وهَوْلا

* * *

وَشُعوبٍ ضعيفةٍ، تتلظَّى في جحيمِ الآلامِ عاماً فعاما
والقويُّ الظَّلومُ يَعْصِرُ من آلامها السُّودِ لَذةً وَمُدَاما[1]
يتحساهُ ضاحكاً... لا يراها خُلِقت في الوجود إلا طعاما!

* * *

وفتاة حسيتها معبد الحبّ. فألفيتَ قلبَها ماخُورا![2]
ونبيل وجدتهُ في ضياء الفجْ ـرِ قلباً مدنَّساً شرِّيرا[3]
وزعيمٍ أحلّه النَّاسُ حتّى ظنَّ في نفسه إلهاً صغيرا!

* * *

وخبيثٍ، يعيشُ كالفأس. هذا ماً، لِيُعْلي بين الخَرَابِ بناءَهْ
وقميءٍ، يُطاولُ الجبلَ العا لي، فللّه ما أشدَّ غباءَهْ![4]
ودنيءٍ، تاريخُهُ في سجلّ الشرِّ إفكٌ، وَقِحَّةٌ وَدَناءَهْ[5]

* * *

كان ظنّي أنَّ النُّفوس كبارٌ فوجدتُ النُّفوس شيئاً حقيرا
لوَّثتهُ الحياةُ ثمَّ استمرتْ تبذُر العالم العريض شُرورا
فاحصدوا الشَّوك... يا بنيها وضجُّوا واملأوا الأرض والسماء حُبورا

---

(١) المدام: الخمرة.
(٢) الماخور: بيت الرِّيبة.
(٣) مدنّس: ملدوم.
(٤) القميء: الذليل.
(٥) الإفك: الكذب.

في ظلّ وادي الموت[1]

[من الخفيف]

نحنُ نمشي، وحولَنا هاته الأكـ ... وانُ تمشي...، لكِنْ لأيَّةِ غايهْ؟
نحنُ نشدو مع العَصافير للشَّمْـ ... ـسِ، وهذا الرَّبيعُ ينفُخُ نايَهْ
نحنُ نَتْلو روايةَ الكونِ للمو ... تِ ولكنْ ماذا خِتامُ الرِّوايهْ
هكذا قلتُ للرياحِ فَقالتْ: ... «سَلْ ضميرَ الوُجودِ: كيف البدايهْ؟»
وتغشّى الضَّبابُ نفسي، فصاحتْ ... في مَلالٍ، مُرٍّ: «إلى أينَ أمشي؟»[2]
قلتُ: «سيري مع الحياة..» فقالتْ: ... «ما جنينا، تُرى، من السَّيْرِ أمس؟»
فَتَهافَتُّ كالهشيم - على الأر ... ضِ ونادَيتُ: أينَ يا قلبُ رفشي؟[3]
هاتِهِ، علّني أَخُطُّ ضريحي ... «في سكونِ الدُّجى وأدفُنُ نفسي»[4]
هاتِهِ فالظَّلام حولي كثيفٌ ... وضبابُ الأسى مُنيخٌ عليَّا
وكؤوسُ الغرامِ أترعَها الفجْـ ... ـرُ، ولكنْ تحطَّمَتْ في يَدَيَّا[5]
والشَّبابُ الغريرُ ولّى إلى الما ... ضي وخلّى النَّحيبَ في شَفَتَيَّا[6]
هاته، يا فؤادُ إنّا غريباً ... نِ، نَصُوغُ الحياةَ فنًّا شَجِيًّا...[7]

* * *

قد رقَصْنا مع الحياةِ طويلاً ... وشدَوْنا مع الشَّبابِ سنيناً
وعدَوْنا مع اللَّيالي حُفاةً ... «في شِعابِ الحياةِ حتَّى دَمينا...»[8]
وأكلْنا التُّرابَ حتَّى مَلِلنا ... «وَشَرِبْنَا الدُّموعَ، حتَّى رَوِينا
وَنَسَجْنا الأحْلامَ والحبَّ والآلا ... م واليأسَ، والأسى، حيثُ شِينا

* * *

---

(١) نظمها في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ/ ٥ أفريل - نيسان ١٩٣٢ م.
(٢) الملال: الملل والضجر.
(٣) الهشيم: النبات اليابس. الرفش: المجرفة.
(٤) الدجى: الظلام.
(٥) أترعها، أي: ملأها.
(٦) النحيب: شدة البكاء.
(٧) الشجي: الحزين.
(٨) الشِّعاب الحياة يعني: مصاعبها. والواحد الشعب: الطريق في الجبل.

ثم ماذا؟ هذا أنا صرتُ في الدُّنـ ـيا بعيداً عن لهوِها وغِناها
في ظلامِ الفَنَاءِ، أدفُنُ أيّا مي، ولا أستطيعُ حتّى بكاها؟
وزهورُ الحياة تهوِي، بِصَمْتٍ «محزنٍ، مُضْجِرٍ، على قدميّا،
جَفَّ سِحْرُ الحياةِ، يا قلبيَ البا كي، «فهيّا، نُجَرِّبِ الموتَ...، هيّا...!

الزنبقة الذّاوية[1]

[من المتقارب]

أزَنْبَقَةَ السفْحِ؟ مَا لي أراكِ تُعَانِقُكِ اللَّوْعةُ القَاسِيهْ
أفي قَلْبِكِ الغضِّ صوتُ اللهيب، يرتِّل أنشُودَةَ الهاويَهْ؟[2]
أأسْمَعَكِ اللَّيلُ نَدْبَ القُلوبِ أأرْشَفَكِ الفَجْرُ كأسَ الأسَى[3]
أصَبَّ عليكِ شُعَاعُ الغروبِ نجيعَ الحياةِ، وَدَمْعَ المسا
أوقَفَكِ الدَّهْرُ حيث يُفَجَّـ ـرُ نَوْحُ الحياةِ صُدُوعَ الصُّدورْ؟[4]
وينبثقُ اللَّيلُ طيفاً، كئيباً رهيباً، ويخفقُ حُزْنُ الدهورْ؟
إذا أضْجَرَتْكِ أغاني الظَّلامِ فَقَدْ عَذَّبَتْني أغَاني الوُجومْ[5]
وإنْ هَجَرَتْكِ بناتُ الغيومِ، فقد عَانَقَتْني بناتُ الجَحيمْ[6]
وإنْ سَكَبَ الدُّرُّ في مِسمعَيْكِ نَحِيبَ الدُّجى، وأنينَ الأمَلْ
فَقَدْ أجَّجَ الدَّهْرُ في مهجتي شُواظاً مِنَ الحزنِ المُشْتَعِلْ[7]
وإنْ أرشفَتكِ شِفَاهِ الحياةِ رُضابَ الأسى، وَرَحيقَ الألَمْ[8]
فإنِّي تجرَّعتُ من كفِّها كُؤوساً، مؤجَّجةً، تَضْطَرِمْ[9]

* * *

(١) نظمها في ٩ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ/ ١٥ نوفمبر ـ تشرين الأول ١٩٢٦ م، ويبدو أن الشاعر قد حذف منها أربعة أبيات، كانت قد نشرت قبل طبع الديوان، وأثبتها في نهاية القصيدة.

(٢) الغض: الطري.

(٣) أرْشَفه: جعله يمتص.

(٤) الصدوع: الشقوق. وصدوع الصدور يعني: همومها.

(٥) الوجوم: العبوس.

(٦) بنات الغيوم، يعني الأمطار، وبنات الجحيم، يعني العذاب.

(٧) المهجة: القلب، دم القلب، الدم.

(٨) الرضاب: الريق. الرحيق: الخمرة.

(٩) مؤججة: ملتهبة. تضطرم: تشتعل.

أصِيخي! فَمَا بَيْنَ أعشارِ قلبي ... يرفُّ صَدى نَوْحِكِ الخافتِ [1]
مُعيداً على مُهجتي بحَفِيفِ ... جَنَاحَيْهِ صَوْتَ الأسى المائتِ [2]
وَقَد أترعَ اللَّيلُ بالحُبِّ كَأسي ... وَشَعْشَعها بِلَهيبِ الحياةْ [3]
وَجَرّعني مِنْ ثُمالاته ... مرارةَ حُزْنٍ، تُذيبُ الصَّفاةْ [4]
إليَّ! فَقَدْ وَحَّدَتْ بيننا ... قَساوةُ هذا الزَّمان الظَّلُومْ
فقد فَجَّرتْ فيَّ هذي الكُلومَ ... كما فجَّرتْ فيكِ تلكَ الكُلومْ [5]

* * *

وإنْ جَرَفَتْني أكفُّ المنونِ ... إلى اللَّحْدِ، سَحَقْتكِ الخطوبْ [6]
فَحُزْني وَحُزْنُكِ لا يَبْرَحانِ ... أليفَيْنِ رَغْمَ الزَّمانِ العصيبْ
وتحت رواقِ الظَّلامِ الكَئيبِ ... إذا شَمَلَ الكونَ روحُ السَّحَرْ [7]
سيُسْمَعُ صوتٌ، كَلَحْنٍ شجيٍّ ... تطايَرَ مِنْ خَفَقَاتِ الوَتَرْ
يُرَدِّدُهُ حُزْنُنا في سكونٍ ... فعَلى قَبْرِنا، الصَّامتِ المطمئنْ
فَنَرقُد تَحْتَ التُّرابِ الأصمِّ ... جميعاً على نَغَمَاتِ الحَزَنْ
فَيصدحُ عند سكونِ الدُّجى ... إذا نسيتنا غَذارى السَّحَرْ
صدى يتهادى، كنغمٍ شجيٍّ ... تطايَرَ من خفقاتِ الوترْ
يرنِّحه شجْونا المستكينُ لدى ... القبرِ، تحتَ ظِلالِ المسا
فتهجعُ تحت الثرى الهاجع ... جميعاً، على نغماتِ الأسى

صفحة من كتاب الدُّموع [8]

[من المتدارك]

غَنَّاهُ الأمْسُ، وأطْرَبَهُ ... وَشَجَاهُ اليومُ، فَمَا غَدُهُ؟

---

(١) أصاخ: استمع. أعشار القلب: قطعه وعشوره، وقلب أعشار أي مكسّر على عشر قطع.
(٢) المهجة: الروح، والدم، ودم القلب.
(٣) أترع: ملأ.
(٤) شعشع: فرّق.
(٥) الكلوم: جمع الكَلم: الجرح.
(٦) المنون: الموت. اللحد: القبر. الخطوب: جمع الخَطْب: المصيبة.
(٧) الرواق: مقدّم البيت. رواق الظلام: يعني أوله.
(٨) نظمها في ١٠ محرم ١٣٤٩ هـ/ ٧ جوان ـ تموز ١٩٣٠ م.

قَدْ كان له قلبٌ، كالطِّفْلِ، يدُ الأحلامِ تُهَدْهِدُهُ[1]
مُذْ كان له مَلَكُ في الكون جَميلُ الطلْعَة، يَعْبُدُهُ
في جَوْفِ اللَّيلِ، يُنَاجيهِ وَأَمَامَ الفَجْرِ، يُمَجِّدُهُ
وعلى الهضبات، يغنِّيه آياتِ الحُبِّ، ويُنشِدُهُ
لولاه لما عذُبَتْ في الكون مَصَادِرُهُ وَمَواردُهُ
وَلَما فَاضَتْ بالشِّعْرِ الحـ ـيِّ مَشَاعِرُه وَقَصَائِدُهُ
تَمْشي في الغابِ فتتْبَعه أَفْراحِ الحُبِّ، وَتَنْشُدُهُ
ويرى الآفاق فيُبْصِرُها زُمراً في النُّور، تُراصِدُهُ[2]
ويرى الأطيارَ، فَيَحْسَبُها أحلامَ الحُبِّ تُغَرِّدُهُ
ويرى الأزهارَ، فَيَحْسَبُها بَسماتِ الحُبِّ تُوادِدُهُ[3]
فَيَخَالُ الكونَ يناجيهِ! وَجَمالَ العَالَمِ يُسْعِدُهُ!
وَنُجومَ اللَّيلِ تُضَاحِكُهُ! وَنَسيمَ الغابِ يُطَارِدُهُ!
وَيَخَالُ الوَرْدَ يداعِبُهُ فرحاً، فتعابثه يَدُهُ!...
ويرى اليُنْبوعَ، ونَظْرَتَهُ، وَنَسيمُ الصُّبْحِ يُجَعِّدُهُ
وخريرُ الماءِ لَهُ نَغَمٌ نَسَمَاتُ الغابِ تُرَدِّدُه
ويرى الأعشابَ وَقَدْ سَمَقَتْ بَيْنَ الأشْجَارِ تُشَاهِدُهُ[4]
ونطَاقُ الطِّفلِ تُنَمِّقُها فَيَجُلُّ «الحُبَّ» وَيَحْمِدُهُ

* * *

يا لَلأيَّامِ! فَكَمْ سَرَّتْ قلْباً في النَّاسِ لِتُكْمِدَهُ[5]
هيَ مِثْلُ العَاهِرِ، عَاشِقُها تسقيه الخمرَ... وَتَطْرُدُهُ!
يُعْطيكَ اليومُ حلاوتها كالشَّهْدِ، لَيَسْلُبَها غَدُهُ!
بالأمسِ يَعَانِقُها فَرحاً ويضاجعُها، فتُوَسِّدُهُ[6]
واليومَ، يُسايِرُها شَبَحاً أضناهُ الحزنُ، وَنَكَدُهُ[7]

(١) تهدهده: تحرّكه.
(٢) تراصده: تراقبه.
(٣) توادده: تودُّه وتلاطفه.
(٤) سمقت: ارتفعت.
(٥) تكمده: تحزنه.
(٦) يتوسّد: يتخذ الوسادة: المتكأ.
(٧) النَّكد: خشونة العيش.

يتلو في الغابِ مَراثِيَه وَجُذُوعُ السَّرْوِ تُسَانِدُهُ
وَيُماشي النَّاسَ، وما أَحَدٌ مِنْهُمْ يَشْجِيهِ تَفَرُّدُهُ
في ليلِ الوَحْشَةِ مسْراهُ وَبِكَهْفِ الوَحْدَةِ مرقَدُهُ
أصواتُ الأمسِ تُعَذِّبُهُ وخيالُ الموتِ يُهَدِّدُهُ

* * *

بالأمسِ لَهُ شَفَقٌ في الكونِ يضيءُ الأفْقَ تورُّدُهُ
واليومَ، لَقَدْ غَشَّاهُ اللَّيلُ فما في العالمِ يُسعدُهُ
غنَّاه الأمسُ وَأَطْرَبَهُ وَشَجَاهُ اليَوْمُ، فَما غَدُهُ؟

إلى الله[1]

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهي أطواره أزمات نفسية ثائرة، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة، وتتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال، فيشعر المرء كأنما انبتَّ ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه، وكأنما الحياة فن من العبث المرعب المملّ الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء. ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر. تكدر صفاءه، وتحيل جماله إلى شناعة، وأنغامه إلى عويل، وانسجامه إلى فوضى، ثم تقر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية، وألحانه المتزنة، وجماله الساحر الأبدي. وتحت تأثير هذه الحالة النفسية الجامحة نظمت القصيد التالي، ونفسي سكرى بأحزانها الدامية وآلمها المتشحة باللهيب.

[من الخفيف]

يَا إلهَ الوُجودِ! هٰذِي جِرَاحٌ في فؤادي، تَشْكُو إليكَ الدَّواهي[2]
هَذِهِ زفرةٌ يُصَعِّدها الهمُّ إلى مَسْمَعِ الفَضَاءِ السَّاهي
هَذِهِ مُهْجَةُ الشَّقاءِ تُنَاجيكَ فَهَلْ أنْتَ سَامِعٌ يا إلٰهي؟[3]
أنتَ أنزلْتَني إلى ظُلْمَةِ الأرضِ وَقَدْ كنتُ في صباحِ زَاهِ

---

(١) نظمها في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ/ ٢٩ أكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٢٩ م.
(٢) الدواهي: جمع الداهية: المصيبة.
(٣) المهجة: الروح، الدم، أو دم القلب.

كالشُّعاعِ الجميلِ، أسْبَحُ في الأفْقِ ... وأُصْغِي إلى خريرِ المياهِ
وأغنِّي بينَ اليَنابيعِ للفجرِ ... وأشدو كالبلبلِ التيَّاهِ
أنتَ أوصلتَني إلى سُبُلِ الدُّنْيا ... وهذه كثيرةُ الإشْتِبَاهِ
ثُمَّ خَلَّفْتَني وحيداً، فريداً ... بين داعٍ من الرِّياحِ وَنَاهِ
أنتَ أوقفتني على لُجَّةِ الحُزْنِ ... وَجَرَّعتني مَرَارَةَ «آه»![1]
أنتَ أنشأتني غريباً بنفسي ... بين قومي، في نَشْوَتي وانتباهي
أنتَ كرَّهْتَني الحياةَ ومَا فيها ... وحبَّبْتَني جُمُودَ السَّاهي
أنتَ جبَّلْتَ بين جنْبيَّ قلباً ... سَرْمَدِيَّ الشُّعورِ والإنتباهِ[2]
أنتَ عذَّبتني بِدِقَّةِ حِسِّي ... وتعقَّبْتَني بكُلِّ الدَّواهي
بالأسى، بالسَّقام، بالهمِّ، بالوحشة، ... وباليأسِ، بالشَّقا المتناهي
بالمنايا تَغْتال أشْهى أمانيَّ ... وتُذوِي محاجري، وَشِفاهي[3]
فإذا مَنْ أُحِبُّ حَفْنةُ تُرْبٍ ... تافهٍ، مِنْ تَرائبٍ وَجِبَاهِ[4]
وإذا فتنةُ الحياة وَسِحْرُ الكونِ ... ضَرْبٌ من الغَمام الزَّاهي
يتلاشى فوق الخِضَمِّ ويبقى الـ ... ـيمُّ كالعهدِ مُزْبِدَ الأمواه...[5]
يا إله الوجود! ما لَكَ لا ترثي ... لِحُزْنِ المعذَّبِ الأوَّاه؟
قد تأوَّهتُ في سكون اللَّيالي ... ثُمَّ أطبقتُ في الصَّباحِ شِفاهي
وَتَغَزَّلْتُ بالحياةِ، وبالحـ ... ـبِّ، وغنَّيتُ كالسَّعيدِ اللَّاهي
وَزَرَعْتُ الأحلامَ في قلبيَ الدَّا ... مي، وحوَّطْتُهَا بكلِّ انتباهي
ثُمَّ لما حَصَدْتُ لَمْ أجنِ إلا ... الشَّوكَ، ما تُرى فعلتُ؟ إلهي!

* * *

يَا رِياحَ الوجودِ! سيري بعنفٍ ... وتغنِّي بصَوْتِكِ الأوَّاهِ[6]
وانفحيني مِنْ رُوحِكِ الفَخْمِ ما يُبْـ ... ـلِغُ صَوْتي آذَانَ هذا الإلَهِ
فَهْوَ يُصغي إلى القويِّ، ولا يُصـ ... ـغي لصَوتٍ بين العواصفِ واهِ[7]

---

(١) لجة الحزن: معظمه.
(٢) السَّرمدي: الأبدي، الدائم.
(٣) المنايا: جمع المنيّة: الموت. تغتال: تُهلك. تذوي: تذبل.
(٤) الحفنة: ملء الكف. والحفرة.
(٥) أمواه: جمع مياه. الخِضَمّ: البحر.
(٦) الأوّاه: الذي يكثر الدعاء.
(٧) الواهي: الضعيف. وفي البيت تشكيك بالعدل الإلهي، فليحذر!

وانثري الوَرْدَ للثُّلوجِ بَداداً ... واصعقي كلّ بُلبلٍ تَيَّاه[1]
فالوجودُ الشقيُّ غيرُ جديرٍ ... بالأغاني، وبالجمال الزَّاهي
واسحقي الكائناتِ كوْناً بِكَوْنٍ، ... قبل أن تنتهي أذلّ تَنَاهِ
فالإلهُ العظيمُ لم يخلُقِ الدّنيا ... سوى للفناءِ تحْتَ الدّواهي

* * *

يا ضميرَ الوجودِ! يا عالمَ الأروا ... ح! يا أيُّها الفضاءُ السَّاهي!
يا خِضَمَّ الحياةِ، يَزْخَرُ في الآ ... فاق في التُّرْبِ، في قرارِ المياه!
خبِّروني، هل للورى من إلهٍ، ... راحمٍ - مِثْلَ زَعْمِهِمْ - أوّاهِ
يَخْلُقُ النَّاسَ باسماً، ويواسيـ ... ـهم، ويرنو لهم بعطفٍ إلهي
ويرى في وجودِهِمْ رُوحَهُ السَّـ ... ـامي، وآياتِ فنِّهِ المتناهي
إنني لم أجِدْهُ في هاته الدُّنـ ... ـيا، فَهَلْ خَلْفَ أفقِها من إلهِ؟!
ما الذي قد أتيتَ يا قلبيَ البا ... كي؟! وماذا قد قُلْتِهِ يا شفاهي
يا إلهي! قد أنْطَقَ الهمُّ قلبي ... بالذي كان..، فاغفر يا إلهي!
قَدَمُ اليأسِ والكآبةِ داستْ ... قلبيَ المتْعَبَ، الغريبَ، الواهي
فتشظَّى، وتلك بعضُ شَظَايَا ... هُ..، فَسَامِحْ قُنُوطَه المتناهي[2]
فَهُوَ يا ربِّ مَعْبَدُ الحقِّ، ... والإيمانِ والنُّورِ والنَّقاءِ الإلهي
وَهُوَ نايُ الجمالِ، والحبِّ، والأحْـ ... ـلامِ، لكنْ قد حَطَّمَتْهُ الدَّواهي

قالت الأيَّام[3]

[من السَّريع]

يَا أيُّها السَّادِرُ في غَيِّهِ ... يا وَاقِفاً فَوْقَ حُطَامِ الجِبَاهْ:[4]
مهلاً! ففي أنَّاتِ من دُسْتَهُمْ ... صوتٌ رهيبٌ سوفَ يَدْوِي صَدَاهْ...
لا تأمننَّ الدَّهْرَ، إمَّا غَفَا ... في كهفِهِ الدَّاجي، وطالتْ رُؤاه[5]
فإنْ قَضَى اليومُ وما قَبْلَهُ ... ففي الغدِ الحيِّ صَبَاحُ الحَيَاهْ

---

(١) بداد: متفرق.
(٢) تشظّى: تقطع. القنوط: اليأس.
(٣) نظمها في ١٥ رجب ١٣٤٦ هـ/ ٨ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٨ م.
(٤) السادر: الحائر.
(٥) الكهف الداجي: الكهف المظلم.

يـا أيُّـهـا الجـبَّـارُ! لا تـزدري فـالحـقُّ جـبَّـارٌ، طـويـلُ الأنـاةْ[1]
يَـغْـفَـى، وفي أجْـفَـانِـه يـقْـظَةٌ ترنـو إلى الفَجْـرِ الـذي لا تَـرَاهْ...[2]

سِرُّ النُّهوض[3]

[من البسيط]

لا يَـنْهَضُ الشَّـعـبُ إلَّا حـيـنَ يَـدْفَـعُـهُ عَـزْمُ الحيـاةِ، إذا مـا استيقـظتْ فيـهِ
والحَب يخـتـرقُ الـغَـبْراءَ، مُـنْـدفـعـاً إلى الـسَّـمـاءِ، إذا هـبَّـتْ تـنـاديـهِ[4]
والقيـدُ يـألفُـهُ الأمـواتُ، مـا لَبِـثـوا أمَّـا الحـيـاةُ فـيُـبْـليـهـا وتـبْـليـهِ

---

(١) تزدري: تحتقر. الأناة: الحلم.
(٢) ترنو: تديم النظر بسكون طَرْف.
(٣) نظمها في ١ رجب ١٣٥٠ هـ/ ١٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٣١ م.
(٤) الغبراء: يعني الأرض.

فهرس

المقدمة ٣
أبو القاسم الشابي: مولده ونشأته ٥

قافية الهمزة

نشيد الجبار ١١
أيها الحبُّ ١٣

قافية الباء

يا شعر ١٥
نشيد الأسى ٢٢
في سكون الليل ٢٥
الكآبة المجهولة ٢٦
السَّآمة ٢٧
قبضة من ضباب ٢٨
من حديث الشيوخ ٢٩
أيُّها الليل ٢٩
فلسفة الثعبان المقدّس ٣٣
الدنيا الميتة ٣٥
صوت من السَّماء ٣٦
للتاريخ ٣٧
وعود الغواني ٣٧
ليلة عند الحبيب ٣٧

قافية التاء

إلى قلبي التائه ٣٩
الطفولة ٤١
الفتنة الساحرة ٤٢
الرواية الغريبة ٤٢
دموع الألم ٤٣

قافية الثاء

سر مع الدّهر ٤٤

قافية الحاء

اغنية الأحزان ٤٥
جمال الحياة ٤٨

قافية الدال

حديث المقبرة ٥٠
إلى الموت ٥٤
قلب الشاعر ٥٦
رثاءُ فجري ٥٧
صيحة الحب ٥٧
الأديب ٥٩
المجد ٥٩
صلوات في هيكل الحب ٦٠
قلت للشِّعر ٦٣
طريق الهاوية ٦٥
الجمال المنشود ٦٦
أحلام شاعر ٦٧
أيّتها الحالمة بين العواصف ٦٨
قال قلبي للآله ٦٨

قافية الرّاء

إرادة الحياة ٧٠
إيّاك ٧٣
الجنّة الضائعة ٧٤
مأتم الحب ٧٧
النَّجوى ٧٩
الصَّيحة ٨٠
شكوى ضائعة ٨١
أنسيمُ يهب؟ ٨٢
مناجاة عصفور ٨٣

يا موت ٨٥
بشعْري ٨٧
فكرة الفُنان ٨٩

قافية السين

نظرة في الحياة ٩١
شكوى اليتيم ٩٢
حرم الأمومة ٩٣
النبي المجهول ٩٣
الدموع ٩٦
شجون ٩٧

قافية العين

أنشودة الرُّعد ٩٩
إلى البلبل ١٠٠

قافية الفاء

بقايا الخريف ١٠٤

قافية القاف

الغزال الفاتن ١٠٧
الحبّ ١٠٨

قافية الكاف

ألحاني السَّكرى ١١٠
الأشواق التَّائهة ١١٢

قافية اللام

قلب الأم ١١٤
أراكِ ١١٨
زوبعة في ظلام ١١٩
غرفة من يمّ ١٢٠
ذكرى صباح ١٢١
خلّه للموت ١٢٣

قافية الميم

أكثرت يا قلبي فماذا تروم؟ ١٢٤
إلى عازف أعمى ١٢٥
أغاني التّائه ١٢٦
ليت شعري ١٢٧
في الظلام ١٢٨
صوت تائه ١٢٩
إلى الشعب ١٣٠
الأبد الصغير ١٣١
زئير العاصفة ١٣٥
إلى الطّاغية ١٣٦
يا حماة الدِّين ١٣٧
السعادة ١٣٨
النَّاس ١٣٨
الغاب ١٣٩
يا رفيقي ١٤٣
قيود الأحلام ١٤٥
متاعب العظمة ١٤٦

قافية النّون

المساء الحزين ١٤٧
الذّكرى ١٤٩
الصباح الجديد ١٥٠
تحت الغصون ١٥٢
كَهرباءُ الغرام ١٥٥
أغنية الشّاعر ١٥٦
الاعتراف ١٥٧
الحياة ١٥٧

قافية الهاء

أنا أبكيك للحبّ ١٥٨
يا ابن أميّ ١٥٩
إلى طغاة العالم ١٦٠
تونس الجميلة ١٦٠
من أغاني الرّعاة ١٦٢
في فجاج الآلام ١٦٤
جدول الحبّ بين الأمس واليوم ١٦٧
الساحرة ١٧٠
أبناء الشيطان ١٧٢
في ظل وادي الموت ١٧٤
الزنبقة الذّاوية ١٧٥
صفحة من كتاب الدُّموع ١٧٦
إلى اللّه ١٧٨
قالت الأيّام ١٨٠
سرُّ النّهوض ١٨١